OSMANIYE
1969
2383

NURUOSMANI
1969
2383

דחעת

كتاب الذريعة لمكارم الشريعة

١٧٨

كتاب الذريعة لمكارم الشريعة

للراغب الأصفهاني

امراض قلب

ريب رين زيغ قساوة غشاوة طبع ختم

كلا بل ران على قلوبهم

فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم

ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجاره

وطبع على قلوبهم

ختم الله على قلوبهم

OSMANİYE KÜTÜPHANESİ
Kısmı: Nuruosmaniye
Yeri: 1969
Eski Kayıt No: 2383
Tasnif No: 297.3 = 927

٢٣٨٣

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله

هذا وقف ظل الله المخصص والنور اللامع المشخص السلطان ابن السلطان
السلطان ابو الفتح عثمان خان ابن السلطان مصطفى خان وفقه الله
في حل رموز الانام وجعل الطافه سابغة على العباد
وانا الداعي لدولته الحاج ابراهيم حنيف المفتش
باوقاف الحرمين المحترمين
غفر له

ابراهيم حنيف

بسم الله الرحمن الرحيم

نسأل الله بجوده الذي هو سبب الوجود أن يهدينا الى ما يقربنا
عليه ويميل بنا الى الاصغا اليه ويدلنا على حسن معاملته والعون
على التمادي في طاعته وان يجعلنا ممن جعله من ضمن ابعادهم
عن عائلة الشيطان حيث قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
وجعلهم الشيطان مستثنين حيث قال فبعزتك لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين **قال** الشيخ الحكيم
ابي القسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الاصفهاني
رحمه الله كنت قد اشرت فيما امليته من كتاب تحقيق البيان في
تاويل القران الى الفرق بين احكام الشريعة ومكارمها وان
المكارم المطلقة هي اسم لما لا يتحاشى من وصف الباري جل
ثناؤه بها نحو الحكمة والجود والحلم والعفو وان كان وصفه تعالى بذلك

اسم مؤلف

على

على حد اشرف ومنها ما يوصف به البشر وان الاحكام يتناول ذلك
والعادات وان باكتساب المكرمة يستحق الانسان ان يوصف
بكونه خليفة الله المعني بقوله عز وجل اني جاعل في الارض خليفة
وبقوله ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون وقوله تعالى وهو
الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات
ليبلوكم فيما آتاكم واشرت ان خلافة الله تعالى لا تصح الا لطاهر
النفس كما ان اشرف العبادات لا تصح الا لطاهر الجسم واستحق
الله تعالى لان وعملت في ذلك كتابا يكون ذريعة الى مكارم الشريعة
وبينت كيف يصل الانسان الى منزلة العبودية التي جعلها الله
شرفا للاتقيا وكيف يترقى عنها اذا وصلها الى منزلة الخلافة
التي جعلها الله شرف الصديقين والشهدا فبالجمع بين احكام الشرع
معه ومكارمه علما وايثارهما عملا يكتسب العلى ويتم التقوى ويتبلغ
الى جنة الماوى فرغبني ايها الاخ الفاضل وفقك الله لرشدك
واعاذك من شر نفسك في تصنيفه ما رأيت من تشوقك الى
تزين ما ولاه الله من حسن خلقك وخلقك بما يتولاه من تحسين

ادبك واكمال مروتك فما اجدر رداك الصحيح ان يحصل وراءه
الراي الصحيح حتى تتصادفا فاترحا بطيب معا وتوثرا وطاب
فما اقبح بالمرء ان يكون حسن جسمه باعتبار قبح نفسه جنة يعمرها
ثم وصورة جسمها ذئب كما قال حكيم لجاهل اصبح الله الوجه
اما البيت فحسن واما ساكنه فردي وان يكون باعتبار
تحرم بماله وحسن اثاثه ثم اعليه حلي فقد سمى بعض الحكماء
بيوتا صوفيها درر وجمادها لفاحش ودخل حكيم على رجل
فرأى دارا منجدة وفرشا مبسوطة وصاحبها خلو من الفضيلة وبرأي صح
فبزق في وجهه فقال له ما هذا السفه ايها الحكيم فقال اما هذا حكمة
ان البصاق ليرمى الى اخس مكان ولم ار في دارك اخس منك
فتنبه بذلك على دناءة الجهل وان قبحه لا يزول بادخار القنيات
وكن ايها الاخ عالما وبعلمك عاملا تكن من اولياء الله الذين
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون واحذر الشيطان ان يصيدك
ويغويك باعراض الدنيا وزخارفها فيجعلك من اوليائه
يخوفك بؤسا وشقا كما قال تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف

اولياءه واعلم انه قبيح بذي العقل ان يكون بهيمة وقد امكنه
ان يكون انسانا او انسانا وقد امكنه ان يكون ملكا وان يرضى
بقنية معارة وحيوة مستردة وله ان يتخذ قنية مخلدة و
حيوة مؤبدة **شعر** فلم ار في عيوب الناس شيئا كنقص القادرين
على التمام وان اردت ان تعرف بقاء العلماء فاعتبر ما قال
علي صح امير المؤمنين عليه السلام مات خزان الاموال وهم احياء والعلماء
باقون ما بقي الدهر اعيانهم مفقودة واثارهم في القلوب
موجودة وان اردت ان تشاهدهم في الجنة يتنعمون فاستمع
حال حارثة حيث قال للنبي عليه السلام اصبحت مؤمنا حقا فقال
عليه السلام لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك فقال كاني بعرش ربي
وكاني انظر الى اهل الجنة يتزاورون فقال عليه السلام وفقت
لما عرفت فالزم ولا يخدعنك عن طلب ذلك وادراكه الذين يصدون
عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالاخرة كافرون فقد
وصفهم تعالى بالصمم والعمى اذ قال تعالى ما كانوا يستطيعون
السمع وما كانوا يبصرون ثم ذمهم بقوله اولئك الذين خسروا

انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ثم فرق بينهم وبين من
ضادهم فقال مثل الفريقين كالاعمى والاصم والسميع و
البصير هل يستويان مثلا افلا تذكرون فاخبرتع انهم
لا يسمعون ولا يبصرون لفقدان سمع القلب وبصيرته
الذين بهما ينال حقايق المسموعات والمبصرات **الفصل**
الاول في احوال الانسان وفضيلته واخلاقه ١
مثل اهل الدنيا وما يستحق له ٢ ماهية الانسان وكيفية
تركيبه ٣ في قوى الانسان ٤ تعاون القوى الروحانية
وكيفية ادراكها ٥ بيان ما به يفضل الانسان ٧ كون منزلة الانسان
بين البهيمة والملك ٨ ما لاجله اوجد الانسان ٩ السياسة
التي يستحق بها خلافة الله تع ١٠ الفرق بين مكارم الشريعة
وبين العبادة وعمارة الارض ١١ كون طهارة النفس شرطا
في صحة خلافة الله وكمال عبادته ١٢ فيما يفزع اليه في طهارة
النفس ١٣ بيان منازعة الهوى للعقل ١٤ الفرق بين ما
يسوله الهوى وما يسوله العقل ١٥ في ذكر الخاطر الذي تعرض

من

من جهة العقل والهوى ١٦ حصول الخلق المحمودة بتطهيرها
النفس ١٧ الفرق بين الطبع والسجية والخلق والعادة
١٨ امكان تغيير الخلق ١٩ صعوبة اصلاح القوة الشهوية
وما في هذه القوة من المنفعة والمضرة ٢٠ ازدياد الانسان
في الفضايل والرذايل وانحطاطه بهما ٢١ الفرق بين ما يحمد و
من التخلق ٢٢ سبب اختلاف الناس في اخلاقهم ٢٣ وجوه
اكتساب الفضيلة المحمودة ٢٤ انواع نعم الله الموهوبة و
المكسوبة ٢٥ حاجة بعض هذه الفضايل الى بعض الفضايل
المطيفة بالانسان ٢٦ الفضايل الجسمانية ٢٧ ما يتولد
من الفضايل ٢٨ الفضايل التوفيقية ٢٩ في تلازم الفضايل
النفسية بعضها بعضا ٣٠ البواعث على فعل الخير وتحري
الفضايل ٣١ الموانع من تحري الفضايل ٣٢ الارتقاء في
درجات الفضايل والانحدار عنها الى اقصى الرذايل ٣٣
بيان عادة الله تع في تهذيب الذين ترددوا في الرذايل حتى
فسدت اخلاقهم ٣٤ اصناف الناس **الفصل الثاني**

١ في العلم والعقل والنطق وما يتعلق بها وبأقسامها
فضيلة العقل ٢ أنواع العقل المكتسبة من العقل الغريزي
والأخروي ٣ منازل العقل واختلاف أسمائها بحسبها
٤ جلالة العقل وشرف العلم ٥ الفرق بين العلم والعقل
والمعرفة والدراية والحكمة ٦ توابع العقل ٧ ثمرة العقل
من معرفة الله تع الضرورية والمكتسبة وغاية ما يبلغه الإنسان
٨ وجوب بعثة الأنبياء عليهم السلام وقلة استغنائهم
٩ ما يعرف به صحة النبوة ١٠ كون العقل والإرشاد من
الخلق من الحق ١١ تعذر إدراك العلوم النبوية على من لم يتدرب
في العلوم العقلية ١٢ الإيمان والإسلام والتقوى والبر
١٣ في الإيمان ١٤ في أنواع الجهل ١٥ في معنى قول النبي عليه السلام
الإيمان بضع وسبعون بابا ١٦ كون العلم مركوزا في نفوس
الناس ١٧ حصر أنواع المعلومات ١٨ ما يعرف به ١٨
فضل العلوم ١٩ استحسان معرفة أنواع العلوم ٢٠ معاداة
بعض الناس لبعض العلوم ٢١ الحث على ما ولا البلغة من كل علم

والاقتصار عليه ٢٢ أحوال الإنسان في استفادة العلم وإفادته
٢٣ ما يجب أن يتحراه المعلم من المتعلمين منه ٢٤ وجوب منع
الجهلة عن حقائق العلوم والاقتصار بهم على قدر أفهامهم ٢٥
وجوب ضبط المتصدين للعلم ومضرة إهمال ذلك ٢٦
ذكر من يصلح لوعظ العامة ٢٧ الحالة التي يجب أن يكون
عليها الواعظ ٢٨ صعوبة المعاد الذي يعرف به حقائق
العلوم ٢٩ كراهية الجدال للعوام وذمه على كل حال ٣٠
ما يجب أن يعامل به الجدل المماحك ٣١ الوجوه التي يقع
من أجلها يقع الشبه والخلاف ٣٢ بيان اختلاف الناس في
الأديان والمذاهب ٣٣ النطق والصمت ٣٤ الصدق
ومدحه والكذب وذمه ٣٥ ما يحسن ويقبح من الصدق
والكذب ٣٦ أنواع الكذب والسبب الداعي إليه ٣٧ الذكر
الحسن من المدح والثناء ٣٨ الشكر ٣٩ الغيبة ٤٠ النميمة ٤١
الكلام المستقبح ٤٢ المزاح ٤٣ الضحك ٤٤ الحلف الفصل
الثالث فيما يتعلق بالقوى الشهوانية ١ الحياء ٢ كبر

الهمة ٣ الوفا والغدر ٤ المشاورة ٥ النصح ٦ كتمان السر
٧ التواضع والكبر ٨ الفخر ٩ العجب ١٠ انواع اللذات و
تفاصيلها ١١ ما يحسن تناوله من المطعم وما يقبح ١٢ ما يحسن
تعاطيه من المنكح وما يقبح ١٣ ذكر العفة ١٤ القناعة والزهد
والورع
الفصل الرابع فيما يتعلق بالقوى الغضبية
١ ما يتبع من القوى الغضبية ٢ انواع الصبر ومدح
٣ الشجاعة ٤ اسماء انواع الفزع والفرق بينها وبين ما
يحمد منها وما يذم ٥ مداواة الغم وازالة الخوف ٦ احوال
الناس في محبة الموت وكراهيتها لعلة المبالاة به ٧ السرور و
الفرح ٨ الغدر والمروة ٩ الحلم والعفو ١٠ ثوران الغضب
وفضل كظمه ١١ الغيرة والحماية ١٢ الغبطة والمنافسة
والحسد
الفصل الخامس في العدالة والظلم
والمحبة والبغض ١ ذكر العدالة وفضيلتها ٢ انواع العدالة
وما يستعمل ذلك فيه ٣ ما يحسن فيه ترك العدالة فيه ٤
ذكر الظلم والاسباب التي يحصل منها الاضرار ٥ ذكر المكر

الخديعة

والخديعة والكيد والحيلة ٦ ماهية الحيلة المحمودة وانواعها
٧ فضيلة المحبة ٨ فضيلة الصداقة ٩ ذكر التحبب الى الناس
١٠ الحث على مصاحبة الاخيار ومجانبة الاشرار ١١ فضيلة الاعتزال
عن الناس ورذيلته ١٢ العداوة
الفصل السادس
فيما يتعلق بالصناعات والمكاسب والانفاق والجود والبخل
١ حاجة الناس الى اجتماعهم للتظاهر ٢ تسخير الله تعالى همم الناس
للصناعات المختلفة وعنايته بمحل احدهما بتحراه ٣ كون الفقر
وخوفه سبب نظام امور الناس ٤ مناسبة الابدان للصناعات
٥ وجوب التكسب ٦ مدح السعي وذم الكسل ٧ تقاسيم
الصناعات وفضل بعضها على بعض ٨ في ان اصول الصناعات
ماخوذة عن وحي ٩ في شأن الناس المتعاملين وبيان حكمة
الله تعالى فيه ١٠ مدح المال وذمه ١١ ذكر المال والادب في اقتنائه
والوجوه التي منها يحصل ١٢ سبب اخفاق العاقل وانجاح الجاهل ١٣
تحقيق كون المال في ايدي الناس ١٤ تفاوت احوال الناس المساوين
للاعراض الدنيوية ١٥ فيما ورد من آيات المتقدمين والظاهرة في

شان الدنيا ١٦ احوال الناس في مراعاة امور الدنيا والاخرة
١٧ بيان حال من يجوز له الاستكثار من اعراض الدنيا ومن
لا يجوز له ذلك ١٨ ما ينال ارباب الدنيا من العقوبات بالذنوب
١٩ ذكر الانفاق الممدوح والانفاق المذموم ٢٠ حقيقة السخاء
والجود والسخ ٢١ فضيلة الجود ٢٢ ذم البخل ٢٣ انواع الجود
والمجود به

الفصل السابع في ذكر الافعال

١ انواع الافعال ٢ الفرق بين العمل والفعل والصنعة ٣ انواع الصناعات
٤ الافعال الارادية وغير الارادية ٥ ما يستحق به من الافعال اللوم
وما لا يستحق به ٦ الاسباب التي يمكن نسبة الفعل اليها هذا ثبت
الفصول وتقاسيمها مائة وستة واربعون بابا

الفصل الاول في احوال الانسان وقواه وفضيلته الباب

الاول منه في مثل اهل الدنيا وما يتحمله الانسان في هذه الدار

كما قال امير المومنين عليه السلم الناس سفر والدنيا دار ممر لا دار
مقر وبطن امه مبدا سفره والاخرة مقصده وزمان حيوته
مقدار مسافته وسنوه منازله وشهوره فراسخه وايامه امياله

والنفاسه

والنفاسه خطاه يسار به سير السفينة براكبها كما قيل
شعر رايت اخا الدنيا وان كان خافضا اخا سفر
يسرى به وهو لا يدري وقد دعي الى دار السلم كما قال تع
لهم دار السلام عند ربهم وقوله والله يدعو الى دار السلم
وتوجه اليها نحو اشرف الوهرات والذ النعمات جنات
تجري من تحتها الانهار بل الى جنة عرضها السموات والارض
اعدت للمتقين لكن لما كان الطريق اليها مضلة مظلمة قد استولى
عليها استار ظلمة جعل الله تع لنا من العقل الذي ركبه فينا
وكتبه الذي انزلها علينا نوراً هاديا ومن عبادته التي امرنا
بها حصنا واقيا فقال في وصف نوره الله نور السموات
والارض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة
الزجاجة كانها كوكب دري توقد من شجرة مباركة زيتونة
لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار
نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الامثال
للناس فجعل المصباح مثلا للعقل والمشكوة مثلا لصدره

وانا لفي الدنيا كركب سفينة
نظن وقوفا والزمان بنا يجري

المؤمن والزجاجة لقلبه والشجرة المباركة وهي الزيتونة
للدين وجعلها لا شرقية ولا غربية تنبيها انها مصونة
عن التفريط والافراط كما قال تع ان هذا القرآن
يهدي للتي هي اقوم والزيت للقرآن وبين ان القرآن
يمد العقل مدد الزيت للمصباح وانه يكاد يكفي لوضوحه
وان لم يعاضده العقل ثم قال نور على نور اي نور القرآن
ونور العقل وبين انه يخص بذلك من يشاء وقال
في وصف ما جعل الله لنا من الحصن ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان اي المتحصنين بعبادتي فمن لم يتم برعاية
نوعه وحمايته حصنه عمره في دنياه وتمكن من استغوائه
عداه كما قال تع ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا
فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم
مهتدون فمن لم يتزود من دنياه زاده كما امر الله تع
بقوله وتزودوا فان خير الزاد التقوى خابت رحلته
فيسترجع منه ما اعير من جسمه وذاته فيتحسر حين لا

ينفعه تحسره ويقول يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا
ونكون من المؤمنين ويقول هل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا
او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل فحينئذ لا ينفع نفسا ايمانها
لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وايضا فان
الانسان من وجه في دنياه حارث وعمله حرثه ودنياه
محرثه ووقت الموت وقت حصاده والآخرة بيدره ولا
يحصد الا ما زرعه ولا يكيل الا ما حصده ولهذا قال تع
من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد
حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وكما ان
في البيدر مكاييل وموازين وامناء وحفاظا مشاهدين
وكتابا كذلك في الآخرة مثل ذلك كما قال تع ونضع الموازين
القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال
حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وقال تع وان
عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقال تع
وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وكما ان في البيدر

تذريته وتميزا بين النقاوة والحطام كذلك في الآخرة
تميز بين الحسنات والآثام كما قال تعالى ليميز الله الخبيث
من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا
فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون وقال في اعمال الكفار
مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح
في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو
الضلال البعيد وقال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من
عمل فجعلناه هباء منثورا فمن عمل الآخرة بورك في كيله و
وزنه وجعل منه زاد الآخرة كما قال تعالى ومن اراد الآخرة
وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا
ومن عمل الدنيا خاب سعيه وبطل عمله كما قال تعالى من كان
يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا
يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط
ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون فاعمال الدنيا كشجرة
الخلاف مثل الدفلى والحنظل في الربيع ترى غض الاوراق
حتى

حتى اذا جاء حين الحصاد لم ينل طائلا واذا احصد مجتناه البيد
لم يجد نائلا ومثل اعمال الآخرة كشجرة الكرم والنخل المستقبح
المنظر في الشتاء فاذا جاء وقت القطاف والاجتناء افادتك
زادا وادخرت منها غذاء وعتادا والى نحوهما اشار تعالى بقوله
ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها
في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال
للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من
فوق الارض ما لها من قرار ولما كانت زهرات الدنيا رائقة
الظاهر خبيثة الباطن نهى تعالى عن الاغترار بها فقال ولا تمدن
عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم
فيه ورزق ربك خير وابقى **الباب الثاني** في ماهية
الانسان وكيفية تركيبه الانسان مركب من جسم مدرك بالبصر
ونفس مدركة بالبصيرة واليهما اشار تعالى بقوله اني خالق بشرا
من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
فالانسان بالروح الى النفس واضاف سبحانه الروح اليه تشريفا

لها وعني بها النفس المذكورة في قوله تعالى اخرجوا انفسكم ووجود
النفس في الانسان لا يحتاج ان يدل عليه لوضوح امره بل
ينبه الجاحد لها والغافل عنها بانها هي التي بحصولها في
الجسم تحصل الحيوة والحركة والحس والعلم والراي والتمييز
ويكون الجسم متصرفا بها وحاملا ومستحسنا ومستطابا
ومحببا وبفقدها عدم هذه الاشيا فيصير جيفة تحتاج الى
غيره تحمله وهي محل الاعراض الروحانية كالجسم في كونه محلا
للاعراض الجسمانية وقد حث الله تعالى على تدبر النفس والتفكر
فيها وجعل معرفتها مقرونة بمعرفته في قوله تعالى وفي الارض
ايات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وقال تعالى سنريهم
اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وكان
يقال في الامم السالفة من انكر البارئ رجم لكونه جاحدا
ومن انكر النفس رجم لكونه جاهلا وقيل كان في كتب الله
المنزلة اعرف نفسك يا انسان تعرف ربك وقال النبي
عليه السلم اعرفكم بربه اعرفكم بنفسه وقد قال تعالى ولا تكونوا

كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم تنبيها انهم لما نسوه
تعالى دل نسيانهم اياه على نسيانهم لها وقالت الحكما قد ركب
الله تعالى الانسان تركيبا محسوسا معقولا على هيئة العالم
واوجد فيه شبه كل ما هو موجود في العالم حتى قيل الانسان
عالم صغير ومختصر العالم الكبير وذلك ليدل به على معرفة
العالم فيتوصل بهما الى معرفة صانعهما فغاية معرفة الانسان
لباريه تعالى ان يعرف العالم فيعلم انه موجد وان له موجدا ليس
مثله تعالى

الباب الثالث في قوى الانسان

قد جعل
الله تعالى للانسان خمس قوى يدل على وجودها فيه ما يظهر من
اثارها فقوة الغذا وبها النشو والتربية والولادة وقوة الحس
وبها الاحساس واللذة والالم وقوة التخيل وبها تصور اعيان
الاشيا بعد غيبوبتها عن الحس وقوة النزاع وبها يكون الطلب
للموافق والهرب من المخالف والغضب والرضا والايثار والكراهة
وقوة التفكر وبها يكون النطق والعقل والعلم والحكمة والروية
والتدبير والمهنة والراي والمشورة فاما القوى المدركة منها

اتزعم انك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الاكبر

فخمس الحواس الخمس والخيال والفكر والعقل والحفظ فاما
الحواس فلكل واحد منها ادراك مخصوص فللمس عشر ادراكات
الحرارات والبرودات والرطوبات واليبوسات واللين
والخشونة والصلابة والرخاوة والثقل والخفة وللذوق
سبع الحلاوة والمرارة والملوحة والحموضة والحرافة والعفوصة
والتفه وللشم اثنان الطيب والنتن وللسمع اثنان الصوت
الخفيف والصوت الثقيل وللبصر احد عشر ادراكا النور و
الظلمة واللون والجسم وسطحه وشكله ووضعه وبعده
وابعاده وحركاته وسكناته واعداده فادون هذه
الادراكات اللمس ثم الذوق ثم الشم فالنفس لا تكاد تستعين
بها الا فيما يعود نفعها الى صلاح الجسم وارفع الادراكات
العقل ثم الفكر ثم التخيل ثم الحس الا ان العقل والفكر يدركان
الاشياء الروحانية فاما السمع والبصر فمتوسطان فانهما
يخدمان النفس والجسم وخدمتهما للنفس اكثر ويدركان الاشياء
الجسمانية والتخيل متوسط بين العقل والفكر وبين السمع والبصر

فياخذ

فياخذ تارة من السمع والبصر ويسلم الى العقل والفكر وذلك
في حال اليقظة وياخذ تارة من العقل والفكر ويسلمه الى السمع
والبصر وذلك في حال النوم ولما كان مبدأ اثر هذه القوى
من الدماغ فمسكن الفكرة وسط الدماغ ومسكن الخيال
مقدمه ومسكن الحفظ والذكر مؤخره ولما كان قوام الدماغ
بل قوام الجسم كله من القلب الذي منه منشأ الحرارة الغريزية
صار في كلام الناس يعبر من هذه القوى تارة بالدماغ فيقال
لفلان دماغ اذا قوي منه هذه القوى المدركة وفلان خالي
الدماغ اذا ضعف منه هذه القوى ويعبر عنها تارة بالقلب
والثاني اكثر وعلى ذلك قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له
قلب ولما كان ادراك اكثر الحقائق بهذه القوى المدركة وكانت
الفكرة خادمة للعقل والتخيل خادما للعقل والفكر تارة و
للسمع والبصر تارة خص الله تعالى بالذكر القلب وهو احد الطرفين
والسمع والبصر وهو الطرف الاخر ولذلك عظم الله تعالى المنة
على الانسان باعطائه اياها هذه الثلثة وحمد من استعملها

ونم من اهملها فقال وجعل لكم السمع والابصار والافئدة
وقال في ذم من لا ينتفع بها لهم قلوب لا يفقهون بها و
لهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها وقال تعالى
صم بكم عمي فهم لا يعقلون اي لا يفهمون المعنى لا انهم لا
يسمعون الاصوات او لا يبصرون الذوات وانما جعلهم
بكما من حيث انهم لا يوردون معنى مستنبطاً بالفكر و
مدركا بالعقل واعلم ان السمع والبصر كالاخوين يخدم كل منهما
صاحبه في ادراكه فقد ينوب السمع عن البصر في ابلاغ القلب
معظم الكتب ما لا يدركه السمع في مدة سيما اذا كان المخاطب
ناقص العبارة او غير متثبت في الكلام او دق المعنى وغمض

الباب الرابع في قوى الروحانية

وكيفية ادراكها القوى الروحانية متعاونات في ادراكهن
رسوم المعلومات فان الخيال يتصور عن المحسوس فيبقى فيه
صورة الروحانية فينتقش بها نقش الشمع بصورة الختم
ثم يأخذ الفكر فيميز بعضها عن بعض بنور العقل فيبحث عن خواصها

ومنافعها

ومنافعها ومضارها ثم يؤديه الى القوة الحافظة فاذا راى
ابرازه قولا سلط عليه القوة العاملة فيوجده بالجوارح وقد
ضرب بعض الحكماء مثلا لهذه القوى بقرب منه قصور تامثيرا
فقال ان القوة المفكرة ومسكنها وسط الدماغ بمنزلة الملك
يسكن وسط المملكة والخيالية ومسكنها مقدم الدماغ
جارية مجرى صاحب بريده والحافظة ومسكنها مؤخر الدماغ
جارية مجرى خازنه والقوى الناطقة جارية مجرى ترجمانه
والعاملة جارية مجرى كاتبه والحواس جارية مجرى الجواسيس
واصحاب الاخبار الصادقين اللهجات فيما يرفعونه من اخبار
فليلتقط كل واحد الخبر من الصقع الذي وكل به فيرفعه الى
صاحب البريد وصاحب البريد يسقط منه ما يراه حشوا
ويرفع الباقي صافيا الى حضرة الملك فيميزه ويعرف منافعه
ومضاره ويسلمه الى الخازنة الى وقت الحاجة وحين يتقدم باخراجه
قالوا وكما ان للملك افعالا يستعين فيها بغيره وافعالا لا يتعدى
هو فيها بنفسه والافعال التي يتولاها هو بنفسه اشرف مما يفوضها

الناطقة فيعبر عنه باللسان
وان اراد امضاءه فعلا وسلط
عليه الفعل صح

المحضة كذلك للقوة المفكرة افعال تفوضها الى غيرها وافعال
تختص هي بها وهي الروية والفكر والاعتبار والقياس
والفراسة فهذه الاشياء تدبير الامور واستخراج الغوامض
وتحصيل التجربة واستنباط المجهول بتوسط المعلوم والاطلاع
على الاسرار ونحو هذا المثل ما روي ان كعب الاحبار قال دخلت
على عايشة فقلت الانسان عيناه هاد واذناه قمع ولسانه
ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب ملك
فاذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله
صلى الله عليه واله وسلم

الباب الخامس

في فضيلة الانسان على ساير الحيوان للانسان فضل على الحيوانات كلها
في نفسه وجسمه اما فضله في نفسه فبالقوة المفكرة التي
بها العقل والعلم والحكمة والتدبير والراي فان البهايم وان
كانت كلها تحس وبعضها يتخيل فليس لها فكر ولا روية ولا
استنباط المجهول بالمعلوم ولا تعرف علل الاشياء واسبابها
وليس في قوتها تعلم الصناعات الفكرية وانما يتعلم بعضها بعض

الصناعات المتخيلة واقواها في ذلك الفيل والقرد واما فضله
في جسمه فباليد العاملة واللسان الناطق وانتصاب القامة
الدال على استيلائه على كل ما اوجد في هذا العالم وقد نبا
الله تعالى على ذلك بقوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وبقوله
وصوركم فاحسن صوركم ولم يعن الصورة الظاهرة
التخطيطية فقط بل عناها والصورة المعقولة وشرفه
تعالى بذلك اياه ولقد كرمنا بني ادم وحملناهم في البر والبحر
ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا
ومن زعم ان الانسان خلق خلقة ناقصة عن الوحشيات
من حيث لم يكف الملبس كما كفيته ولم يعط سلاحا في ذاته كما
اعطي كثير منها فخطؤه ما قصد اذ قد اعطي الانسان بدل ذلك
التمييز الذي يمكنه ان يتخذ به كل ملبس وكل سلاح حسب ما يريد
فيتخذه متى اراد ويضعه متى احب ثم لو اعطي بعض الاسلحة
التي اعطيتها لم يمكنه ان يستعمل غيره كالوحشيات وايضا
فلو اعطي ذلك لكان من الحق ان لا يعطى التمييز لانه كان

الانسان صح

يستغني عنه فايدته وفضل منه عز وجل ذلك ان قيل فكيف قال
ثم خلق الانسان ضعيفا فاستضعفه قيل ضعفه بالاضافة
الى الملا الاعلى لما فيه من الحاجات البدنية التي كفيتها واعلم
ان كل ما اوجد في هذا العالم فانما اوجد لاجل الانسان
اما للانتفاع به كالخيل والبغال وكالاغذية كالبقر والغنم
والحبوب والثمار واما للانتفاع بما ينتفع به الانسان كالعشب
والحشرات وما لا يعرف الناس نفعه فليس يخرج من كونه
نافعا وقد بين الحكماء جل نفعها وما لا سبيل لبعضنا او كلنا
الى معرفة نفعه فليس جهلنا به قادحا في حكمة الله تع في ايجا
ده ورب شي جهلنا نفعه وقد سخر لمعرفته بعض الحيوانات كالشجر
الذي فيه العسل بالقوة وما سخر لمعرفته واستخراجه الا النحل
وما اليق من انكر حكمة الله تع لجهله ان ينشد **شعر** على نحت
القوافي من مقاطعها وما علي اذا لم يفهم البقر **الباب**
السادس في بيان ما به يفضل الانسان الانسان و
ان كان هو بكونه انسانا افضل موجود فذلك بشرط ان يرعى

صادم

ما به انسانا وهي العلم والعمل المحكم فبقدر وجود ذلك المعنى
فيه يفضل ولهذا قيل الناس ابناء ما يحسنون اي ما يعرفون
ويعملون من العلوم والاعمال الحسنة يقال احسن فلان اذا
علم واذا عمل حسنا فالانسان من حيث يتغذى وينسل
فنبات ومن حيث ما يحس ويتحرك فحيوان ومن حيث الصورة
التخطيطية فكصورة في جدار وانما فضيلته بالنطق وقواه
ومقتضاه ولهذا قيل ما الانسان لولا اللسان الا بهيمة
مهملة او صورة ممثلة فالانسان يضارع الملك بقوة النطق
والحياء والفهم ويضارع البهيمة بقوة الغذاء والنكاح فمن
صرف همته كلها الى تربية الفكرة بالعلم والعمل فحقيق بان يلحق
بافق الملك فيسمى ملكا وربانيا كما قال تع ان هذا الا
ملك كريم ومن صرف همته كلها الى تربية القوة الشهوية باتباع
اللذات البدنية ياكل كما ياكل الانعام فخليق بان يلحق بافق
البهائم فيصير اما غمرا كثور واما شرها كخنزير واما ضرعا ككلب
او حقودا كجمل او متكبرا كنمر او ذا روغان كثعلب او يجمع ذلك كله

فيصير كشيطان مريد وعلى ذلك قوله تع وجعل منهم القردة
والخنازير وعبد الطاغوت ويكون كثير ممن صورته صورة
الانسان وليس هو في الحقيقة الا كبعض الحيوان قال الله تع في
الذين لا يعقلون عن الله ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا
وقال سـ ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا
يعقلون وقال مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع
الا دعاء ونداء اي مثل واعظ الكافرين كناعق الانعام تنبيها
انهم فيما يتعاطونه كالبهائم وبهذا النظر عبر الشاعر عن بعض
ذمه **شعر** اللوم اكرم من وبر ووالده واللوم اكرم
من وبر وما ولدا ولم يعرف من ولد بينهما انه لا يستحق
ان يقال له من للؤمه وعلى هذا قال المتنبي حولي بكل
مكان منهم خلق تخطي اذا جئت في استفهامها بمن
ولما ذكرنا لم يكن بعض هذه الانواع وبعضه من التفاوت
كما بين انسان وانسان فانك قد ترى واحدا كعشرة بل واحدا
كمائة وعشرة اخرى هدرة دون واحد كما قيل لامراة اعشرة

هدرة احب اليك ام واحد كعشرة فقالت واحد كعشرة
بل ترى واحدا كالف والف مثل واحد كما قال الشاعر
ولم ار امثال الرجال تفاوتت لدى المجد حتى عد الف بواحد
بل قد ترى واحدا كعشرة الف وترى عشرة الف دون
واحد كما قال عليه السلم وهو اصدق قيلا الناس كابل مائة
لا تكاد تجد فيها راحلة ولاجل ذلك تعارفهم اسم لما يعبر
فمائة ابل هي عشرة الاف ابل لو قيل قد يرى واحد
كعالم وعالم مثل واحد لجاز كما قال صلى الله عليه واله وسلم
فوزنت بامتي فرجحتهم وعلى هذا قال ابو نواس **شعر**
ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

الباب الرابع في كون الانسان بين البهيمة والملك لانه
لما ركب تركيبا بين بهيمة وملك فشبهه للبهائم بما فيه
من الشهوات البدنية من الماكل والمشارب والمناكح
وشبهه بالملك بما فيه من القوى الروحانية من الحكمة و
والعدالة والجود صار واسطة بين جوهرين وضيع

ورفيع ولهذا قال تع وهديناه النجدين فالنجدان
من وجد العقل والهوى ومن وجد الاخرة والاولى
ومن وجد الايمان والكفر ومن وجد الهدى والضلال
ومن وجد موالاة الله تع وموالاة الشيطان المذكوران
في قوله تع الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى
النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم
من النور الى الظلمات ومن وجد النور والظلمة المذكوران
في هذه الاية اى الفضيلة والنقيصة ومن وجد الحيوة
والموت المذكوران في قوله تع اومن كان ميتا فاحييناه
لمن وفقه الله تع الهدى واعطاه قوة لبلوغ المدى فراعى
نفسه وزكيها فقد افلح ومن حرم التوفيق فاهمل نفسه
ودسيها فقد خاب وخسر كما قال تع قد افلح من زكيها و
قد خاب من دسيها **الباب الثامن** فيما اوجد لاجله
الانسان الانسان من حيث هو انسان كل واحد كالاخر فالارض
من تربة والناس من رجل وانما يشرف بان يوجد كاملا

في المعنى الذي اوجد لاجله وبيان ذلك ان كل نوع اوجده
الله تع في هذا العالم او هدى بعض الخلق الى ايجاده و
صنعه فانه موجد لفعل يختص به ولولاه لما اوجد و
لغرض لاجله خص بما خص به كالبعير انما خص بذلك ليبلغنا
واثقالنا الى بلد لم نكن بالغيه الا بشق الانفس والفرس
ليكون لنا جناحا نطير به والمنشار والمنحت لنصلح بهما
الباب والسرير ونحوهما والباب لنحرز به البيت فالفعل
الانساني المختص به ثلثة عمارة الارض المذكورة في قوله
تع واستعمركم فيها وذلك تحصيل ما به تزجية المعاش
لنفسه ولها ولغيره وعبادته المذكورة في قوله تع
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وذلك هو الامتثال
للباري تع في اوامره ونواهيه وخلافته المذكورة في
قوله تع ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون وغيرها
من الايات وذلك هو الاقتداء بالباري عز اسمه على قدر
طاقة البشر في السياسة باستعمال مكارم الشريعة و

مكارم الشريعة هي الحكمة والقيام بالعدالة بين الناس والحلم
والاحسان والفضل والقصد منها ان يتبلغ بها الى جنة
المأوى وجوار رب العزة تع وكل ما اوجد لفعل ما فقد
تمام وجود ذلك المعنى منه ودنا نبه لفقدان ذلك فيه
كالفرس المتخذ للعدو والاحضار والسيف المتخذ للعمل
المختص به في الحرب ومتى لم يوجد فيه المعنى الذي لاجله اوجد
كان ناقصا فاما ان يطرح طرحا او يرد الى منزلة النوع الذي
هو دونه كالفرس اذا لم يصلح للعدو اتخذ حمولة او اعد
اكولة والسيف اذا لم يصلح للقطع اتخذ منشارا فمن لم يصلح
لخلافة الله تع ولا لعبادته ولا لاستعماره ارضه فالبهيمة
خير منه ولذلك قال في ذم الذين تخلوا عن المنزلة الفضيلة
ان هم الا كالانعام بل هم اضل **الباب التاسع**
في السياسة التي بها يستحق خلافة الله عز وجل قد تقدم ان
الخلافة تستحق بالسياسة وذلك بتحري مكارم الشريعة
والسياسة ضربان احدهما سياسة الانسان نفسه وبدنه

وما

وما يختص به والثاني سياسته غيره من ذويه وبلده و
لا يصلح لسياسة غيره من لا يصلح لسياسة نفسه ولهذا
ذم الله تع من يترشح لسياسة غيره فامر بالمعروف ونهى
عن المنكر وهو غير مهذب في نفسه فقال اتامرون الناس
بالبر وتنسون انفسكم وقال تع لم تقولون ما لا تفعلون
وقال تع عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اي — يا ايها الذين آمنوا
هذبوها قبل الترشح لتهذيب غيركم وبهذا النظر قيل
تفقهوا قبل ان تسودوا تنبيها انكم لا تصلحون للسيادة قبل
معرفة الفقه والسياسة العامة ولان السائس يجري من
المسوس مجرى ذي الظل من ظله ومحال ان يعوج ذو الظل
ويستقيم ظله ولذلك روي السلطان ظل الله في الارض
ولا حالة ان يهتدي المسوس مع السائس ضالا قال الله تع — كونهم
يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع
خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشاء والمنكر فحكم انه محال
ان يكون مع اتباع الشيطان يامر الا بالفحشاء **الباب**

العاشر في الفرق بين مكارم الشريعة وبين العبادة
وعمارة الارض اما مكارم الشريعة فمبداها طهارة النفس — مكارم الشريعة
باستعمال التعلم واستعمال العفة واخذ النفس بالصبر والعدالة
ونهايتها التخصص بالحكمة والجود والحلم والاحسان فبالتعلم
يتوصل الى الحكمة وباستعمال العفة يتوصل الى الجود وباستعمال
الصبر يدرك الشجاعة والحلم وباستعمال العدالة تصح له
الافعال ومن حصل له ذلك فقد تدرج المكرمة المعنية بقوله
تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وصلح لخلافة الله عز وجل
وصار من الربانيين والشهدا والصالحين واعلم ان العبادة
اعم من المكرمة فان كل مكرمة عبادة وليس كل عبادة مكرمة — العبادة
ومن الفرق بينهما ان للعبادات فرايض معلومة وحدودا
مرسومة وتاركها يصير ظالما متعديا والمكارم بخلافها
ولن يستكمل الانسان مكارم الشرع ما لم يقم بوظايف العبادات
فتحري العبادات من باب العدل وتحري المكارم من باب
الافضال والنفل ولا يقبل تنفل من اهمل الفرض لان الفضل

من ترك العدل فان العدل فعل ما يجب والفضل زيادة
على ما يجب وكيف يصح تصور الزيادة على شي هو غير حاصل
في ذاته ولهذا قيل لا يستطيع الوصول من ضيع الاصول
فمن شغله الفرض عن الفضل فمعذور ومن شغله الفضل
عن الفرض فمغرور وقد اشار بالعدل الى الاحكام وبالاحسان
الى المكارم بقوله ان الله يامر بالعدل والاحسان و
بقوله يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا
ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ففعل الخير هو الزيادة
على العبادة واما عمارة الارض فالقيام بما فيه تزجية — عمارة الارض
حياة الناس وصلاح معاشهم فالانسان الواحد من
حيث لم يكفه امر معاشه بانفراده من ماكله وملبسه ومسكنه
ولم يكن له سبيل الى تزجيته في الدنيا الا بما يسد جوعته
ويستر عورته ويقيه الحر والبرد لم يكن له بد من تحصيل
ذلك من الوجه المباح ولذلك قال تعالى ان لك الا تجوع
فيها ولا تعرى وانك لا تظما فيها ولا تضحى ومتى كان

ومتى كان سعي العبد في ذلك على الوجه الذي يجب وكما يجب كان
سعيه عبادة وجهادا في سبيل الله كما قال صلى الله عليه وآله وسلم
من طلب رزقه على ما شرع فهو في جهاد ومتى لم يكن على ذلك فسعيه
هباء منثور كما قال تعالى الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وكان فيما يتولاه خادما
للناس مسخرا بلا ارادة منه لخدمتهم حتى كانه من جملة البهائم التي
سخرها الله تعالى لعباده فامتن عليهم بها في قوله والخيل والبغال
والحمير لتركبوها وزينة

الباب الحادي عشر

في كون طهارة النفس شرطا في صحة خلافة الله تعالى وكمال عبادته
لا يصلح لخلافة الله تعالى ولا يكمل لعبادته وعمارة ارضه الا من كان
طاهر النفس قد ازيل رجسها ونجسها فللنفس نجاسة كما ان للبدن
نجاسة لكن نجاسة البدن قد تدرك بالبصر ونجاسة النفس
لا تدرك الا بالبصيرة واياها قصد تعالى انما المشركون نجس   بقوله
وبقوله والرجز فاهجر وبقوله كذلك يجعل الله الرجس على الذين
لا يؤمنون وانما يصلح لخلافة الله عز وجل الا من كان طاهر النفس

فان الخلافة هي الاقتداء به على قدر طاقة البشر في تحري الافعال
الالهية ومن لم يكن طاهر النفس لم يكن طاهر القول والفعل
وكل اناء يترشح بما فيه ولن يجد مسك الشوق عن عرف السوء
ولهذا قيل من طابت نفسه طاب عمله ومن خبثت نفسه
خبث عمله وقال عليه السلام المؤمن اطيب من عمله والكافر اخبث
من عمله وقد اشار تعالى الى ذلك بقوله الخبيثات للخبيثين والخبيثون
للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات و
قوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث
لا يخرج الا نكدا ولاجل انه لا يطيب عمل من خبثت نفسه قال تعالى
اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقال بعضهم في قوله
عليه السلام لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب انه اشار بالبيت الى القلب
واشار بالكلب الى الحرص والحسد ونحوهما وتنبيه ان نور
الله تعالى لا يدخله اذا كان فيه ذلك واستدل على صحته ان الحرص
يقال له الكلب فانه يقال فلان احرص من كلب ويقوي ذلك ما
روي التقوى لا يسكن الا قلبا نظيفا والى الطهارتين اشار

تع بقوله وثيابك فطهر والرجز فاهجر وكنى بالثياب عن البدن
كقول الشاعر شعر ثياب بني عوف طهارى نقية وقال
تع انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
وقال سبحانه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد
ليطهركم وقال تع ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين
وقال بعض العلما انما سمي الحواريون بذلك لانهم كانوا يطهرون
نفوس الناس بافادتهم والعلم من قولهم حورته اي بيضته الدين صح
وما روي انهم كانوا قصارين فاشارة الى هذا المعنى
وان كان من لم يتخصص بمعرفة الحقائق تصور من هذا التفسير
المهنة المعروفة بين العامة والله اعلم **الباب**
الثاني عشر فيما يفزع اليه في طهارة النفس الذي به تطهير
النفس حتى يترشح لخلافة الله تع وتستحق به ثوابه هو المكارم
والعبادات الموظفة التي هي سبب الحياة الاخروية كما ان
الذي يطهر البدن الما الذي هو سبب الحياة الدنيوية ولذلك
سماهما الحياة وسمى ما انزل تع من كتابه الما فقال استجيبوا

لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فسمى العلم والعبادة حياة
من حيث ان النفس متى فقدتهما هلكت هلاكا لا بد كما قال
تع في وصف الما وجعلنا من الما كل شي حي افلا يومنون
وقال تع انزل من السما ما فسالت اودية بقدرها
قال ابن عباس عنى بالما القران اذ كان به طهارة النفس قال
والاودية القلوب احتملته حسبما وسعته قال بعض العلما
في قوله تع وانزلنا من السما ما طهورا وقوله وينزل من السما
ما ليطهركم به انه عنى به القران وقوله وننزل من القران
ما هو شفا ورحمة للمومنين واجد صحة قوله فان الما
المنزل من السما المختص بالطهارة الذي لا يسد غيره مسده
هو هذا الما اعني كلام رب العزة واما المختص بطهارة البدن
فقد يسد غيره مسده في الطهارة لان الذي ينبع من الارض
يعمل عمله والذي يلزم تطهيره من النفس هو القوى الثلث
قوة الفكر بتهذيبها حتى تحصل الحكمة والعلم وقوة الشهوة
بقمعها حتى تحصل العفة والجود وقوة الحمية باسلاسها

حتى تنقاد للعقل فتحصل الشجاعة والحلم ويتولد من اجتماع
ذلك العدالة فجميع الرذائل تنبعث من فساد هذه القوى
الثلث اما من فساد الفكرة فيتولد الجربزة والبله واما من
فساد القوة الشهوية فيتولد الشره او خمود الشهوة واما
من فساد الحمية فيتولد التهور والجبن ومن حصولهن لا
او حصول بعضها يحصل اما الظلم واما الانظلام فجميع
روس الفضائل الخلقية اربعة وجميع روس رذائل الخلقية
ثمانية

الباب الثالث عشر

في بيان تنازع الهوى للعقل اعلم ان مثل نفس الانسان في بدنه كمثل والي في
بلده وقواه وجوارحه بمنزلة صناع وعملة والعقل له كمشير
عالم ناصح والشهوة كعبد سوء جالب للميرة والحمية له كصاحب
شرطة والعبد الجالب للميرة خبيث ماكر يتمثل للوالي بصورة
الناصح وفي نصحه دبيب العقرب ويعارض الوزير في
تدبيره ولا يغفل عن منازعته ومعارضته وكما ان الوالي
في مملكته متى استشار في تدبيراته وزيره دون هذا العبد

الخبيث وادب صاحب شرطته وجعله موتمرا للوزير في
سلطه على هذا العبد واتباعه حتى يكون هذا العبد مسوسا
لا سائسا ومدبرا لا مدبرا استقام امر بلده وكذا النفس
متى استعانت بالعقل في التدبير وادبت الحمية وسلطته
على الشهوة وقواها استقام امرها والا فسدت ولهذا حذر
الله تعالى غاية التحذير اتباع الهوى فقال ولا تتبع الهوى فيضلك
عن سبيل الله وقال تعالى في ذم من اتبعه افرايت من اتخذ الهه
هواه واضله الله على علم وقال اخلد الى الارض واتبع هواه
فمثله كمثل الكلب وقال تعالى في مدح من عصاه واما من خاف
مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى
وقال عليه السلم اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك اشارة
الى الهوى والعقل وان كان اشرف القوى وبه صار الانسان
خليفة الله في الارض فليس له ابدا الا الاشارة الى الصواب كطبيب يشير
الى المريض بما يرى فيه برؤه فان قبل المريض والا سكت
عنه ولذلك جعل له الحمية لتكون نائبة عنه في المدافعة

التحذير

نفسك

العالم

والممانعة ولهذا لا تتبين فضيلة العقل لمن لا حجة له
بهذا النظر قبل المهين من لا يستفيد له وقال الشاعر
تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقي مربض المستاسد
الحامي وايضا مثل النفس في البدن مثل مجاهد بعث الى ثغر
يراعي احواله وعقله خليفة مولية ضم اليه ليسدده ويرشده
ويشهد له وعليه بما يفعله اذا عاد الى حضرة مولاه وبدنه
بمنزلة فرس دفع اليه ليركبه وشهوته سايس حيث ضم اليه
ليتفقد فرسه ولا قدر لهذا السايس عند المولى والقرآن بمنزلة
كتاب اتاه من مولاه قد ضمن كل ما يحتاج اليه عاجلا وآجلا
كما وصفه الله تع وانزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء و
هدى ورحمة وقوله تع ما فرطنا في الكتاب من شيء والنبي
رسول اتاه بالكتاب يبين له ما يشكل عليه مما يقراه من
الكتاب وقبيح ان ينسى هذا المولى مولاه ويهمل خليفته ولا
يراجع فيما يرشده وينقضه ويصرف همته كله الى تفقد
فرسه وسايسه ويقيم سايس فرسه مقام خليفته رتبة

ومن

ومن وجه اخر الانسان من حيث ما جعله الله تع عالما صغيرا
وجعل بدنه كمدينة والعقل كملك مدبر فيها وقواه من
الفكرة والحواس ولجنا له كجنوده واعوانه والاعضاء كرعيته
والشهوة كعدو منازعه في مملكته ويسعى في هلاك رعيته
صار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد
اعداءه فهزمه او اسره او قهره على ما يجب كما يجب حمد اثره اذا
عاد الى حضرته كما ضمنه تع حيث يقول فضل الله المجاهدين
باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى
وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما فقد قمع الهوى الذي
اعظم جهاد كما قال صلى الله عليه وآله وسلم وسئل اي الجهاد
افضل فقال جهادك هواك وان ضيع ثغره واهمل رعيته ذم
اثره اذا عاد اليه كما قال النبي عليه السلم كلكم راع وكلكم مسؤول
عن رعيته ان الله عز وجل يقول للكافرين يوم القيمة يا راعي
السوء اكلت اللحم وشربت اللبن ولم تؤوا الضالة ولم تجبر
الكسير اليوم انتقم منك وايضا مثل العقل مثل فارس متصيد

وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه معلما فهو قمين بادراك حاجته من الصيد ومتى كان هو اخرق وفرسه حرونا او جموحا وكلبه عقورا فلا فرسه ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل بعده مطيعا فهو قمن ان يعطب فضلا عن ان يدرك ما طلب وللانسان مع هواه ثلث احوال الاولى ان يغلب الهوى فيملكه كما قال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه والثانية ان يغالبه فيقهرها مرة وتقهره مرة واياه قصد بمدح المجاهدين وعناه النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاهدوا اهوائكم كما تجاهدون اعدائكم والثالثة ان يغلب هواه ككثير من الانبياء صلوات الله عليهم وبعض صفوة الاولياء والى هذا المعنى قصد بقوله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقصد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله ما من احد الا وله شيطان فقيل يا رسول الله ولا انت فقال ولا انا الا ان الله اعانني عليه فاسلم وذلك ان الشيطان

يتسلط

يتسلط على الانسان بحسب وجود الهوى فيه

الباب السابع عشر في الفرق بين ما يسومه العقل وبين ما يسومه الهوى

من شأن العقل ان يرى ويختار ابدا الافضل والاصلح في العواقب وان كان على النفس في المبدأ مؤنة ومشقة والهوى على الضد من ذلك فانه يؤثر ما يدفع به المؤذي في الوقت وان كان يعقب مضرة من غير نظر منه في العواقب كالصبي الرمد الذي يؤثر اكل الحلاوات واللعب في الشمس على تناول الاهليلج والمحاجم ولهذا قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وايضا فالعقل يري صاحبه ما له وعليه والهوى يريه ما عليه دون ما له ويعمي عليه ما يعقبه من المكروه ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم حبك الشيء يعمي ويصم ولذلك ينبغي للعاقل ان يتهم رايه ابدا في الاشياء التي هي له لا عليه وفطن انه هوى لا عقل وبالحرى ان يستقصي النظر فيه قبل امضاء العزيمة وحتى قيل اذا عرض لك امران فلم تدر ايهما اصوب

فعليك بما تكره لا بما تهوى فاكثر الخير في المكاره قال
الله تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ويجعل الله فيه
خيرا كثيرا وايضا فان ما يرى العقل يتقوى اذا افزع فيه الى
الله تعالى بالاستخارة ويساعد عليه العقول الصحيحة اذا افزع
اليها بالاستشارة وينشرح له الصدر اذا استعين فيه
بالعبادة وما يشير به الهوى على الضد من ذلك وايضا
فالعقل يرى ما يرى بحجة وعذر والهوى يرى ما يرى
بشهوة وميل وربما يشتبه الهوى بالعقل فيتعلق بشبهة
مموهة وحجة مزخرفة كالعاشق اذا سئل عن عشقه
والمتناول لطعام ردي اذا سئل عن فعله قال بعض الحكماء
اذا امال العقل نحو مؤلم جميل والهوى نحو ملذ قبيح وتنازعا
بحسب غرضيهما فحقا كما للقوة المدبرة ان تبادر بنور الله الى
نصرة العقل ووساوس الشيطان الى نصرة الهوى كما قال
تعالى الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين
كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات

وقال تعالى فعسى ان تكرهوا شيئا صح

فمتى

فمتى كانت القوة المدبرة من اولياء الشيطان ومجيبه لم تنقد
للحق فعميت عن نفع الاجل واغترت بلذة العاجل فجنحت الى الهوى
كما قال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه واضله الله على علم ومتى كان
من حزب الله واوليائه اهتدت بنوره فاستهانت بلذة العاجل
وطلبت سعادة الاجل كما قال تعالى واما ينزغنك من الشيطان
نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ان الذين اتقوا اذا مسهم
طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم
يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون وقد نبه الله على فساد الهوى
قوله ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض
اي لو اعطي كل انسان ما يهواه مع ان كل واحد يهوى ان
يكون اغنى الناس واعلاهم منزلة وان ينال في الدنيا الخير الابد
بلا موت ولا نصب لكان في ذلك فساد العالم وقيل في قوله
عز وجل الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة
اصلها ثابت وفرعها في السماء انه ضرب الشجرة الطيبة مثلا
للعقل والخبيثة مثلا للهوى ففرع الطيبة النور والسلام

فرع م

والخبيثة الكفر والضلال ان قيل ما الفرق بين الشهوة والهوى
قيل الشهوة شيئان محمودة ومذمومة فالمحمودة من فضل الله وهي قوة جعلت
في الانسان لينبعث به النفس الى ما يظن ان فيه صلاح البدن
والمذمومة من فضل الشيء وهي استجابة النفس لما فيه لذتها
والهوى هو ميل الشهوة الغالبة اذا استتبعت الفكرة وذلك
ان الفكرة بين العقل والشهوة فالعقل فوقها والشهوة تحتها
فمتى علت الفكرة ومالت نحو العقل صارت رفيعة فولدت المحاسن
واذا اتضعت ومالت نحو الهوى والشهوة صارت وضيعة
وولدت المقابح والنفس قد تريد ما تريد بمشورة العقل تارة
وبمشورة الهوى تارة ولهذا قد يسمى الهوى ارادة **الباب
الخامس عشر** في ذكر الخاطر الذي يعرض من جهة العقل
والهوى اول ما يعرض من ذلك السانح ثم الخاطر والى ذلك
اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان للشيطان لمة وان
للملك لمة فاما لمة الملك فوعد بالخير وتصديق بالحق واما
لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق ثم قرا ان الشيطان

يعدكم

يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه و
فضلا ثم من بعدهم الارادة ثم العزم ثم العمل فالسانح علة
للخاطر والخاطر علة للارادة والارادة وهي الهمة علة للعزم
فالسانح والخاطر وقد يعبر عنهما بالهاجس والواجس يتجافى
عنهما ما لم يصيرا ارادة وعنهما عفي الانسان اذا خطر له
خاطر ان يتبين عاجلا فان وجده خيرا رباه حتى يجعله فعلا
وان وجده شرا بادر الى قمعه وقلعه قبل ان يصير ارادة
ويطهر قلبه منه تطهير الارض من خبيثات النبات وهذا المعنى
اراد الحسن رحمه الله بقوله رحم الله عبدا وقف عند همه
فان كان لله مضى والا كف قال بعض الحكماء اذا تداركت
الخطرة اضمحلت والا صارت شهوة وان تداركت الشهوة
والا صارت طلبا وان تداركت الطلب والا صار عملا وقال
بعض الحكماء ان ولي الله اذا اشتد لمة الشيطان انزعج لذلك
وراى ببصيرته ظلمة ووجد كروعه واذا اشتد لمة الرحمن
عز وجل انشرح صدره واولياء الشيطان بخلاف ذلك لقوله تع

السبر امتحان

واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون
بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون

الباب السادس عشر في حصول الخلق المحمود وطهارة

النفس قد تقدم ان طهارة النفس باصلاح القوى الثلث
فاصلاح الفكرة بالتعلم حتى يميز بين الحق والباطل في
الاعتقاد وبين الصدق والكذب في المقال وبين الجميل
والقبيح في الفعال واصلاح الشهوة بالعفة حتى تسلس للجود
والمواساة المحمودة بقدر الطاقة واصلاح الحمية باسلا
حتى تحصل الحلم وهو كف النفس عن وثبات الغضب و
تحصل الشجاعة وهي كف النفس عن الخوف وعن الحرص المذموم
وباصلاح القوى الثلث تحصل للنفس العدالة والاحسان
وهي جماع المكارم وطهارة النفس وحسن الخلق المحمود
الممدوح بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم اكمل المؤمنين ايمانا
احسنهم اخلاقا والطفهم باهله ويعني كمال الطهارة باهله
تأديبهم وتهذيبهم المشار اليه بقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا

قوا انفسكم واهليكم نارا الآية والممدوح ايضا بقوله عليه السلام
ان احبكم الي احسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين يألفون
ويؤلفون وقيل جماع المكارم في قوله تعالى انما المؤمنون
الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا [باموالهم وانفسهم] في سبيل
الله اولئك هم الصادقون وذلك انه بالايمان يحصل العلم
والحكمة وذلك اصلاح الفكرة وبالمجاهدة بالاموال و
الانفس يحصل العفة والجود اللذان هما نتيجتا اصلاح الشهوة
والشجاعة والحلم اللذان هما نتيجتا اصلاح الحمية وعلى
ذلك قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين
قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تفسير ذلك هو ان تعفو عمن
ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك فالعفو عمن
ظلمك نهاية الحلم والشجاعة واعطاء من حرمك نهاية الجود
ووصل من قطعك نهاية الاحسان

الباب السابع عشر في الفرق بين الطبع والسجية والخلق

والعادة الطبع اصله من طبع السيف وهو ايجاد الصورة

المخصوصة في الحديد وكذلك الطبيعة والضريبة اعتبارا
مضروبا لدراهم والنحيتة اعتبارا بالنحت والنحا اعتبارا
بنحو الخشب والغريزة لما غرز عليه وكل ذلك اسم للقوة التي
لا سبيل الى تغيرها والشيمة اسم للحالة التي عليها الغريزة
اعتبارا بالشامة التي في اصل الخلقة والسجية اسم لما سجي
عليه الانسان من قولهم عين ساجية اي ساكنة خلقة واكثر
ما يستعمل ذلك كله فيما لا يمكن تغييره واما الخلق في الاصل
كقولهم الشَرب والشُرب والصَرم والصُرم ولكن الخَلق
يقال في القوى المدركة بالبصيرة والخَلق في الهيئات والاشكال و
والصورة المدركة بالبصر وجعل الخُلق تارة للقوى الغريزية
ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم فرغ ربكم من الخَلق والخُلق
والرزق والاجل وتارة يجعل اسما للحالة المكتسبة التي يصير
الانسان بها خليقا ان يفعل شيئا دون شيء كمن هو خليق
بالغضب لحدة مزاجه ولهذا خص كل حيوان بخلق في اصل
خلقته كالشجاعة بالاسد والجبن للارنب والمكر للثعلب وتحمل

ماق

عادة من الخلاقة اي الملامسة فكانه اسم لما مرن عليه الانسان
من قواه بالعادة وقد روي افضل الاعمال الخلق الحسن و
روي ما اعطى الله تعالى احدا افضل من خلق حسن فجعل الخلق
للهيئة الموجودة في النفس التي عنها يصدر الفعل بلا فكر وجعل
مرة اسما للفعل الصادر عنه باسمه وعلى ذلك اسماء انواعها
نحو العفة والعدالة والشجاعة فان ذلك يقال للهيئة والفعل
جميعا وربما سميت الهيئة باسم والفعل الصادر عنها باسم كالسخا
والجود فان السخا اسم للهيئة والجود اسم للفعل الصادر عنها
وان كان قد يسمى كل واحد باسم الاخر واما العادة فاسم
لتكرير الفعل والانفعال من عاد يعود وبها يكمل الخلق وليس
للعادة فعل الا تسهيل خروج ما هو بالقوة في الانسان الى الفعل
فاما ان تجذب السجية الى خلاف ما خلقت له فلا فالسجية فعل
الخالق والعادة فعل المخلوق ولا يبطل فعل المخلوق فعل الخالق
لكن ربما تقوى العادة قوة محكمة حتى تتقدم سجية وبهذا النظر
قيل العادة طبيعة ثانية

الباب الثامن عشر

في امكان تغيير الخلق اختلف الناس في الخلق فقال بعضهم
هو من جنس الخلقة ولا يستطيع احد تغييره عما جبل عليه
ان خيرا وان شرا كما قال الشاعر شعر وما هذه الاخلاق الا
غرائز فمنهن محمود ومنها مذمم ۞ ولن يستطيع الدهر تغيير
خلقة لئيم ولا يستطيعه متكرم ۞ وتعلق ايضا بقول النبي
صلى الله عليه وآله وسلم من آتاه الله وجها حسنا فليشكر الله وخلقا حسنا صح
ومما روي فرغ الله من الخلق والخلق والاجل والرزق و
قال محال ان يقدر المخلوق على تغيير فعل الخالق وقال بعضهم يمكن
تغييره لك واستدل بما قال حسنوا اخلاقكم قال ولو لم يكن لما
امر به قال ولان الله تعالى خلق الاشيا على ضربين احدهما ما لا فعل
ولم يجعل للعبد فيه عملا كالسما والارض والهيئة والشكل و
الثاني خلقه خلقا تاما وجعل فيه قوة رشح الانسان لاكماله
وتغيير حاله وان لم يرشحه لتغييره فانه كالنوى الذي جعل فيه
قوة النخل وسهل للانسان سبيلا الى ان يجعل بعون الله نخلا
وان يفسده افسادا والخلق في الانسان يجري هذا المجرى

في

في انه لا سبيل للانسان الى تغيير القوة الى ان تصير معدومة وجعل
له سبيل الى اسلاسها ولهذا قال تعالى وقد خاب من دسيها
ولو لم يكن كذلك لبطل فايدة الوعظ والوعد والوعيد والوصايا
والامر والنهي ولما جوز العقل ان يقال للعبد لم فعلت كيت ولم ت
وكيف يكون هذا في الانسان ممتنعا وقد وجدناه في بعض البهائم
ممكنا فالوحشي قد ينقل بالعادة الى التانس والجامح الى السلاسة
لكن الناس في غرائزهم مختلفون فبعضهم جبل جبلة سريعة القبول
وبعضهم جبل جبلة بطيئة القبول وبعضهم في الوسط وكل
لا ينفك من اثر القبول وان قيل فاري من منع من تغيير الخلق
فانه اعتبر القوة نفسها وهذا صحيح في النوى محال ان ينبت تفاحا
ومن اجاز تغييره منه فانه اعتبر امكانها في القوة الى الوجود
وافساده باهماله نحو النوى فانه يمكن ان يتعقد فيجعل نخلا
وان يترك مهملا حتى يعفن ويفسد وهذا صحيح ايضا فاذا اختلا فهما
على حسب اختلاف نظريهما

الباب التاسع عشر

في صعوبة اصلاح القوة الشهوية وما في هذه القوة من

المنفعة والمضرة اصعب هذه القوى مداواة قمع الشهوة
لانها اقدم القوى وجودا في الانسان واشدها به تشبثا
واكثرها منه تمكنا فانها تولد معه وتوجد فيه وفي الحيوان
الذي هو جنسه بل في النبات الذي هو جنس جنسه ثم توجد فيه
قوة الحمية ثم اخيرا توجد فيه قوة الفكر والنطق والتمييز ولا يصير
الانسان خارجا من جملة البهائم واسر الهوى الا باماتة الشهوة
البهيمية او بقهرها وقمعها ان لم يمكنه اماتتها فهي
التي تضره وتغره وتصرفه عن طريق الآخرة وتثبطه
ومتى قمعها واماتها صار الانسان حرا نقيا بل يصير الهيا
ربانيا فتقل حاجته ويصير غنيا عما في يدي غيره وسخيا
بما في يده ومحسنا في معاملته فان قيل فاذا كانت قوة الشهوة
بهذه المثابة في الاضرار فاي حكمة اقتضت ان يبلى الانسان بها
قيل الشهوة انما تكون مذمومة اذا كانت مفرطة واهملها صاحبها
حتى تملك القوى فاما اذا ادبت فهي المبلغة الى السعادة وجوار رب
العزة حتى لو تصورت مرتفعة لما امكن الوصول الى الآخرة وذاك ان الوصول

الى

الى الآخرة بالعبادة ولا سبيل الى العبادة الا بالحياة الدنيوية
ولا سبيل الى الحياة الدنيوية الا بحفظ البدن ولا سبيل الى حفظه
الا باعادة ما يتحلل منه ولا يمكن تناول الاغذية الا بالشهوة فاذا
قوة الشهوة محتاج اليها ومرغوب فيها وتقتضي الحكمة
(تقتضي)
ايجادها وتزيينها كما قال تعالى زين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث لكن مثلها مثل عدو يخشى
مضرته من وجه وترجى منفعته من وجه ومع عداوته لا يستغنى
عن الاستعانة به فحق للعاقل ان ياخذ نفعه ولا يسكن اليها
ولا يعتمد عليها الا بقدر ما ينتفع به وما اصدق في ذلك
قول المتنبي اذا تصور في وصف الشهوة وان قصدها لما
اجود من ارادها شعر ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى
عدوا له ما من صداقته بد وايضا فالشهوة هي المشوقة
لعامة الناس الى اللذات الحسية من المآكل والمشارب والمناكح اذ ليس
لكل الناس معرفة اللذات المعقولة ولو توهمناها مرتفعة

لما تشوقوها الى ما وعد وابد من قوت النبي صلى الله عليه و
وآله وسلم فيهما ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر **الباب العشرون** في ازدياد الانسان في
الفضايل والرذايل وانحطاطها كما يتفاوت العقل من الاعمال النفسية
فانه يتقوى فيه بحسب الازدياد منه ان خيرا فخير وان شرا فشر
فباحتمال صغار الامور يمكن احتمال كبيرها وباحتمال كبارها
يستحق الحمد كما قال امير المؤمنين عليه السلام الايمان يبدو
نكتة بيضا في القلب كلما ازداد ذلك البياض واذا استكمل الايمان ازداد صح
العبد الايمان ابيض القلب كله والنفاق يبدو نكتة سودا
كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق
اسود القلب كله فالانسان يترقى في الفضيلة باربع درجات
اثنين في الاعتقاد وهما ان يعتقد الحق ويحصل اعتقاده
عن براهين واضحة وادلة قاطعة لا عن شبهات واهية
واقناعات متداعية واثنين في الفعل وهما ان يترك العادات
السيئة فيجعلها بحيث يبغضها فيجتنب الرذيلة ويتوصل

الى

الى الفضيلة وان يتعود العادات الحسنة فيجعلها بحيث
يوثرها ويتنعم بها كما قال صلى الله عليه وآله وسلم وجعل قرة
عيني في الصلوة وكما انه يترقى باربع درجات فانه ينتكس
باربع درجات درجتين في الاعتقاد وهما ان لا يعتقد شيئا
من العلوم الحقيقية فيبقى منها غفلا وان يعتقد اعتقادا
فاسدا فيتلطخ بدرن درجتين في العمل وهما ان لا يتعود العادة
الجميلة راسا وان يتعود العادة الذميمة فمن صار في الفضيلة
في الدرجة الرابعة فهو ممن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور
من ربه ومن صار في الرذيلة الى الدرجة الرابعة فهو من الذين
وصفهم الله تع بقوله اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى
ابصارهم افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها وقيل
لحكيم الا تعظ فلانا فقال ذاك على قلبه قفل ضاع مفتاحه
فلا سبيل الى معالجته وللانسان مع كل فضيلة ورذيلة
ثلث احوال اما ان يكون في ابتدائها فيقال هو عبدها وابنها و
هذا قال بعضهم من لم يخدم المعلم لم يرعه والثاني ان يتوسطها

فيقاد هو آخذها وصاحبها والثالث أن ينتهي فيها بقدر وسعه
ويتصرف فيها كما اراد فيقاد هو سيدها وربها ومنه يقال
فلان ربانيّ في العلم فانّ ربّ الشيء هو الذي يربّيه وسيد الشيء هو
الذي يملك سواده اي مجمعه وغاية الفاضل في الفضيلة
ان يقع منه افعال الفضائل ابدا من غير فكر ولا روية لغلبة
قواها ولهذا أُخذ الخلق بانّه حال للانسان داعية الى الفعل
من غير فكر ولا روية

الباب الحادي والعشرون

في الفرق بين ما يحمد من التخلّق وما يذم منه الفرق بين الخلق
والتخلّق ان التخلّق معه استثقال واكتئاب ويحتاج الى بعث
وتنشيط من خارج والخُلُق معه استخفاف وارتياح ولا
يحتاج الى بعث من خارج والتخلّق والتشدد بالاغراض ضربان
ضرب محمود وذلك ما كان على سبيل الارتياض والتدرب
ويتحراه صاحبه ليجريها على الوجه الذي ينبغي وبالمقدار الذي
ينبغي واياه قصد الشاعر بقوله **شعر** ولن تستطيع الحلم
حتى تحلّما اي تتحلما وقال آخر **شعر** عليك بالقصد فيما

انت فاعله ان التخلّق يأتي دونه الخُلُق وقال عليه السلم
انما العلم بالتعلم وانما الحلم بالتحلّم وضرب مذموم
وذلك ما كان على سبيل المراياة ولا يتحراه صاحبه الا حيث
يقصد ان يذكر به ويسمّى ذلك رياء وتصنّعا وتشبّعا ولن
ينفكّ صاحبه من اضطراب يدل على تشبّعه كما وجد في كتاب
كليلة الطبعُ المتكلّف كلما زدته تثقيفا زادك تعقيفا
وعلى ذلك قول الشاعر **ع** واسرع مفعول فعلت تغيرا ❊
تكلّف شيء في طباعك ضدّه واياه قصد عمر من تحلّى للناس
بغير ما في نفسه فضحه الله تع وحال المتشبّع كالجرح يندمل على
فساد فلا بدّ ان ينبعث وان كان بعد حين ❊ فان الجرح ينفر
بعد حين اذا كان انبنى على الفساد وكما ان العضو المفلوج لا
يطاوع صاحبه في تحريكه وان حاول تحريكه الى اليمين تحوّل
نحو الشمال كذا ايضا المتشبّع والظلوم والمتهوّر وان حاولوا
انفسهم في اخفائها فان قواهم تأبى مطاوعتهم وقد ذمّ
النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك بقوله المتشبّع بما ليس عنده كلابس

ينعف الشيء اي يثنيه ويعاد تعقيفه اي عوجه ع

تولي بزور تنبيهاً انه كاذب بقوله وفعله فيضاعف فيه
وقد حمل على ذلك قوله تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون
واياه قصد النبي عليه السلم بقوله الشرك في امتي اخفى من دبيب
النمل على الصفا في الليلة الظلماء فاقبح الريا النفاق في الدين
واقبح النفاق ما كان في اصل الاعتقاد وهو اظهار الايمان
مع استبطان الكفر ولذلك جعل تعالى عقابهم اعظم فقال
ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار والله اعلم

اخفى ص

الباب الثاني والعشرون في سبب اختلاف
الناس في اخلاقهم جميع الفضائل النفسية ضربان فطري وعملي
وكل صنف منهما يحصل على وجهين احدهما بتعلم بشري يحتاج فيه
الى زمان وتدرب وممارسة ويتقوى الانسان فيه درجة
فدرجة وان كان منهم من يكفيه ممارسة ومنهم من يحتاج الى
زيادة ممارسة وذلك بحسب اختلاف الطبايع في الذكاوة والبلادة
والثاني يحصل بفيض الهي نحو ان يولد انسان من غير معلم من
البشر عالماً كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا وغيرهما من الانبيا عليهم السلم

الذين

الذين حصل لهم من المعارف من غير ممارسة ما لم يحصل للحكما
وذكر بعض الحكما ان ذلك قد يحصل لغير الانبيا ايضاً في الفينة
بعد الفينة وكل ما كان بتدرب فقد يكون بالطبع كصبي يوجد
صادق اللهجة وسخيا وجريا واخر على عكس ذلك وقد يكون بالتعلم
وبالعادة فمن صار فاضلاً طبعاً وعادة وتعلماً فهو كامل الفضيلة
ومن كان رذلاً فيها فهو كامل الرذيلة **الباب
الثالث والعشرون** في وجوب اكتساب الفضيلة المحمودة
حق الانسان في كل فضيلة ان يكتسبها خلقاً ويجعل نفسه ذات
هيئة مستعدة لذلك سواء امكنه ان يبرز ذلك فعلاً او
لم يمكنه وذلك بان يكون على هيئة الاسخيا والشجعان والحكما
والعدول وان لم يكن ذا مال يبذله ولا عرض له مقام مخطر
فيجد نه ولا معامل بينه وبين غيره يبرز فيها عدالته وقد
قيل لبعض الحكما هل من جود يعم الورى فقال نعم ان تحسن
خلقك وتنوي لكل احد خيرا وقال صلى الله عليه وسلم لن تسعوا
الناس باموالكم فسعوهم باخلاقكم واعلم ان كل فعل يحتاج

فيه الى اجادته وتجويده وتزيينه دنيويا كان او اخرويا لكن
متى كان اخرويا يحتاج مع ذلك الى امور ثلثة ولا يمكن الاتيان بها
وهي انه يجب ان يتعاطاه قصدا الى المكرمة والا لم يعتد بها
كما قال عز وجل مثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات
الله وان يتحراه بخلوص الطوية كما قال عز وجل وما امروا
الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وان لا يقصد به حظ منفعة
دنيوية او دفع مضرة فانه يكون بفعله ذلك تاجرا ويجب
عند بعض المحققين ان لا يطلب به منفعة اخروية ايضا فهذا
قيل من عبد الله بعوض فهو لئيم ومن فعل ذلك فاشتراح صدره
فهو اولى ممن يفعله بمجاهدة نفسه ولهذا قال صلى الله
عليه وآله وسلم ان استطعت ان تعمل لله في الرضا باليقين
فافعل والا ففي الصبر على ما تكره خير كثير وقولهم الحق مر
فهو باعتبار من لم يتهذب نفسه ولم يزل مرضه شعر
ومن يك ذا فم مر مريض يجد مرا به الماء الزلالا فاما
من كمل فانه يستطيب الحق وان كان ثقيلا كما قال صلى الله عليه

وآله وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة ومن اصلح نفسه
وهذب خلقه فهو اعظم الملكين فمن ملك نفسه وقواها
وهذبها وزكيها فقد اطلع بذلك على ملكوت السموات والارض
وملك اطوع جيش بلا عطايا بالمرة وقد نبه الله تعالى على ذلك
بقوله اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا واتيكم ما لم يؤت
احدا من العالمين فجعل النبوة مخصوصة فيهم وجعل الملك
عاما لهم تنبيها على المعنى الذي ذكرت وعلى ذلك قوله تعالى ام يحسدون
الناس على ما اتيهم الله من فضله فقد اتينا ال ابرهيم الكتاب
والحكمة واتيناهم ملكا عظيما

الباب الرابع والعشرون

في انواع نعم الله تعالى الموهوبة والمكسوبة نعم الله تعالى وان كانت
لا تحصى مفصلة كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
فانها بالقول المجمل خمسة انواع الاول وهو اعلاها
واشرفها السعادة الاخروية واياها قصد تعالى بقوله واما
الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات و
الارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ وذلك هو الحسنى

المحض والفضل الصرف وهو اربعة اشيا بقا بلا فنا
وعلم بلا جهل وقدرة بلا عجز وغنى بلا فقر ولا يمكن الوصول
الى ذلك الا باكتساب الفضائل النفسية واستعمالها كما امر
تع ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك
كان سعيهم مشكورا واصول ذلك اربعة اشيا العقل وكماله
العلم والعفة وكمالها الورع والشجاعة وكمالها المجاهدة
والعدالة وكمالها الانصاف وهي المعبر عنها بالدين ويكمل
ذلك بالفضائل البدنية وهي اربعة الصحة والقوة والجمال
وطول العمر وبالفضائل المطيفة بالانسان وهي اربعة اشيا
المال والاهل والعز وكرم العشيرة والسبيل الى ذلك الا بحيلم
بتوفيق الله تع وذلك باربعة اشيا هداية ورشد وتاييد
وتسديد فجميع ذلك خمسة انواع هي عشرون ضربا ليس للانسان
مدخل في اكتسابها الا فيما هو نفسي فقط واعلم ان الفضيلة
الكاملة والسعادة الحقيقية هي الخيرات الاخروية وما
عداها فتسميته بذلك اما لكونه معاونا في بلوغ ذلك واما

فيه وكل ما اعان على خير وسعادة فهو خير وسعادة وهذه
الاشياء التي هي معينة ونافعة في بلوغ السعادة الاخروية
متفاوتة الاحوال فمنها ما هو نافع في جميع الاحوال وعلى كل
وجه ومنها ما هو نافع في حال دون حال وعلى وجه دون
وجه وربما يكون ضره اكثر من نفعه فحق الانسان ان يعرفها
بحقائقها حتى لا يقع الخطا عليه في اختيار الوضيع على الرفيع
وتقديمه الخسيس على النفيس فالناس في تحريها طالب الخير
وهارب من الشر كما قال الشاعر شعر كل يحاول حيلة يرجو بها
دفع المضرة واجتلاب المنفعة والمرء يغلط في تصرف حاله
فلربما يختار العنا على الدعة لكن قد يحسب الشحم فيمن شحمه ورم
ويقدر في الشي انه رزق نافع وحشو سم ناقع فلذلك يحق
على العاقل ان يحلى ببصيرته ويعرف من كل ما يطلب حقيقته
لئلا يكون كمن يريد حبلا ينشط به فراى حية فظن انها نسعا
فاخذها فلدغته وقد قسمت الخيرات على وجه آخر فقيل الخيرات
ثلث مؤثرة لذاتها ومؤثرة لغيرها ومؤثرة لذاتها وما

لغيرها فالمؤثر لذاتها السعادات الاخروية والنفيسة والمؤثر
لغيرها الدراهم والدنانير فانا لو تصورنا ارتفاع الضرورات
التي تستدفع بها لكانت هي والحصباء سواء والمؤثر تارة لذاتها
وتارة لغيرها فكصحة الجسم فمعلوم ان الرجل وان يريدت
للمشي فالانسان يريد ان يكون صحيح الرجل وان كان غنيا عن
المشي ويقال ايضا الخيرات ثلاثة نافع وجميل ولذيذ والشرور
ثلاثة ضار وقبيح ومؤلم وكل واحد من ذلك ضربان احدهما
مطلق وهو الذي يجمع الاوصاف الثلاثة في الخير كالحكمة فانها
نافعة وجميلة ولذيذة وفي الشر كالجهل فانه ضار وقبيح ومؤلم
والثاني مقيد وهو الذي جمع شيئا من اوصاف الخيرات و
شيئا من اوصاف الشرور فرب نافع مؤذ كجدع قصير انفه
فانه وان نفعه في ادراك الثار فقد اذاه ورب نافع قبيح
كالحمق فانه وان نفع من حيث ما قيل استراح من لا عقل له
فهو جد قبيح ورب نافع من وجه ضار من وجه كمن في سفينة
خاف الغرق فالقى متاعه في الماء فخلصت السفينة وكل ما نفعه

ولذة

ولذة وجماله طول مدة واعم غاية فهو افضل فحق العاقل
ان يرغب الى الله تعالى في ان يعطيه ما فيه مصلحته مما لا سبيل بحسبه
الى اكتسابه وان يبذل الجهد مستعينا بالله تعالى في اكتساب ما
له كسبه وبلوغ الاعلى فالاعلى منه على الترتيب فذلك يشرف
ومن ضيع النفس لمقتنيا مع التمكن من تحصيله فهو دني الهمة
راض بخسيس الحال واشرفها ما اذا حصل لم يغصب ولم يحتج
في حفظه الى اعوان وحفظة وكان نافعا عاجلا واجلا و
مطلقا في كل حال وكل زمان ومكان وذلك هو الفضائل النفسية
واقسامها العقل والعلم واما القنيات الخارجة نحو الجاه والمال
فانها يقال لها الخيرات المتوسطة لانها تنجذب الى الفضيلة مرة
والى الرذيلة مرة لانها سبب للخيرات اذا كانت مع العقل وسببا
للشرور اذا كانت مع الجهل وقد نبه الله تعالى على ذلك وكونه سببا
للشر بقوله انما اموالكم واولادكم فتنة وقوله فلا تعجبك
اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا
ولذلك قيل السعيد هو الخير العاقل غنيا كان او فقيرا قويا

كان او ضعيفا ان قيل ما الخير والسعادة والفضيلة والنافع
وهل بينهما فرق قيل اما الخير المطلق فهو المختار من اجل نفسه و
المختار غيره لاجله وهو الذي يتشوقه الكل بالحسوية فان الكل
يطلب بالحقيقة الخير وان كان يعتقد في الشر انه خير فيختاره
لقصد الخير ويضاده الشر وهو المجتوى من اجل نفسه والمجتوى
غيره من اجله قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا خير بخير بعده
النار ولا شر بشر بعده الجنة فجعل الخير المطلق الجنة والشر المطلق
النار كما ترى وقد يقال لكل ما يتوصل به الى الخير خير ولهذا ما
سمى الله المال خيرا بقوله تعالى ان ترك خيرا الوصية لكن المال والجاه
في الحقيقة قد يكونان خيرا لبعض الناس وشرا لبعضهم فمعلوم انه
كان شرا لمن قال الله تعالى فيه الذي جمع مالا وعدده يحسب
ان ماله اخلده واما السعادة المطلقة فحسن الحق في الآخرة
وهي الاربع التي تقدم ذكرها من البقاء بلا فناء والقدرة
بلا عجز والعلم بلا جهل والغنى بلا فقر وقد يقال لما يتوصل
به الى هذه السعادة الاربع سعادة وهي الستة عشر المتقدمة

ويضادها

ويضادها الشقاوة واما الفضيلة فاسم لما يحصل به للانسان
مزية على غيره وهو اسم لما يتوصل به الى السعادة ويضادها
الرذيلة واما النافع في الشيء فضربان ضروري وهو ما لا
يمكن الوصول الى المطلوب الا به كالعلم والعمل الصالح للمكلفين في
البلوغ الى النعيم الدائم وغير ضروري وهو الذي قد يسد غيره
مسده وكل نافع فقد يسمى فضيلة وسعادة وخيرا لكونه مبلغا
الى ذلك وموصلا اليه

الباب الخامس والعشرون

في حاجة بعض هذه الفضائل الى بعض قد ثبت بما تقدم ان الخيرات
والفضائل خمسة انواع اخروية ونفسية وبدنية وخارجية وتوفيقية
فيجب ان يعلم ان بعض ذلك يحتاج الى بعض اما حاجة ضرورية بحيث
لو لم يوجد ذلك لم يصح وجود الآخر او حاجة نافعة بحيث لو لم يوجد
لاختل حال الآخر وذلك ان السعادة الحقيقية الاخروية لا
سبيل الى الوصول اليها الا باكتساب الفضائل النفسية ولذلك قال
تعالى ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان
سعيهم مشكورا فنبه انه لا مطمع لمن اراد الوصول اليها الا با-

ولا سبيل الى تحصيل الفضائل النفسية الا بصحة البدن وقوته
ولا بد لكمال الفضائل النفسية والبدنية من الفضائل الخارجة
فانه وان امكن ان يتوهم حصولها لمن لا اهل له ولا مال ولا عشيرة
فانه لا يكمل الا بها

الباب السادس والعشرون

في الفضائل المطيفة بالانسان قد تقدم ان ذلك بالقول المجمل
اربعة اشياء المال والاهل والعز والعشيرة وان هذه الاشياء
نافعة في بلوغ الفضيلة الحقيقية والسعادة الاخروية وجارية
مجرى الجناح المبلغ وان لم تكن الحاجة اليها في بلوغ ذلك ضرورية
فاما المال فحاجته يتمكن من فضائل اذا فقد تعذر بلوغها فمعلوم
ان كثيرا من القرب كالزكوة والحج يشكل بالفقر فالفقير في تحري
المكارم كساع الى الهيجا بلا سلاح وكباز متصيد بلا جناح و
فضل مغطى كما تحت الارض ونار كامنة في الصخر وما اصدق ما
قال الشاعر شعر فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ولا مال في الدنيا
لمن قل مجده وقول الاخر والمرء يرفعه الغنى والفقر منقصة وذل
وقال حسان رب حلم اضاعه عدم المال وجهل غطى عليه النعيم

وكان

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول اللهم اني اسألك الهدى
والتقى والعفة والغنى وقال عليه السلم نعم العون على تقوى الله
المال واما الاهل فنعم العون على بلوغ السعادة فمن كثر اهله وخاصته
صار له بهم عيون وآذان وايد وقال تع حاكيا عن لوط ع
لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد قال الشاعر ع الم تر ان جمع
القوم يخشى وان حريم واحدهم مباح وقال صلى الله عليه وآله
وسلم في نفع الولد اذا مات الرجل انقطع عمله الا من ثلث صدقة
دارة وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له وقال عليه السلم ريح الولد
من ريح الجنة وقال عليه السلم نعم العون على الدين المراة
الصالحة فالمراة من عدة الرجل قيضها الله تع له ليزرع فيها نوعه
كما قال تع نساؤكم حرث لكم وقال تع اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم
اقرب لكم نفعا فريضة من الله واما العز فبه يتابى عن تحمل الذل و
من لا عز له لا يمكنه ان يذود عن حريمه ولذلك قيل الدين والملك
اخوان توامان وقرينان مؤتلفان ومؤديان الى عمارة البلاد
وصلاح العباد وقيل الدين اس والسلطان حارس وما لا اس له

الذود منع ...

مهدوم وما لا حارس له فضائع وقد سمى الله الحجة سلطانا لقهرها
اولي البصائر وقال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لفسدت الارض واما كرم العشيرة فانه يقال له الحسب والشرف
وذلك اخص بما للآبا والعشيرة ولذلك قيل للعلوية اشراف
ومن الناس من لا يعد شرف الاصل فضيلة وقال المرء بنفسه
واستدل بقول امير المومنين عليه السلم الناس ابنا ما يحسنون وقوله
قيمة كل امرء ما يحسنه وقول الشاعر شعر كن ابن من شئت واكتسب ادبا
يغنيك محموده عن النسب وقول الحكيم الشرف بالهمم العالية لا
بالرمم البالية وليس ذلك كما ظن لان كرم الاعمام والاخوال يخيلة
لكرم المرء ومظنة له فالفرع وان كان قد يفسد احيانا فمعلوم
ان اصله يورثه الفضيلة والرذيلة وانه قلما يكون من النخل الحنظل
ومن الحنظل النخل ولذلك قال الشاعر شعر وما يك من خير
اتوه فانما توارثه آبا ابائهم قبل وهل ينبت الخطي الا وشيجه
ويغرس الا في منابتها النخل وقيل ان السري اذا اسرى فبنفسه وابن
السري اذا اسرى اسراهما وبين ذلك ان الاخلاق نتايج الامزجة

ومزاج

ومزاج الاب كثيرا ما يتادى الى الابن كالالوان والخلق والصور
ومن اجل تاديها اليه قال عليه السلم تخيروا لنطفكم وقال
اياكم وخضراء الدمن وما ذكر من نحو قول امير المومنين
عليه السلم الناس ابناء ما يحسنون فحث للانسان على اقتباس العلا
ونهي عن الاقتصار على ما ترك اباه وان الماثر الموروثة قليلة
الغنا ما لم تضامها فضيلة النفس لان ذلك انما حمد لكي يوجد
الفرع مثله ومتى اخلف الفرع وتخالف فكانه تخير ما حذر شيئين
اما تكذيب من يدعي الشرف لعنصره او تكذيبه في انتسابه
الى ذلك العنصر وما فيهما حظ لمختار والمحمود ان يكون الاصل
في الفضل راسخا والفرع بالاصل شامخا كما قال الشاعر شعر
زانوا قديمهم بحسن حديثهم وكريم اخلاق وحسن خصال
ومن لم يجتمع له الامران فلان يكون شريف النفس دني الاصل احب
من ان يكون دني النفس شريف الاصل كما قال شعر فما الحسب
الموروث لا در دره بمحتسب الا باخر مكتسب اذا الغصن
لم يثمر وان كان شعبة من المثمرات اعتده الناس في الحطب

ومن كان عنصره في الحقيقة سيئا وفي نفسه دنيا فذلك
اما من اهماله نفسه وسوء تهذيبه لها واما لتعوده عادات قبيحة
وصحبة اشرار وغير ذلك من العوارض المفسدة للعناصر
الكريمة فليس لذلك سبب الرذيلة سببا واحدا **الباب**
السابع والعشرون في الفضائل الجسمية قد استهان
قوم بذلك وقالوا يكفي المرء ان يكون صحيح البدن بريئا من
الامراض الشاغلة عن تحري الفضائل العملية وليس كذلك فالبدن
للنفس بمنزلة الآلة للصانع وبمنزلة السفينة للربان اللذين
بهما صار صانعا وربانا وجميع اجزاء البدن بالقول المجمل اربعة صار
العظام التي تجري للبدن كالالواح للسفينة والعصب الذي
يجري له مجرى الرباط الذي يشد به الالواح واللحم الذي
يجري له مجرى الحشو للرباطات والجلد الذي يجري مجرى الغشاء
لجميعها فاذا اعتدلت هذه الاربعة بان يعتدل فيها القوى
الاربع وهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة سمي
ذلك الصحة ولولا صحة البدن لما حصل انتفاع به واما القوة

فهو

فهو جودة تركيب هذه الاركان الاربعة وهي العظام والعصب
واللحم والجلد وما يتبعها وبها يصلح البدن للسعي والتصرف
في امور الدنيا والآخرة واما الجمال فنوعان احدهما انتصاب
القامة الذي يكون في الحيوان العزيز فان الحيوان اذا حصل
رفعت اجزاء الجسد الى العلو كالنبات اذا نجم كلما كان اطلب
للعلو في منبته كان اشرف في جنسه وللاعتبار بذلك استعمل
في كل ما جاد في جنسه المعالي والفائق وكثر المدح بطول القامة
نحو قوله **شعر** كان زرور القبطرية علقت علائقها منه
بجذع مقوم آخر اشم طويل الساعدين كانما يناط نجادا
سيفه بلواء والثاني من الجمال مقدودا قوي العصب ان يكون ص
طويل الاطراف ممتدها رحب الذراع غير مثقل باللحم والشحم
كما قال **شعر** فتى قد قد السيف لا متضائل ولا رهل لباته
وبادله ولا نعني بالجمال ههنا ما يتعلق به شهوة الرجال والنساء
فذلك انوثة وانما نعني به الهيئة التي لا تنبو الطباع عن
النظر اليها وهو ادل شيء على فضيلة النفس لان نورها اذا اشرق

تأدى إلى البدن آثارها وكل شخص فله حكمان أحدهما من
قبل جسمه وهو منظره والآخر من قبل نفسه وهو مخبره وكثيرا
ما يتلازمان ولذلك فزع أصحاب الفراسة في معرفة أحوال
النفس أولا إلى الهيئة البدنية حتى قال بعض الحكماء قل صورة
حسنة تتبعها نفس ردية ونقش الخواتم مقروء من الطين
وطلاقة الوجه عنوان ما في القلب وليس في الأرض قبيح إلا
ووجهه أحسن ما فيه وقال صلى الله عليه وآله وسلم اطلبوا
الحاجات إلى حسان الوجوه وقال عمر إذا بعثتم رسولا فابتغوا
حسن الوجه حسن الاسم فالوجه والعين يظهر فيهما آثار النفس
وكالمرآة يستدل بها عليهما ولذلك فيهما يظهر سرور النفس	اثار
وحزنها ورضاها وسخطها ولذلك عبر بالوجه عن الجملة
وعن رئيس القوم فقيل فلان وجه القوم وعينهم وحتى قال
تع كل شيء هالك إلا وجهه وكون الوجه فيه دلالة على فضيلة
النفس وإن لم يكن حكما لازما فهو على الأعم الأغلب وحكي أن المأمون
استعرض جيشا فمر به رجل قبيح الوجه فاستنطقه فرآه ألكن

فأمر بإسقاطه وقيل إن الروح إذا كانت ظاهرة كانت صباحة
وإذا كانت باطنة كانت فصاحة وأرى به الظاهر
والباطن وكفى ما من البيان في فضل كمال الجسم قوله تع إن
الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم وقوله تع
وزادكم في الخلق بسطة وأما طول العمر فلكل حظ للإنسان
من السعادات الدنيوية لولاه ولولا السعادات الدنيوية
لما نيلت السعادات الأخروية **الباب الثامن**
والعشرون في فضائل التوفيقية التوفيق موافقة إرادة	التوفيق
الإنسان وفعله قضاء الله تع وقدره وهو وإن كان في الأصل
موضوعا على وجه يصح استعماله في السعادة والشقاوة فقد	الاتفاق
صار متعارفا في السعادة فقط والاتفاق مطاوعة التوفيق
لكن قد يستعمل في السعادة والشقاوة جميعا فيقال اتفاق
جيد واتفاق ردي والتوفيق مما لا يستغني عنه الإنسان في
كل حال كما قيل لحكيم ما الذي لا يستغني عنه أحد في كل حال فقال التوفيق
وأنشد **شعر** إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجني عليه اجتهاده

الهداية

والسعادة التوفيقية هي الهداية والرشد والتأييد والتسديد
فيجب أن نعلم أنه لا سبيل لأحد إلى شيء من الفضائل إلا بهداية الله
تعالى فهي مبدأ الخيرات ومنتهاها كما قال تعالى أعطى كل شيء
خلقه ثم هدى وخاطب عز وجل الناس فقال ولولا فضل الله عليكم
ورحمته أي هدايته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من
يشاء وقال صلى الله عليه وآله وسلم ما منكم من أحد يدخل الجنة بعمله
فقيل ولا أنت يا رسول الله فقال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته
أي بهدايته تنبيها أنه لو لم ترحمه لم تنفعه أبدا وأنه ما كان
لنا سبيل إلى ذلك والهداية ثلاثة منازل في الدنيا الأولى
تعريف الخير والشر المشار إليهما بقوله تعالى وهديناه النجدين
وقد خول الله تعالى ذلك كل مكلف بعضه بالعقل وبعضه بالسنة
الرسل وإياه عنى بقوله تعالى وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى
على الهدى والثاني ما يمد به العبد حالا فحالا بحسب استزادته
من العلم والعمل الصالح وإياه عنى بقوله والذين اهتدوا زادهم هدى
والثالث نور الولاية التي هي أفق نور النبوة وإياه عنى بقوله

الرشد

التسديد

قل إن الفضل بيد الله قل إن هدى الله هو الهدى فأضاف ذلك
إلى لفظة الله تعالى تعظيما له ثم قال هو الهدى فجعل الهدى المطلق
وبقوله يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا أي نورا
تفرق به بين الحق والباطل وكذلك يسمى النور والحياة نحو أو من كان
ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات
ليس بخارج منها وقال تعالى أفمن شرح الله صدره للإسلام
فهو على نور من ربه وبتحري هذه المنازل الثلاثة يتوصل إلى الهداية
للجنة المذكورة في قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
لولا أن هدانا الله والرشد عناية إلهية تعين الإنسان عند توجهه
في أموره فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده وأكثر
ما يكون ذلك من الباطن نحو قوله تعالى ولقد آتينا إبراهيم رشده من
قبل وكنا به عالمين وكثيرا ما يكون ذلك بتقوية العزم أو بفسخه
والتأييد يتوجه قوله تعالى واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه والتسديد
أن يقوم إرادته وحركاته نحو الغرض المطلوب ليهجم عليه في أسرع
مدة يمكن الوصول فيها إليها وهو المسؤول بقوله اهدنا الصراط

النصرة

التأييد

العصمة

المستقيم والنصرة من الله معونة الانبيا والاوليا وصالحي العباد
بما يودي الى صلاحهم عاجلا واجلا وذلك يكون تارة من خارج
بمن يقيضه الله فيعينه وتارة من داخل بان يقوي قلوب الاوليا
ويلقي الرعب في قلوب الاعداء وعلى ذلك قوله تعالى انا لننصر رسلنا
والذين امنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد وقوله تعالى ولقد
سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا
لهم الغالبون وانما يختص بسعادة الدنيا ولا يعتبر فيه العا[قبة] فقد
فيقال له الدولة والدولة وعلى هذا قوله تعالى وتلك الايام نداولها
بين الناس وقوله في وصف الفي كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم
والتاييد تقوية امره من داخل بالبصيرة ومن خارج بقوة البطش
وللاول قال تعالى اذ ايدتك بروح القدس والعصمة فيض
الهي يقوى الانسان به على تحري الخير وتجنب الشر حتى يصير كمانع
له من باطنه وان لم يكن منعا محسوسا واياه عنى بقوله ولقد همت
به وهم بها لولا ان راى برهان ربه وقد روي ان يوسف عليه السلم
راى صورة يعقوب عليه السلم وهو عاض على ابهامه فانحجز وليس ذلك

بمانع ينافي التكليف كما تصوره بعض المتكلمين فان ذلك
كان تصورا منه وتذكرا لما كان قد حذره منه وعلى هذا
قال كذلك لنصرف عنه السوء والفحشا ومن عصمته
تعالى ان يكرر الوعيد على من يريد عصمته لئلا يغفل ساعة
من مراعاة نفسه كما قال تعالى لنبيه عليه السلم ولو تقول علينا بعض
الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين واعلم
ان رشده تعالى للعبد تسديده ونصرته وعصمته تكون بما
يخوله من الفهم الثاقب والسمع الواعي والقلب المراعي وتقييض
المعلم الناصح له والرفيق الموافق وامداده من المال بما لا يقعد
به عن مقصوده قلته ولا يشغله عنه كثرته ومن العشيرة والحرم
ما يصونه عن سفه السفها وعن الغض منه من جهة الاغنيا
وان يخوله من كبر الهمة وقوة العزيمة ما يحفظه عن التسفف
للدنية والتاخر عن بلوغ المنزلة السنية

الباب التاسع والعشرون فيما يتولد من الفضائل النفسية

امهات الفضائل النفسية وان كن اربعا فلها بنات هي

عقل العملي

امهات الفضائل اخر وبيان ذلك ان العقل متى تقوى
تولد من حسن فطنة جودة الفكر وجودة الذكر ومن حسن العقل
الفطنة وجزالة الراي وتولد من اجتماع اربعتها جودة
الحفظ وجودة الفهم والشجاعة مهما تقوت تولد
منها الجود في حال النعمة والصبر في حال المحنة والصبر
يزيل الجزع ويورث الشهامة المختصة بالرجولية كما قال
شعر
خلقنا رجالا للتجلد والاسى وتلك الغواني للبكا والمآتم
والعفة اذا تقوت ولدت القناعة والقناعة تمنع من
الطمع في مال الغير فتولد الامانة والعدالة اذا تقوت تولد
الرحمة والرحمة هي الاشفاق من ان يفوت ذا اخر حقه
فهي تولد الحلم والحلم يقتضي العفو والانسانية والكرم
مجمع بين الفضائل وذاك ان الانسانية هي الفضائل النفسية
المختصة بالانسان وبقدر ما يكتسبه الانسان يستحق هذه
الصفة وفيها تفاضل كثير كما تقدم في الفرق بين الانسان
والانسان فمنهم من قد ارتفع حتى لحق بالافق الملكي فلو تصور ربما

ملكا جسيما لكان هو اياه لارتفاعه عن الانسانية الا صورة
التخطيطية وعلى هذا قوله تعالى ان هذا الا ملك كريم ومنهم
من اتضع حاله حتى صار في افق البهائم فلو تصور كلبا
او حمارا منتصب القامة لكان هو اياه لانسلاخه من
الانسانية الا الصورة التخطيطية وعلى هذا قوله تعالى ان هم
الا كالانعام بل هم اضل سبيلا ومنهم من هو في وساط
هذين في درجة من درجات لها كثيرة ولهذا يصح ان يقال
فلان اكثر انسانية من فلان وما يختص به لفظ الانسانية
هو الاخلاق المحمودة فاما المذمومات من الاخلاق فيشارك
الانسان فيها البهائم والشياطين واما المروة فلها اشتقاقان
احدهما يقتضي ان يكون مع الانسانية متقاربتين
وهو ان يجعل من قولهم مرو الطعام وامراه اذا يختص
بالمري لموافقة الطبع فكانها اسم للاخلاق والافعال التي
تقبلها النفوس السليمة فعلى هذا يكون اسما للافعال المستحسنة
كالانسانية والثاني ان يكون من المرء فيجعل اسما للمحاسن

المروة

الكرم

الحرية

التي يختص بها الرجال دون المراة فيكون كالرجولية وذلك
اخص من الانسانية اذ الانسانية يشترك فيها الرجال
والنسا والمروة اخص فكثير مما يكون فضيلة للمراة يكون
رذيلة للرجل كالبذل والخفر والبخل والجبن ولهذا قيل افضل
اخلاق الرجال اردل اخلاق النسا وذلك كالجود والشجاعة
والكيس وكان التهامي نظر الى هذا المعنى حيث قال شعر
لا عيب فيهم غير شح نسائهم   ومن السماحة ان يكن شحاحا
والكيس رذيلة الطين وقيل لمعوية ما المروة فقال اطعام الطعام
وضرب الهام وقيل للاحنف فقال ان لا تفعل في السر ما تستحي
منه في العلانية وقيل للاخر فقال اجماعها في قول الله تع
ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى
عن الفحشاء والمنكر والبغي واما الكرم فاسم لمجامع الاخلاق
والافعال المحمودة اذا ظهرت بالفعل والحرية مثله لكن يقال
ذلك لمن لم تستعبده المطامع والاغراض الدنيوية وذكر
بعض الحكما ان الحرية يقال في المحاسن الكبيرة والصغيرة

والكرم

والكرم لا يقال الا في المحاسن الكبيرة كمن ينفق مالا
في تجهيز جيش في سبيل الله او تحمل حالة يرقا بها دما قتيل
فكل كرم حرية وليس كل حرية كرما وايضا فالحرية يتعلق بالتظلف
عن الاخذ اكثر والكرم يتعلق بالانفاق اكثر ويضاد
الكرم اللوم والحرية العبودة اعني المذكورة في قوله شعر
والعبد لا يطلب العلا ولا يعطيك شيا الا اذا رهبا
فكما ان الكرم اعم من الجود فاللوم اعم من البخل ولا يدخل في
الحرية والكرم النسا فانهن مستخدمات لا مستعبدات
ولذلك روي لو امر الله مخلوقا بعبادة مخلوق لامر النسا
ان يسجدن لازواجهن   ان قيل ما حقيقة قول الله
عز وجل ان اكرمكم عند الله اتقيكم   قيل لما كان الكرم اسما
للاستعمال الافعال المحمودة التي تقدم ذكرها وهذه الافعال
انما يكون فاضلة اذا كانت عن علم وقصد بها اشرف الوجوه
اي وجه الله وذلك هو التقوى فليست التقوى الا بالعلم
وتحري الافعال المحمودة فاذا كل من كان اتقى فهو اكرم

العزيز
والعزيز الذي يتأبى تحمل المذلة واشتقاقه من العزاز وهو
كالمتظلف في الامتناع من تناول الشهوات المذلة واصله
من الظلف اي الارض الصلبة وفرق بعض الحكماء بين
العزيز والكريم فقال الكريم يأبى ان يفضله والعزيز يأبى
اسم
الظرف
ان يفضل عليه والظرف حالة تجمع عامة الفضائل النفسية
والبدنية والخارجة تشبيها بالظرف الذي هو الوعاء
ولذلك قال اعرابي فلان حاضن الشرف ومقر الفضل
ولكونه واقعا على كل ذلك قيل لمن حصل له علم وشجاعة ظريف
فالظرف اعم من الحرية والكرم والفتوة كالمروة فانها اسم
الفتوة
لما يختص به الفتى من الفضائل الانسانية لكن هي بالرجولية
اشبه وقد استعارت الصوفية لفظ الفتوة للتصوف
لكونهما مشاركة له في جميع احكامها الا في الغرض فان غرض
الفتيان استجلاب محمدة الاقران وغرض المتصوفة استجلاب
الحسب
محمدة الرحمن بل مجرد مرضاته تعالى واما الحسب فقد يقال
فيما يختص به الانسان فيعد من مآثره وقد يقال فيما يوثر

عن

عن ابائه والشرف نحوه لكن اكثر ما يقال فيما يوثر عن
الاباء

الباب الثلثون في تلازم الفضائل

النفسية بعضها بعضا العقل والعفة والشجاعة والجود
والعدالة وساير الفضائل بينها تلازم فان العقل اذا اشرف
عقل صاحبه عن الاقدام على ما يورثه مذمة ويحمله على الاقدام
على المخاوف التي تورثه المحمدة وعلى ان يسمح بفضلات ما
في يده لمن يحتاج اليه وان يبذل لكل ذي حق حقه وذلك هو
العفة والشجاعة والجود والعدالة وكذا اذا كان عدلا
حمله عدله على ترك تناول ما لا يجوز تناوله وان لا يحجم عما يلزم
الاقدام عليه وان لا يبخل بفضلات ما في يديه واذا كان شجاعا
لا تهزمه شهوته على تناول ما لا يجوز تناوله وعلى ظلم غيره ولا
يخاف الفقر فيبخل وبهذا النظر جعل بعض الشعراء الشجاعة سماحة
والسماحة شجاعة فقال شعر ايقنت ان من السماح شجاعة
تدمي وان من الشجاعة جودا وجعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم
دفع الشهوة جهادا فقال جاهد هواك وجعل العفة

جودا فضل الجود جودان جود فيما في يدك وجود فيما في
يد غيرك وهو اعظمها وهذه الفضائل اذا حصلت حصل
بها الانسانية والحرية والكرم وعنها يحصل الاسلام و
الايمان والتقوى والاخلاص

الباب الحادي والثلثون

في البواعث على فعل الخير وتحري الفضائل
البواعث على تحري الخيرات الدنيوية ثلث ادناها الترغيب
والترهيب ممن يخشى ضره ويرجى نفعه والثانية رجا
الحمد وخوف الذم ممن يعتد بحمده وذمه والثالثة تحري
الخير وطلب الفضيلة فالاولى من مقتضى الشهوة وذلك من
فعل العامة طغام والثانية من مقتضى الحمية وهي من فعل السلاطين
وكبار ابنا الدنيا والثالثة من مقتضى العقل وذلك من فعل
الحكما ولهذه المنازل الثلث قيل خير ما اعطي الانسان عقل
يردعه فان لم يكن فحيا يمنعه فان لم يكن فخوف يقمعه فان لم
يكن فمال يستره فان لم يكن فصاعقة تحرقه فتريح منه العباد
والبلاد وكذلك البواعث على الخيرات الاخروية ثلث الاولى

الرغبة في ثواب الله تع والمخافة من عقابه وذلك منزلة
العامة والثانية رجا حمده ومخافة ذمه وذلك منزلة
الصالحين والثالثة طلب مرضاة الله تع في المحبوبات
وذلك منزلة النبيين والصديقين والشهدا وهي اعزها
وجودا ولذلك قال بعضهم افضل ما يتقرب به العبد الى الله
ان يعلم انه لا يريد العبد من الدنيا والاخرة غيره قال الله
عز وجل واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي يريدون وجهه وقيل لرابعة لم لا تسئلين الله
الجنة فقالت الجار ثم الدار وبهذا النظر قال بعضهم من
عبد الله بعوض فهو لئيم وقال بعض العلما هذه المنازل الثلث
منازل الظالم والمقتصد والسابق واجدر ان يكون منازل
هؤلاء الثلثة ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سائل
العلما وخالط الحكما وجالس الكبرا وقد قال بعض الحكما مسائلة
العلما ترغبك من الله في ثوابه وتخوفك من عقابه ومخالطة
الحكما يقربك من الحمد ويبعدك من الذم ومجالسة الكبراء

مرشدك فيما عدا فضل الله عز وجل

الباب الثاني والثلثون

في الموانع من تحري الفضائل وهي ضربان
قصور ونقص فأما القصور فان لا يكون له المعاني العشر
التي قدمناها ولا قدرة على اكتسابها او يكون له ذلك و
لكن يعوقه عن استعماله عائق من مرض وشغل ضروري
يعدمه الحاجة الى السعي فيما يسد عنه جوعته ويستر عورته
ومما عدم الوسع المذكور في قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا
وسعها ودواء الامرين الفزع الى الله والتضرع اليه بان يجبر
نقصه بتمام جوده وسعة رحمته واما النقص فاربعة
اشياء الاول ان يكون الانسان لا يعرف الحق من الباطل
والجميل من القبيح فهي غفلة ودواء سبيله وهو التعليم الصالح و
الثاني ان يكون قد عرف ذلك لكن لم يتعود الفعل الصالح و
زين له سوء عمله فرآه حسنا فتعاطاه وامره اصعب من الاول
لكن يمكن ان يقسر على العادة الجميلة حتى يتعودها وان كان
قد قيل ترك العادة شديد والثالث ان يعتقد في الباطل

انه حق وفي القبيح انه حسن ويربى على ذلك ومداواة ذلك
صعبة جدا فقد صار ممن طبع على قلبه اذ قد تمكن بنفس
خسيس كالغاغلت فيما يؤدي حذقه الى خرقه وفساده
والرابع ان يكون مع جهله وتربيته على فساد الاعتقاد
شريرا في نفسه يرى الخلاعة وقهر الناس فضيلة وذلك اصعب
الوجوه والى نحوه قصد من قال التهذيب تأديب الذئب
ليرتاض وغسل المسح ليبيض فالاول من هؤلاء الاربعة يقال
له الجاهل والثاني الضال والثالث الفاسق والرابع يقال له مع ذلك كله شرير

الباب الثالث والثلثون

في الارتقاء في درجات
الفضائل والانحدار عنها الى اقصى الرذائل للانسان في منازل
الفضائل مرتقى صعب ومنحدر سهل وعلى الارتقاء حث الله
تعالى بقوله وسارعوا الى مغفرة من ربكم وبقوله فاستبقوا
الخيرات ومدح بقوله اولئك يسارعون في الخيرات وهم
لها سابقون وعن الانحدار منها نهى الله تعالى بقوله ولا ترتدوا
على ادباركم فتنقلبوا خاسرين وبقوله كالتي نقضت غزلها

من بعد قوة

من بعد قوة انكاثا وذم قوما شانهم ذلك بقوله ان الذين
ارتدوا على ادبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى وبقوله
ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا فان
الاية تقتضي هذا المعنى وان كان ظاهرها يدل على الجهل
الذي يورثه الهرم والخيرات يترقى فيها فيبلغ بها الى اشرف
المنازل باربع درجات فاما درجات الارتقاء فاولها ان
يرتدع الانسان عن المآثم ويهجرها ويندم عليها ويعزم على
تركها معاودتها وذلك اولى درجات التائب المطيع لله و
رسوله وثانيها ان يقوم بالعبادات الموظفة عليه ويسارع
فيها بقدر وسعه وذلك درجة الصالحين وثالثها ان يتحرى
بعمل الخير الحقيقي تعاطي الحسنات من غير تلفت منه الى المحظورات
بمجاهدة هواه وامانة شهواته وذلك منزلة الشهداء ورابعها
ان يكون مع هذه الاحوال المتقدمة يرضى بقضاء الله ولا يتبرم
تحت حكمه ولا يتسخط شيئا من امره ويعلم ان الله تع اولى به من
نفسه وذلك درجة الصديقين وهذه المنازل الاربعة هي المرادة

بقوله

والصديقين

بقوله تع ومن يطع الله ورسوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
من النبيين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا واجدر
ان يكون هذه المنزلة الرابعة تنال بامتثال ما سوغها في قوله عز
وجل يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا
واتقوا الله لعلكم تفلحون واعلم ان منزلة الرضا اشرف
المنازل بعد النبوة فمن رضي عن الله رضي الله عنه لقوله عز وجل
رضي الله عنهم ورضوا عنه فجعل احد الرضوين مقرونا بالاخر
فمن بلغ هذه المنزلة فقد عرف خساسة الدنيا واطلع على جنة المأوى
وخطب مودة الملأ الاعلى وحظي بتحيتهم المعينة بقوله تع والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار
واما درجات الانحدار والارتداد عنها فاولها الكسل عن
تحري الخيرات ويورثه ذلك المعنى بقوله تع فلما زاغوا ازاغ الله
قلوبهم وثانيها العماوة وهي ترك النظر ونقض العمل فيورثه
ذلك رينا على قلبه المعنى بقوله كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون وثالثها الوقاحة وهي ان يرتكب الباطل ويراه في صورة

الحق ويذهب عنه فيورث ذلك قساوة القلب قال الله تع
ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة و
رابعها الانهماك في الباطل فيستحسنه ويحسنه فيورث ذلك
ختما على قلبه واقفالا عليه كما قال تع ام على قلوب اقفالها
وكما قال تع ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة
والكسل سبب الغباوة والغباوة سبب الوقاحة والوقاحة سبب
الانهماك في الباطل كما ان الرين يوجب الرين والرين يوجب
القساوة والقساوة توجب الختم والاقفال حتى ان الانسان
يداعي نفسه في الابتدا ولا يترخص في ارتكاب الصغاير فيؤديه
ذلك الى ارتكاب الكباير لان الامور فيهما مما يهيج لك العظم
وقد قال تع فان رجعك الله الى طايفة منهم فاستاذنوك
للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم
بالقعود اول مرة ادام الى ان صاروا محكوما عليهم انه
لا ينبغي منهم للخروج معه بوجه والله اعلم

الباب الرابع والثلثون

في بيان عادة الله في تهذيب الذين ترددوا الى الرذايل

حتى

حتى فسدت اخلاقهم الناس متى تركوا تعاطي الاحسان والافضال
وتحري العدالة فيما بينهم فلا يأتونها لا خلقا ولا تخلقا ولا ريا
ولا سمعة ولا رغبة ولا رهبة فصاروا في تعاطي الشر سواسية
كاسنان الحمار عدم فيهم الفضل كما قال صلى الله عليه وآله وسلم لن يزال
الناس بخير ما تباينوا فاذا استووا هلكوا الى ان بقي في نفوسهم
اثر قبول الخير انشا الله فيهم من يهديهم باللسان والسيف كبعثة
النبي صلى الله عليه وآله وسلم في العرب لما بقي فيهم من اثر الخير بتعظيم
الشهر الحرام والبيت الحرام والوفا بالذمام وان قل فيهم قبول
الخير سلط عليهم سيفا جايرا كما قال تع وكذلك نولي بعض الظالمين
بعضا وقال عليه السلم ان الله ينتصف من اوليائه باوليائه
ومن اعدائه باعدائه وعاملهم بما عامل بني اسرائيل حيث سلط
عليهم بخت نصر وقد ذكر الله تع ذلك في قوله فاذا جاء وعد اولهما
بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد الايه وان عدم منهم اثر القبول
بعث عليهم عذابا يفنيهم اما طوفانا او جايحة او نارا تحرقهم او
ريحا فيها عذاب اليم والجراد والقمل والضفادع والدم فيطهر

منهم البلاد ويريح منهم العباد صنيع الله تعالى بعاد وثمود و
قوم نوح ولوط وذلك كالارض اذا استولى عليها الشوك و
الدغل فلا بد من نسفها وتسليط النار عليها حتى تعود بيضاء

الباب الخامس والثلثون في اصناف الناس

الناس ضربان خاص وعام فالخاص من تخصص بالمعارف بالحقائق
دون التقليدات ومن الاعمال بما يتبلغ به الى جنة المأوى دون ما
يقتصر به على الحيوة الدنيا والعام اذا اعتبر فالذين يرضون من المعارف
بالتقليدات ومن اكثر الاعمال بما يؤدي الى منفعة دنيوية واذا اعتبر
بامور الدنيا فالخاص من يختص بامور البلد بما ينخرم بافتقاده احدى
السياسات المدنية والعام من لا ينخرم بافتقاده شيء منها وهم
من وجه اخر ثلثة اضرب خاصة وعامة واوساط فالاوساط هم المسمون
في كلام العرب بالسوقة فالخاص هو الذي يسوس ولا يساس والعام
هو الذي يساس ولا يسوس والوسط هو الذي يسوس من دونه
ويسوسه من فوقه ومن وجه اخر ثلثة اضرب اصحاب الشهوات
وهمتهم الجدة واليسار والاكل والشرب والبعال واصحاب الكرامة وهمتهم

والسياسة وهمتهم المدح واجتلاب الصيت والمحمدة واصحاب
الحكمة وكل واحد منهم يستعظم من هو من جنسه ولهذا احتاج السلطان
ان يتخصص بكل ذلك ويتحققه ليكون معظما عند كل ضرب من
الناس فيعظمه اصحاب الحكمة لحكمته واصحاب الكرامة والرياسة لرياسته
واصحاب الشهوات لماله وكثرة قنيانه ومن وجه اخر ثلثة اضرب
ملكي وشيطاني وانسي فالملكي يستعمل القوة العاقلة بقدر
جهده وهم المؤمنون حقا والشيطاني الذي يستعمل القوة
الشهوية من غير تلفت الى مقتضى العقل والانسي الذي خلط
عملا صالحا واخر سيئا وهم المذكورون في قوله تعالى فاما ان
كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان
من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان
من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم وهم
المؤمن والكافر والفاسق وهم ايضا ثلثة اضرب المذكورون
في قوله عز وجل وكنتم ازواجا ثلثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب
الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة والسابقون

السابقون اولئك المقربون في جنات النعيم ومن وجه آخر
مصطفى ومسترذل فالمصطفى ثلثة اضرب ظالم لنفسه و
مقتصد وسابق بالخيرات وهم المذكورون في قوله عز وجل
ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم
لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله
وهم ايضا اعني المصطفين ثلثة اضرب انبياء للمشاهدة والهداية
لقوله تع لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب و
الميزان ليقوم الناس بالقسط وحكماء هم الاولياء للمراقبة و
الرعاية لقوله تع الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى الاية وعوام للمجاهدة
والكفاية وهم المذكورون في قوله تع يجاهدون في سبيل الله و
لا يخافون لومة لائم وهم ايضا اعني الناس ضربان عبد بالطبع
وان كان ملكا وملك بالطبع وان كان عبدا استرقاقا الملك
من يحصل من الفضائل النفسية التي بها يصير الانسان بحيث
يصح ان يوصف بانه رباني والهي وملكي وحصل له ان يكون خليفة الله

في ارضه والعبد من قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم تعس عبد
الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس وانتكس
ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش ياحبذا عبد الله وعبيده
وقال بعض الحكماء ما من انسان الا وقد خلق من اخلاق الحيوانات
وبعض النبات لكونه الانسان مشاركا وان كان مباينا لها في
النوعية فمن الناس من يكون غشوما كالاسد وعابثا وخبا
كالثعلب وشرها كالخنزير وجامعا كالنمل ووقحا كالذباب
وبليدا كالحمار والوفا كالطير الوفا وصنعا كالسرفد وانفا
كالاسد وغيورا كالديك وهاديا كالحمام ومنهم حسن المنظر
والمخبر كالاترج ومنهم بخلاف ذلك كالعفص والبلوط ومنهم
قبيح المنظر حسن المخبر كالجوز واللوز ومنهم حسن المنظر قبيح المخبر كا
والموز الحزني الحيوانات كالنحل ياخذ اطايب الاشجار فلا
يقطع ثمرا ولا يكسر شجرا ولا يوذي حجرا ثم يعطي الناس ما يكن
نفعه ويحلو طعمه ويطيب ريحه وهو في الاشجار كالاترج يطيب
حملا ونورا وعودا وورقا والمنافق الشرير وهو في الحيوانات كالقمل

والارضة وفي الاشجار مثل الكوثث فلا اصل ولا ورق
ولا نسيم ولا ظل ولا زهر يفسد الثمار ويبس الاشجار و
كالنميمة التي قل ورقها وكثر شوكها وصعب مرتقاها

الفصل الثاني في العقل والعلم والنطق وما يتعلق بها وما يضادها

الباب الاول

في فضيلة العقل العقل اول جوهر اوجده الله تعالى بدلالة ما
روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اول ما خلق الله تعالى
العقل فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر ثم
قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك آخذ
وبك اعطي ولو كان على ما توهم قوم انه عرض لما صح ان يكون
اول مخلوق لانه لا يتصور وجود شيء من الاعراض خاليا عن جوهر
يحله وقال صلى الله عليه وآله وسلم لا دين لمن لا عقل له وقال
عليه السلام لا يعجبكم اسلام رجل حتى تعرفوا عقدة عقله
من هذا الوجه الذي اشار النبي عليه السلام قالت الحكماء من
لم يكن عقله اغلب خصال الخير عليه كان حتفه في اغلب خصال الخير

عليه

عليه فبالعقل صار الانسان خليفة الله تعالى ولولاه لم مرتقيا
ارتقت الفضائل من العالم فضلا عن الانسان وبما عرفه
الله تعالى منه في الانسان اهتدى من وفقه الله تعالى الى تزكية
نفسه المذكورة في قوله تعالى قد افلح من زكيها وقد خاب من
دسيها وحصل به حرث الاخرة المذكورة في قوله تعالى من كان
يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث
الدنيا نؤته منها وما له في الاخرة من نصيب وثمرة حرث
الاخرة على التفصيل سبعة اشيا بقا بلا فنا وقدرة بلا عجز
وعلم بلا جهل وغنى بلا فقر وامن بلا خوف وراحة بلا شغل و
عز بلا ذل والى العقل اشار تعالى بقوله الله نور السموات و
الارض الاية معنى نور السموات والارض منورهما والنور
هو العقل وقد تقدم وجه صوب هذا المثل والعقل يقال
على ضربين احدهما بغير اضافة وهو المذكور فيما تقدم من
الخبر انه اول مخلوق والثاني بالاضافة الى احاد الناس فيقال
عقل فلان وهو من الاول بمنزلة الضوء من الشمس الباب

الثاني في انواع العقل العقل عقلان غريزي وهو القوة
المتهيئة لقبول العلم ووجوده في الطفل كوجود النخل في النواة
والسنبلة في الحبة ومستفاد وهو الذي به تقوى تلك
القوة وهذا المستفاد ضربان ضرب يحصل للانسان حالا
لا باختيار منه فلا يعرف كيف حصل ومن اين حصل
وضرب يحصل باختيار منه فيعرف كيف حصل ومن اين حصل
وحصوله بقدر اجتهاده في تحصيله ولكون العقل غريزيا ومستفادا
قال امير المؤمنين علي عليه السلام العقل عقلان مطبوع
ومسموع فلا ينفع مسموع اذا لم يكن مطبوع كما لا ينفع الشمس
وضوء العين ممنوع والى الاول اشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم
بقوله اول ما خلق الله العقل والى الثاني اشار بقوله صلى الله عليه
وآله وسلم لعلي عليه السلام اذا تقرب الناس الى خالقهم بابواب
البر فتقرب انت اليه بعقلك تسبقهم بالدرجات والزلفى
عند الناس في الدنيا وعند الله في الآخرة وقال صلى الله عليه
وآله وسلم ما كسب احد شيئا افضل من عقل يهديه الى هدى و

يرده

يرده عن ردى ولاختلاف النظرين قال قوم العقل مبدع
وقال قوم هو مكتسب وكلا القولين صحيح من وجه وقد
والعقل الغريزي للنفس بمنزلة البصر للجسد والمستفاد بمنزلة
النور فكما ان البدن متى لم يكن له بصر فهو اعمى كذلك النفس
متى لم يكن لها بصيرة اي عقل غريزي فهي عمياء وكما ان البصر
متى لم يكن معه نور من خارج لم يجد بصرا كذلك العقل اذا لم يكن
له نور من العلم مستفاد لم يجد بصيرة ولذلك قال تعالى ومن
لم يجعل الله له نورا فما له من نور وقد جعل للقلب اي العقل نظرا
وادراكا ورؤية وجعل له اضدادا من العمى وغيره وقال عز وجل
وتريهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وقال تعالى ما كذب
الفؤاد ما رأى وقال عز وجل وكذلك نري ابراهيم ملكوت
السموات والارض وليكون من الموقنين ولما كان
فقدان البصيرة اشنع من فقدان البصر لان بارتفاع البصيرة
ارتفاع النفع بالبصر قال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور فذمهم بفقدان البصيرة ونبههما ان فقدانهما

اختيار به اذ هو بتركهم استفادة العلم واكثر فقدان البصر ضرر به
وقال تع الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون
سمعا فلولا ان العين اريد بها البصيرة لما قال عن ذكري لان
الذكر لا يدرك بحاسة العين وقال ابن عباس لمن عيره بفقدان
البصر انا نصاب في ابصارنا وانتم تصابون في بصايركم وكيف
لا يكون فقدان البصيرة اعظم ضررا من فقدان البصر وقد تقدم
ان البدن بمنزلة فرس والنفس بمنزلة راكب وضرر عمى الراكب
نفسه اشد عليها من ضرر عمى فرسه

الباب الثالث

في المكتسب من العقل الدنيوي والاخروي العقل المكتسب ضربان
احدهما بالتجارب الدنيوي والمعارف المكتسبة والثاني
العلوم الاخروية والمعارف الالهية وطريقاهما متنافيان و
قد ضرب امير المؤمنين عليه السلم لذلك امثالا فقال ان مثل الدنيا و
الاخرة ككفتي الميزان لا ترجح احدهما الا بنقصان الاخرى وكالمشرق
والمغرب كلما قرب احدهما بعد من الاخر وكالضرتين اذا ارضيت
احدهما اسخطت الاخرى ولذلك نرى قوما اكياسا في امور الاخرة

بلها

بلها في امور الدنيا حتى قال صلى الله عليه واله وسلم الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت وقال المنتسب بعض الصالحين الى البله اكثر
اهل الجنة البله ولاختلاف طريقتهما قال الحسن ادركنا اقواما
لو رايتموهم لقلتم مجانين ولو راوكم لقالوا شياطين ولفقد
الاعتداد بالمعارف الدنيوية قال الرجل وصف حضرا بنا بالعقل
مه انما العاقل من وحد الله وعمل بطاعته وقال سبحانه حكاية
عن اهل لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير ومن قصور — النار
اختلاف الطريقين اعني طريق الدنيا وطريق الاخرة لم يعرض له
الشبهة التي عرضت لقوم قالوا لو كان ههنا حق لما جهله الذين
لم يلحق شاوهم في تدبير الدنيا ودقايق الصناعات ووضعوا
الحكم والسياسات وقال انه من المحال ان يظفر سالك طريق المشرق
بما لا يوجد الا في طريق المغرب ويظفر سالك طريق المغرب بما لا
يوجد الا في طريق المشرق كذلك من المحال ان يظفر سالك طريق
المعارف الدنيوية بمعارف طريق الاخرة وقد نبه الله تع على ذلك
بقوله ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا

بها والذين هم عن آياتنا غافلون وبقوله ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ولا يكاد يجمع بين معرفة طريق الدنيا والآخرة على التحقيق والتصديق الا من رشحهم الله تعالى لتهذيب اهل الدنيا في امر معاشهم ومعادهم جميعا كالانبيا وبعض الحكما ولما كان العقل هو الذي يردع الانسان عن الذنب واكتسابه على التمام والكمال في الورى عيسى لم ينفك احد من ذنب يرتكبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ما منا نبي الا اذنب او هم

الباب الرابع

في منازل العقل واختلاف اسمائها بحسبها العقل اسم عام لما يكون بالقوة وبالفعل ولما يكون غريزيا ومكتسبا وهو في اللغة تقييد البعير لئلا يند وسمي به الجوهر تشبيها على عادتهم في استعارة اسماء المحسوسات للمعقولات وخص بناء المصدر به لما كان يستعمل مرة للحدث ومرة للفاعل نحو عدل وصوم وزور ومرة للمفعول نحو خلق وامر لكي يتصور منه كونه سببا لتقيد الانسان به وكونه مقيدا له لتعاطي ما

لا يحمل

النهى

لا يجمل وكونه مقيدا من بين الحيوان والنهى في الاصل جمع نهية او اسم مفرد نحو حطم وصرد او وصف نحو دليل ختع وسبا حطم وجعل اسما للعقل الذي ينتهي من المحسوسات الى معرفة ما فيه من المعقولات ولهذا اختار ما يدل على معاني المحسوسات في نحو قوله عز وجل افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم ان في ذلك لآيات لاولي النهى وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان في ذلك لآيات لاولي النهى

الحجر

والحجر اصله من الحجر وهو المنع وهو اسم لما يلتزمه الانسان من حظر الشرع والدخول في احكامه على ذلك قوله هل في ذلك قسم لذي حجر

الحجى

وسمي حجى من حجاه اي قطعه ومنه الاحجية فكانه سمي بذلك لكونه قاطعا للانسان عما يقبح

اللب

واما اللب فهو الذي قد خلص من عوارض الشبهة وترشح لاستفادة الحقائق من دون المفزع الى الحواس ولذلك علق الله تعالى ذكره في كل موضع بحقائق المعقولات دون الامور بالمحسوسات نحو قوله تعالى ان في خلق السموات والارض

العلم

واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب فوصفهم بهذا حيث
الله تعالى اياهم وقد سمى الله تعالى العلم نورا والجهل ظلمة فقال تعالى
الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين
كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات
وسماه روحا في قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وسماه
حياة والجهل موتا فقال اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا
يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها وقوله تعالى
وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل
ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات ان الله يسمع من
يشاء وما انت بمسمع من في القبور ان انت الا نذير وسماه ماء

الإيمان

بقوله انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل
زبدا رابيا الآية والايمان زبدة العقل والعلم ولذلك قال تعالى
ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون فعلق به ما علق بهما وسمى

القلب

العقل قلبا وذلك انه لما كان القلب مبدأ لاثر الروحانيات و
الفضائل سميت به ولذلك عظم الله امره لاختصاصه بما قد اوجد

لاجله

لاجله وقال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله
بقلب سليم وقال عز وجل ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى
السمع وهو شهيد وقال تعالى من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب
منيب فبين ان القلب في الحقيقة يكون قلبا اذا كان مختصا
بما قد اوجد لاجله هو المعارف الحقيقية وقال صلى الله عليه
وآله وسلم ان في الجسد مضغة اذا استقامت استقام البدن واذا
اعوجت اعوج البدن ولما كان اشرف المعارف هو ما يختص به
القلب قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك لحكمة ما لذكر

الباب الخامس في جلالة العقل وشرف العلم

العقل حيثما وجد كان محتشما حتى ان الحيوان اذا رأى انسانا احتشمه
بعض الاحتشام وانزجر بعض الانزجار ولذلك تنقاد [illegible]
وكذلك جماعة الرعاة اذا رأوا فيهم من كان اوفر عقلا واعز
فضلا تجدهم مقصده منقادين له طوعا والعقلاء اذا لم يتعاندوا
انقادوا ضرورة لاكثرهم علما وافضلهم نفسا واوفرهم عقلا
ولا ينكر فضل العقل الا مدني بالمعاني متطلب لرياسة حافظ على غرض

دنيوي قد حصل عقله خادما لشهوته فلمحفوظ على رياسته يتنكر
فضل الفاضل ولفضيلة العقل الوافر كان كثيرا ممن كانوا يانفون
النبي صلى الله عليه وآله وسلم فصدوه ليقتلوه فما كان الا ان وقع عليهم
طرفهم عليه فراءهم نور الله معربا عنه فالقي في قلوبهم منه
روعة هابوه من مدعى لطالعها وخيبت لا ينكر بعده احدا
ولهذا المعنى قال الشاعر فيه صلى الله عليه وآله وسلم **شعر** لو لم تكن فيه
ايات مبينة كانت بداهته تنبيك عن خبر وقد تقدم ان الانسان
لم يتميز عن الحيوان الا بالعلم ومن شرف العلم ان كل جنس انفك
منه فهي غير معتد بها بل ليست في حكم الموجود فان الجنس للحيوانات
لا يحصل ما لم يقارنها فصله بما يوافقه ويطلبه ويتالم بما
يخالفه فيهرب منه وذلك اخس المعارف فمقتضى الجنس للانسان
انها اذا تعرت عن المعارف المختصة بها ان لا يعتد بها ولهذا
سمى الله الجاهل ميتا في غير موضع من كتابه فقال او من كان ميتا فاحييناه
ولاجل ان الجنس تقارن العلم سمى الله تع العلم روحا في قوله و
كذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقد ذكرنا ان حاجة الانسان

الى

الى العلم اكثر من حاجته الى المال لان العلم نافع لا محالة ونفعه
دايم في الدنيا والاخرة والمال قد ينفع ويضر واذا نفع
فنفعه منقطع فمن استفاد علما ثم ضيعه او تمكن من
استفادته فاهمله فقد خسر خسرانا مبينا كما قال تع واتل
عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها الى قوله يتفكرون

الباب السادس في الفرق بين العلم والعقل وبين

العلم والمعرفة والدراية والحكمة العلم ادراك الشيء بحقيقته
وهو ضربان احدهما حصول صور المعلومات في النفس و
الثاني حكم النفس على الشيء بوجود شيء له هو موجود او نفي
شيء عنه هو غير موجود له نحو الحكم على زيد بانه خارج او
ليس هو طايرا فالاول هو الذي قد يسمى في الشرع
وفي كلام الحكماء العقل المستفاد وفي النحو المعرفة ويتعدى
الى مفعول واحد والثاني يسمى العلم دون العقل ويتعدى الى
مفعولين ولا يجوز الاقتصار على احدهما من حيث ان القصد
اذا قيل علمت زيدا منطلقا اثبات العلم بانطلاق زيد

دون العلم بزيد واعلم ان العلم والعقل يقاس احدهما على الآخر
على ثلثة اوجه احدها عقل ليس بعلم وهو العقل الغريزي
والثاني علم ليس بعقل وهو المتعدي الى مفعولين والثالث
عقل هو علم وعلم هو عقل وهو العقل المستفاد والعلم الذي
يقال له المعرفة ولم يصح ان يعدى العقل الى مفعولين
فيقال عقلت زيدا منطلقا كما يقال في علمت لكون العقل
موضوعا للعلم البسيط دون المركب وسمي عقلا من حيث
انه مانع لصاحبه ان يتبع افعاله على غير نظام وسمي علما
من حيث انه علامة على الشيء وهذا اذا اعتبر حقيقته مما يتبين
به شرف اللغة العربية واما الفرق بين العلم البسيط اعني

المعرفة

المتعدي الى مفعول واحد وبين المعرفة فهو ان المعرفة قد
يقال فيما يدرك آثاره وان لم يدرك ذاته والعلم لا يقال
الا فيما ادرك ذاته ولهذا يقال فلان يعرف الله ولا يقال
يعلم الله لما كانت معرفته تعالى ليست الا معرفة آثاره دون معرفة
ذاته وايضا فالمعرفة يقال فيما لا يعرف الا كونه موجودا

فقط

فقط والعلم اصله ان يقال فيما يعرف وجوده وجنسه
وكيفيته وعلته ولهذا يقال الله تعالى عالم بكذا ولا يقال
عارف لما كان المعرفة تستعمل في العلم القاصر وايضا فالمعرفة
يقال فيما يتوصل اليه بتفكر وتدبر والعلم قد يقال فيه وفي

الدراية

غيره ويضاد العرفان الانكار والعلم الجهل واما الدراية
فالمعرفة المدركة بضرب من الختل وهو تقديم المقدمة واحالة
الخاطر واستعمال الروية واصله من دريت الصيد
والدرية يقال لما يتعلم عليه الطعن وللناقة التي ينصبها
الصائد ليأنس بها الصيد فيرمي من ورائها والمدرى يقال
لما يصلح به الشعر ولقرن الشاة ولا يصح ان يوصف به
الباري تعالى لان معنى الختل لا يصح عليه ولم يرد بذلك سمع وقبيح
وقول الشاعر شعر لاهم لا ادري وانت الداري من نحو

الحكمة

اجلاف الاعراب واما الحكمة فاسم لكل علم حسن وعمل صالح
وهو بالعلم العملي اخص منه بالعلم النظري وفي العمل اكثر استعمالا
منه في العلم وان كان العمل لا يكون محكما من دون العلم به

قيل احكم العمل احكاما وحكم بكذا احكاما والحكمة من الله تع اظهار
الفضائل المعقولة والمحسوسة ومن العباد معرفة ذلك
بقدر طاقة البشر وقد حدت الحكمة بالفاظ مختلفة فقيل
هي معرفة الاشياء الموجودة بحقائقها ويعني كليات الاشياء فاما
جزئياتها فلا سبيل للبشر الى احاطتها وقيل هي اماتة الشهوة الاحاطة بها
على ما يجب وهذا الحد بحسب اعتبارها بالعمل فيما هو غاية المراد
من الانسان وقيل هي الاقتداء بالخالق عز وجل في السياسة
بقدر طاقة البشر وذلك بان يجتهد ان ينزه علمه عن الجهل وعدله
عن الجور وجوده عن البخل وحلمه عن السفه وبنحو هذا الفعل يقرب
العبد من خالقه سبحانه في الدنيا ونسبة العلوم الى الحكمة من وجه
كنسبة الاعضاء الى البدن في كونها ابعاضا لها ومن وجه كنسبة
المرؤوسين الى الرئيس في كونها مستولية عليها ومن وجه كنسبة
الاولاد الى الام في كونها متولدة له وهي في تعارف الشرع اسم
للعلوم العقلية اي المدركة بالعقل وقد افرد ذكرها في عامة
القران عن الكتاب فجعل الكتاب اسما لما لا يدرك الا من جهة الشرع

والحكمة

والحكمة لما يدرك من جهة العقل وجعلا منزلين وان كان انزالهما
من الله تع قد يكون مختلفا وجمع بينهما في الذكر لحاجة كل واحد
منهما الى الآخر فقد قيل لولا الكتاب لاصبح العقل حائرا ولولا
العقل لم ينتفع بالكتاب وقيل الكتاب بمنزلة اليد والحكمة بمنزلة
الميزان ولا يعرف المقادير الا بهما ولذلك عبر عن الحكمة بالميزان
في قوله تع الله الذي انزل الكتاب بالحق والميزان ولا تعلم الحكمة
الا احد الرجلين اما مهذب في فهمه موفق في فعله ساعده
معلم ناصح وكفاية وعمر واما الهي يصطفيه الله فيفتح عليه ابواب
الحكمة بفيض الهي ويلقي اليه مما لديه جوده فيبلغه ذروة السعادة
وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

الباب السابع في توابع العقل العقل المرزوق
في الانسان يحصل عنه العلم والمعرفة والدراية والحكمة وقد تقدم
ذكرهن ويحصل عنه ايضا الذكاء والذهن والفهم والفطنة
وجودة الخاطر وجودة الفهم والتخيل (الوهم) والبديهة والكيس والحزم
واصابة الظن والفراسة والركانة والكهانة والعرافة

والإلهام وتدبر النظر والرأي والتدبير وصحة الفكر وجودة

الذكاء الحفظ والبلاغة والفصاحة فأما الذكاء فالمضي في الأمر

وسرعة القطع بالحق وأصله من ذكت النار وذكت الريح

وشاة مذكاة مدرك ذبحها بحدة السكين وذكي الرجل تم فيه

قوة الذكاء لكن لما كان أكثر ما يوجد ذلك فيمن تمت سنه صار يعبر

الذهن به عن تمام السن ومنه قيل جري المذكيات غلاب وأما الذهن

فقريب من الذكاء لكن يقال في إدراك ما وقع فيه التنازع وأما

الفطنة الفطنة فسرعة إدراك ما يقصد إشكاله ولهذا يكثر في استنباط

الفهم الأحاجي والرموز وأما الفهم فمقدمة العقل فمن لا يعرف معنى الشيء

وقد يسمى الفهم عقلا صح فمحال أن يتحققه عقلا وإن كان من تتمته ومن مبادئ العقل فقوة

الفهم أن تدرك الأشياء الجزئية والعقل يدرك كلياتها ومعنى

ذلك أن العقل يعرف أن العدالة حسنة والظلم قبيح والفهم يميز

ويبين كل واحد من الفعل ما هو عدل وظلم وقد يوصف بالفهم

من لا يوصف بالعقل كالحاذق في لعب الشطرنج وكل من يوصف

الخاطر بالعقل فإنه يوصف بالفهم وأما الخاطر فحركة الفهم نحو الشيء يقال

خطر ببالي ولم يقل خطر بالشيء فيجوز أن يكون ذلك من المقلوب

كقولهم عيش ناصب وقد قيل في قولهم عقلت الشيء وأحسسته إنهما

أيضا من المقلوب فالشيء هو المؤثر في الحاسة والعقل إنما فيه

الوهم وأما الوهم فهو انقياد النفس لقبول أو لما يرد عليها من قولهم

جمل وهم وطريق وهم والفرق بينه وبين الخاطر أن الخاطر

يقال فيما لا يقبله النفس والوهم لا يقال إلا فيما يقبله وأما

الخيال الخيال فنحو الوهم لكن يقال اعتبارا بما يكون من جهة الحاسة

وفيما له صورة ما ومنه سمي الطيف الوارد من صورة المحبوب

خيالا والخيال قد يقال لتلك الصورة في المنام وفي اليقظة

والطيف لا يقال إلا فيما كان في حال النوم ولهذا ينسب الطوف

إلى الخيال لما كان ذلك من حواليه قال الشاعر شعر

نم فما إن زار الخيال ولكنك بالفكر زرت طوف الخيال

البديهة وأما البديهة فمعرفة ناتجة تجيء بلا فكر ولا قصد فالبديهة في

الروية المعرفة كالبديع في العقل وأما الروية فما كان من المعرفة بعد

الكيس فكر كثير وهو من روى وأما الكيس فالقدرة على جودة استنباط

الخبر

الظن

ماهو اصلح في بلوغ الخير ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم
الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت من حيث انه لا
خير يصل اليه الانسان بافضل مما بعد الموت وقول العرب
الكيس من قشة لتصورها بصورة الكيس لا انها ذات كيس
في الحقيقة وكاس في مشيته اي اظهر الكيس برفع احدى رجليه
وتسميتهم الغادر كيسان اما على طريق التهكم او تنبيها ان
الغادر يعد ذلك كيسا او لان كيسان في الاصل اسم لغادر
ثم سمي كل غادر كيسان كتسميتهم كل حداد هالكا واما الخبر
فالمعرفة المتوصل اليها من قولهم خبرته اي اصبت خبره وقيل
هو من قولهم ناقة خبير غزيرة فكان الخبر هو غزارة المعرفة
ويجوز ان يكون قولهم ناقة خبير هي المخبرة عن غزارتها كقولهم
ناقة ناجية واما الظن فاصابة المطلوب بضرب من الامارات
ولما كانت الامارات مترددة بين يقين وشك فتقرب
تارة من طرف اليقين وتارة من طرف الشك صار تفسير
اهل اللغة لها متى كان الى طرف اليقين اقرب استعمل معه ان

المفتوحة

الفراسة

اليقينية والمخففة منهما نحو قوله تع الذين يظنون انهم ملاقوا
ربهم وانهم اليه راجعون وظنوا انه واقع بهم ومتى
كان الى طرف الشك اقرب استعمل معه التي للمعدومين من
الفعل نحو ظننت ان يخرج وان خرجت وانما استعمل الظن
بمعنى العلم في قوله تع الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم لامرين
احدهما تنبيه ان علم اكثر الناس في الدنيا بالاضافة الى علمه
به في الاخرة كالظن في جنب العلم والثاني ان العلم الحقيقي في
الدنيا لا يكاد يحصل الا للنبيين والصديقين المعنيين
بقوله تع الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والظن
متى كان عن امارة قوية فانه يمدح به ومتى كان عن تخمين
لم يعتمد به ذم به كما قال الله تع ان بعض الظن اثم واما
الفراسة فاستدلال بهيئة الانسان واشكاله والوانه
واقواله على اخلاقه وفضائله ورذائله وربما يقال هي صناعة
صيادة لمعرفة اخلاق الانسان واحواله وقد نبه الله تع على
صدقها بقوله تع ان في ذلك لايات للمتوسمين وقوله تعرفهم

بسيماهم وقوله ولتعرفنهم في لحن القول ولفظها من قولهم
فرس السبع الشاة فكانت الفراسة اختلاس من المعارف
وذلك ضربان ضرب يحصل للانسان عن خاطر لا يعرف
سببه وذلك ضرب من الالهام بل ضرب من الوحي واياه
عنى النبي عليه السلم بقوله المؤمن ينظر بنور الله وهو الذي
يسمى صاحبه المروّع والمحدّث وقال عليه السلم ان يكن في هذه الامة
محدث فهو عمر وقيل في قوله تع ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب الا ما تم كان ذلك وحيا هو بالالقاء في الروع
وذلك يكون للانبياء كما قال تع نزل به الروح الامين على
قلبك وقد يكون بالهام في حال اليقظة وقد يكون في حال
المنام ولذلك قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم الرؤيا الصادقة
جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة والضرب الثاني من الفراسة
يكون بصناعة متعلمة وهي معرفة ما بين الاشكال والالوان
وبين الامزجة والاخلاق والافعال الطبيعية ومن عرف ذلك
وكان ذا فهم ثاقب قوي في الفراسة وقد عمل في ذلك كتب من

تبتع

تبتع الصحيح منها اطلع منه على صدق ما ضمنوه والفراسة ضرب
من الظن وسئل بعض محصلة الصوفية عن الفرق بينهما فقال
الظن بتقلب القلب والفراسة بنور الرب تع قال ومن
قوي فيه نور الروح المذكور في قوله تع ونفخت فيه من روحي
كان ممن وصفه الله تع بقوله افمن كان على بينة من ربه و
يتلوه شاهد منه وكان ذلك النور منه شاهدا منه اصاب
فيما حكم به ومن الفراسة قال صلى الله عليه وآله وسلم في المتلاعنين
ان امرهما بين لولا حكم الله ومن الفراسة علم الرؤيا وقد عظم
الله تع امرها في جميع كتبه المنزلة وقال تع وما جعلنا الرؤيا
التي اريناك الا فتنة للناس وقال تع اذ يريكهم الله في منامك
قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم وقال في قصة ابراهيم
عليه السلم يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا
ترى وقال حكاية عن يوسف عليه السلم يا ابت اني رايت
احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين والرؤيا فعل
للنفس الناطقة ولو لم يكن لها حقيقة لم يكن لايجاد هذه القوة

في الانسان فايدة والله تعالى عن الباطل منزه وهي ضربان اي الرؤيا
ضرب وهو الاكثر اضغاث احلام واحاديث النفس من
الخواطر الردية لكون النفس في تلك الحال كالماء المتموج لا يقبل
صورة وضرب وهو الاقل صحيح وذلك قسمان قسم لا يحتاج
الى تاويل ولهذا يحتاج المعبر الى مهارة للفرق بين الاضغاث
وغيرها وليميز بين الكلمات الروحانية والجسمانية ويفرق
بين طبقات الناس اذ كان فيهم من لا يصح الرؤيا وفيهم من
يصح رؤياه ثم من يصح له ذلك منهم من يرشح ان يلقى اليه في المنام اشيا لا
الحظ ومنهم من لا يرشح لذلك ولهذا قال اليونانيون يجب
للمعبر ان يستعز بعبارة رؤيا الملوك والحكماء دون الطغام
وذلك لان لهولاء حظا من النبوة وقد قال النبي صلى
الله عليه واله وسلم الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين
جزءا من النبوة وهذا العلم يحتاج الى مناسبة بين متحيد و
قوة حكيم لا يرزق الحذق فيه ومرتبة نزر الحظ من الحكمة و
الركانة — سائر العلوم توجد له فيه قوة عجيبة واما الركانة فضرب

من الفراسة وهي معرفة علم باطن بفعل ظاهر بضرب من التوهم يقال
زكنت وازكنت والقيافة ضرب من الزكانة لكنه ادق وهي
ضربان احدهما تتبع اثر الاقدام والاستدلال بهيئة الانسان و
شكله على نسبه وخص بالقيافة من العرب بنو مدلج وبنو لهب وقيل
ان ذلك لمناسبة طبيعية لا بتعلم وهي محكوم بها في الشرع وقال
بعض الحكماء خص الله تعالى بذلك العرب ليكون سببا لارتداع نسائهم
عما يورث شوبا لانسابهم وخبثا لاحسابهم وفسادا لبذورهم
ويردعهم صيانة للنسبة النبوية ليكون ذلك شرفا لنبيه
محمد صلى الله عليه واله وسلم ولاجل حفظ تعالى انسابهم قال وجعلناكم
شعوبا وقبايل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقيكم فنسب
ذلك الى نفسه فقال وجعلناكم وخص العرب بذلك فقطع
بصحة نسبهم دون غيرهم من الناس وقال لتعارفوا اي ليعرف
الكهانة والعرافة — بعضكم بعضا بمعرفة اصله واما الكهانة والعرافة فمختصة
بالامور الماضية وكان ذلك في العرب كثيرا واخر من وجد وروي
عنه الاخبار العجيبة سطيح الكاهن وسواد بن قارب وقيل كان

وجود ذلك في العرب كثيرا احد اسباب معجزات النبي صلوات الله
عليه لما كان يخبر به ويحث على التباعد ونزع ذلك عنهم بعد
النبوة حتى روي لا كهانة بعد النبوة وقال عليه السلم
من اتى عرافا او كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على
محمد تنبيها على انه قد رفع وما يجري مجريهما التطير وهو
تشاؤم الانسان بشيء يقع تحت المناظر والمسامع مما تنفر
منه النفس مما ليس بطبيعي فاما نفارها مما هو طبيعي في
الانسان كنفارها من صرير الحديد ونهيق الحمار فلا يعد من
هذا واشتقاقه من الطير واصله في زجر الطير وما سواه
ملحق به على ذلك قول الشاعر **شعر** وما انا ممن يزجر الطير همه
اصاح غراب ام تعرض طاير ثم كثر في غيره حتى قال تعالى
وكل انسان الزمناه طائره في عنقه فسمي عمل الانسان الذي
يعاقب عليه طائرا وقال تعالى حكاية عن قوم موسى عليه السلم و
غيرهم قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله اي السبب
الذي يشقيكم او يسعدكم وقال تعالى وان تصبهم سيئة يطيروا

النظر

بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله والنظر اجالة الخاطر
نحو المرئي لادراك البصيرة اياه فللقلب عين كما للبدن عين
فمن صحت عين قلبه واعانه نور الله تعالى اطلع على حقايق الاشيا
وعلى العالم العلوي وهو في الدنيا فيرى ما لا عين رات ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولكون الاطلاع عليه قال

الراي

امير المومنين عليه السلم لو كشف الغطا ما ازددت يقينا والراي
اجالة الخاطر في روية ما تريه وقد يقال للقضية التي تنتج
عن الروية راي والراي للفكرة كالالة للصانع التي لا يستغني
عنها ولا يكون الا في الامور الممكنة دون الواجبة والممتنعة و
يكون من جملة الممكنات فيما يكون الينا فالطبيب لا يجيل رايه في
نفس البرء انما يجيله في كيفية الوصول اليه ويحتاج الراي الى ان يعد
اشيا اثنين من جهة الزمان في التقدم والتاخر احدهما ان يعيد
النظر فيما يرتيه ولا يعجل امضاه حتى يختبر فقد قيل اياك و
الراي الفطير وقيل دع الراي يختمر واكثر من يستعجل ذلك ذو
النفوس الشهمة والامزجة الحادة والثاني ان لا يدافع به بعد احكامه

فقد قيل روّ تحزم فاذا استوضحت فاعزم وقيل احزم الناس
من اذا وضح له الامر صدع به وقال تعالى فاذا عزمت فتوكل
على الله ان الله يحب المتوكلين واكثر من يدافع بذلك ذو النفوس
المهينة والامزجة الباردة واثنين من جهة الناس احدهما ترك
الاستبداد بالراى فان الاستبداد بالراى من فعل المعجب بنفسه
وقد قيل الاحمق من قطعه العجب عن الاستشارة والاستبداد
عن الاستخارة والثانى ان يتحرز من عجز مشاور قال الشاعر
فما كل ذى لب بموتيك نصحه ولا كل موت نصحه بلبيب
ولكن اذا ما اجتمعا عند واحد فحق له من طاعة بنصيب ومن
دخل فى امر بعد الاحتراز من هذه الاربعة فقد احكم تدبيره فان
لم ينجح عمله لم يلحقه مذمة واما التدبير فهو الراى لكن يقال

التدبير

اذا استعمل فى النظر فى عواقب الامور واشتقاقه يقتضى ذلك
لانه ماخوذ من دبر الامر وحثنا الشارع عليه بقوله ومن ترك العواقب
مهملات فليس سعيد ابدا بناد واما الفكرة فهى مطرقة

الفكرة

للعلم الى المعلوم وهى تخيل عقلى موجود فى الانسان والتفكر جولان

تلك القوة بين الخواطر بحسب نظر العقل وقد يقال للتفكر الفكر
وربما اضل الفكر واخطا ضلالة الرائد وخطاه والتفكر لا
يكون الا فيما له صورة مما يصح ان يحصل له صورة فى القلب مفهوما
ولاجل ذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم تفكروا فى آلاء الله ولا
تفكروا فى الله وقال تعالى اولم يتفكروا فى انفسهم ما خلق الله السموات
والارض وما بينهما الا بالحق وقال تعالى يبين الله لكم الآيات لعلكم
تتفكرون فى الدنيا والآخرة وسئل بعض الحكماء عن الفكرة والعبرة
فقال الفكرة ان يجعل الغائب حاضرا والعبرة ان يجعل الحاضر غائبا

الذكر

واما الذكر فوجود الشىء فى القلب او فى اللسان وذلك ان للشىء
اربع وجودات وجوده فى ذاته ووجوده فى قلب الانسان
ووجوده فى لفظه ووجوده فى كتابته فوجوده فى ذاته هو سبب
لوجوده فى لسانه ولوجوده فى كتابته ويقال للوجودين اى الوجود
فى القلب والوجود فى اللسان الذكر ولا اعتداد بذكر اللسان ما لم
يكن ذلك عن ذكر فى القلب بل لا يكون كذلك والذكر بالقلب ضربان
احدهما استعادة ما قد استثبته القلب فانمحى عنه بنسيان او غفلة

وبه آني الحقيقة هو التذكر والثاني ثبات وجود الشيء في القلب
من غير نسيان او غفلة وذكر الله تع على الوجه الاول غير مرضي
عند الاولياء وانما يحمد اذا كان على النحو الثاني واعلم ان ذكر
الله عز وجل تارة يكون لعظمته فيتولد منه الهيبة والاجلال و
تارة لقدرته فيتولد منه الرجا وتارة لنعمه فيتولد منه الشكر
ولذلك قيل ذكر النعم شكرها وتارة لافعاله الباهرة فيتولد منه
العبرة فحق المؤمن ان لا ينفك ابدا من ذكره على احد هذه الاوجه
وعليها دل قوله تع ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل
والنهار لايات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات ربنا ما خلقت هذا باطلا
والارض
اي يذكرون الله في كل حال لان الانسان لا ينفك من هذه الاوجه الثلثة
انه قيل ما حقيقة ذكر الله تع عند ابتدا الاعمال حتى قال صلى الله عليه
وآله وسلم كل امر ذي بال لم يبدأ فيه بحمد الله فهو ابتر قيل نبه بذلك ان
الامور كلها يجب ان يقصد بها وجه الله وان كل امر لم يقصد به ذلك
فهو ناقص وشرع ذكره باللسان ليكون ذلك سببا لتذكره فيحوي

بفضله وجه الله تع ولا نعمل ما ينافي رضاه وعلى ذلك قوله تعالى
واذكر ربك اذا نسيت اي عرض لك نسيان لم يلزمك فاذكر
ربك فتذكر به انه مطلع عليك ولهذا قال عليه السلم اعبد الله
كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك واما الحفظ فالمواظبة
على مراعاة الشيء وقلة الغفلة عنه ومنه محافظة الحرم حتى قيل
للغضب المقتضي لذلك حفيظة ويقال للقوة الحافظة ايضا حفظ
وفلان جيد الحفظ اي القوة الحافظة والحفظ للنفس جار من
وجه مجرى الخزانة للملك يحفظ فيها الذخاير الى وقت الحاجة و
من وجه جار مجرى الكتاب الذي يكتب فيه الشيء ليرجع اليه فيتذكر
والناس متفاوتون فيه بحسب امزجتهم فمنهم من قوى الله ذلك منه
كما جعله تع لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم فلذلك كان كونه اميا شرفا
له اذ كان له من الحفظ ما يغنيه عن الاستعانة بالكتابة ولهذا
قال تع لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرانه
فضمن انه يحفظه عليه بما جعل له من القوة الالهية وروي انه
لما نزل قوله تع وتعيها اذن واعية قال صلى الله عليه وآله وسلم

الحفظ

ويقال لثبات صورة الشيء في القلب حفظ ص

لنبي عليه السلم سال الله تع ان يجعلها اذنك فلم يسمع بعد ذلك
شيئا الا وعاه ومن الناس من يسرع اليه النسيان فهما يسمعه يكون كالخط
يكتب في بسيط الما واما البلاغة فاجادة اختيار الالفاظ والاصابة
البلاغة
في تاليفها وقدرها ومعناها وتحري الصدق فيها ولا يكون الكلام
تام البلاغة ما لم يجمع هذه المعاني فانه متى قبح اللفظ او قبح
التاليف وكان اكثر مما يجب واقل مما يجب ولم يطابق اللفظ
المعنى اما حقيقة او استعارة رايقة وكان المعنى محالا او كذبا
خرج الكلام بقدر ما اختل منه عن باب البلاغة واوصاف مختلفة
بحسب انظار مختلفة فقال بعضهم البلاغة هي الايجاز من
غير عجز والاطناب من غير خطل وقيل ما فهمته العامة ورضيته
الخاصة وقيل ما اجتمع فيه سائر ما مر ذكره من الاوصاف واما
الفصاحة
الفصاحة فاشتقاقها من فصح اللبن اي خلص من اللبا وهي الاصابة
في اللفظ في الاملاء دون اعتبار الصدق وصواب المعنى
وكل كلام جزل اللفظ حسن المعنى جيد التركيب موصوف بالفصاحة
صدقا كان او كذبا فالبلاغة ترجع الى اللفظ والمعنى والفصاحة

الى

الى اللفظ دون المعنى

الباب الثامن في ثمرة العقل

من معرفة الله تع الضرورية والمكتسبة وغاية ما يبلغه
الانسان من ذلك اشرف ثمرة العقل معرفة الله عز وجل و
حسن طاعته والكف عن معصيته وعلى ذلك دل قول
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الايمان عريان ولباسه التقوى
وزينته الحيا وماله العفة وثمرته العلم معرفة الله العامية
مركوزة في النفس وهي معرفة كل احد انه مفعول وان
له فاعلا ويتقلب في الاحوال المختلفة واليه اشار تع بقوله
فطرة الله التي فطر الناس عليها وبقوله صبغة الله ومن
احسن من الله صبغة وبقوله واذ اخذ ربك من بني آدم
من ظهورهم ذريتهم لا بد هذا القدر من المعرفة في نفس كل احد
ويتنبه الغافل عنه اذا نبه عليه فيعرفه كما يعرف ان ما هو مساو
لغيره فذلك الغير مساو له ومن هذا الوجه قال تع ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال في مخاطبة المؤمنين
والكفار ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون وقال بعض

ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون واما معرفة
الله تعالى المكتسبة بمعرفة توحيده وصفاته وما يجب ان
ينفى عنه وهذه المعرفة هي التي دعت اليها الانبياء عليهم السلام
وحثوا عليها ولهذا قال لهم قولوا لا اله الا الله ولم يدع احد
الى معرفة الله بل دعى الى توحيده وهذه المعرفة اعني المكتسبة
على ثلثة اضرب ضرب لا يكاد يدركه الا نبي وصديق
وشهيد ومن دناهم وذلك معرفته بالنور الالهي من حيث
لا يعتري فيه شك بوجه كما قال تعالى انما المؤمنون
الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وضرب يدرك
بغلبة الظن اعني الظن الذي يعرض اهل العلم باليقين كما
قال تعالى الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون
وضرب يدرك بخيالات ومثل وتقليدات واياه عنى بقوله
تعالى بقوله وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون فالاول
يجري مجرى ادراك الشيء من قريب ولهذا قال تعالى ان في
ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد والثاني

يجري مجرى ادراك الشيء من بعيد وقد يعتري فيه شبهة لكن
تزول بادنى تامل كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من
الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والثالث يجري مجرى
من يرى الشيء من وراء ستر من بعيد فلا ينفك من شبهة
كما اخبر الله تعالى عن هذه حاله بقوله ان نظن الا ظنا وما نحن
بمستيقنين واجل صعوبة معرفة الله تعالى على الحقيقة حتى
يتخلص الانسان من آفات الشرك قال الله تعالى وما يؤمن اكثرهم
بالله الا وهم مشركون وقال تعالى قل اني امرت ان اعبد الله
مخلصا له الدين وقال قل الله اعبد مخلصا له ديني وقال
عليه السلام من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة وغاية معرفة
الانسان ربه ان يعرف اجناس الموجودات جواهرها واعراضها
المحسوسة والمعقولة ويعرف اثر الصنعة فيها وانها محدثة
وان محدثها ليس اياها ولا مثلا لها بل هو الذي يصح ارتفاع كلها (الذي صح)
مع بقائه ولا يصح بقاؤها وارتفاعه تعالى وبهذا النظر قال ابو بكر
سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته

بل هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا
في الله ولما كانت معرفة العالم كله تصعب على الانسان الواحد
لقصور افهام بعضهم عنها والضرورات التي تعوقها منهم
جعل الله لكل انسان من نفسه وبدنه عالما صغيرا وجد فيه مثال
ما هو موجود في العالم الكبير ليجري ذلك من العالم مجرى مختصر
من كتاب بسيط يكون مع كل احد نسخة يتاملها في الحضر والسفر
وبالليل والنهار فان نشط وتفرغ للتوسع في العلم نظر في الكتاب
الكبير الذي هو العالم فيطلع منه على الملكوت ليغزر علمه ويتسع
معرفته والا فله مقنع بالمختصر الذي معه ولهذا قال الله تعالى وفي
انفسكم افلا تبصرون ولشرف التامل في ذلك قال تعالى اولم يتفكروا
في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وقال تعالى
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات
لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم
ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا
فنبه بمدحهم حيث قالوا ربنا ما خلقت هذا باطلا انهم عرفوا

الغرض

الغرض المقصود بخلقه وذلك هو آخر الابحاث لان الابحاث
اربعة بحث عن وجود الشيء هل هو وبحث عن جنسه ما هو
وبحث عما يتميز به عن غيره بأي شيء هو وبحث عن الغرض لم هو
وهذه الابحاث يبتني بعضها على بعض لا يصح معرفة الثاني الا بمعرفة
الاول والمعرفة الثالث الا بمعرفة الثاني والمعرفة الرابع الا
بالثالث وقولهم ما خلقت هذا باطلا يقتضي انهم عرفوا الابحاث
الاربعة والا لم يشهدوا بما لم يتحققوا ومن شهد بما لم يتحقق
كذب وان كان ما شهد به على ما اخبر الا ترى ان الله تعالى كذب
المنافقين حيث قالوا انك لرسول الله وان كان هو رسوله
فدلت هذه الآية على ان البحث الذي يؤدي الى معرفة حقائق الموجودات
التي تتضمن معرفة الباري عز وجل هو من العلوم الشريفة بخلاف
قول الصم البكم العمي الذين لم يجعل الله لهم نورا حيث يدعوا
من اشتغل بمعرفة ذلك **الباب التاسع** في وجوب
بعثة الانبياء عليهم السلام وقد استغنى منهم ببعثة الانبياء الى الناس
من الضرورات التي لابد لهم منها وذلك ان حاجة الناس تقتضي

معرفة منافعهم ومضارهم الاخروية وجزوياتها وكلياتها فبعضهم
وان كان سبيل الى معرفة كليات ذلك على سبيل الجملة فليس لهم سبيل
الى معرفة جزوياتها ولا يمكنهم ان يعرفوا كيف يجب وكم يجب
وفي اي وقت يجب فلما كان كذلك من الله عز وجل على كافة عباده
وخاصتهم وعامتهم بان ارسل اليهم رسلا منهم من انفسهم يتلون عليهم
اياته ويزكونهم ويعلمونهم الكتاب والحكمة لكي اذا تمسكوا به
صلح لهم معاشهم ومعادهم وسهل عليهم ادراكهم ولهذا ازاح
الله عللهم ببعثة الانبياء فقال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا

(هامش: لهم صح)

الباب العاشر فيما يعرف به صحة النبوة لكل نبي ايتان
احدهما عقلية يعرفها اولو البصائر من الصديقين والشهداء
ومن يجري مجراهم والثانية حسية يدركها اولوا الابصار من
العامة فالاولى ما لهم من اصولهم الزكية وصورهم المرضية
وعلومهم الباهرة ودلائلهم المتقدمة عليهم والمستصحبة وانوارهم
الساطعة التي لا تخفى على اولي البصائر كما قال الشاعر يمدح النبي صلى
لو لم تكن فيه ايات مبينة ۔ كانت بداهته تنبيك عن خبره

وذلك ان حق النبي ان يكون من اكرم ترتيب في العالم وحيث
يكون عقلا اربابها ويجب ان يكون من عنصر كريم من بيت الفضل و
لهذا قال عز وجل ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم
وال عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض ونبه بقوله بعضها
من بعض انه جعلت النبوة في اهل بيت واحد والا يخرج عنهم
لكونهم اشرف ويجب ان يكون عليه انوار بروق من راها
واخلاق يتبرك من ابتلاها كما قال تع والقيت عليك محبة مني
وقال لنبينا صلى الله عليه واله وسلم وانك لعلى خلق عظيم ويجب
ان يكون كلامه ذا حجة وبيان يشفي سامعه اذا كان متخصصا
بنور العقل ولذلك قال تع وكذلك اوحينا ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من
نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط
الله وبهذه الاحوال اذا حصلت لا يحتاج ذو البصيرة معها
الى معجزة ولا يطلبها كما لا يطلب الانبياء من الملائكة فيما يخبرونهم
حجة ولهذا لما عرض النبي صلوات الله وسلامه عليه الاسلام على ابي بكر

(هامش: اليك روحا من امرنا)

تلقاه بالقبول حتى قال ما عرضت الاسلام على احد الا كانت
له كبوة غير ابي بكر فانه لم يتلعثم فيه واما الثانية فهي المعجزات
التي تدركها الحواس من الانبياء وذلك فيطلبه احد رجلين اما ناقص
عن الفرق بين الكلام الالهي وبين الكلام البشري وعن ادراك سائر
ما تقدم ذكره فيحتاج الى ما يدركه حسه لقصوره عن ادراك
ذلك واما ناقص مع نقصه هو معاند فقصده بما يطلبه
عناد كما قال تعالى عن الكفار وقالوا لن نؤمن لك حتى
تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل واعناب
فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا
كسفا او تاتي بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من
زخرف او ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا
كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا

الباب الحادي عشر في كون العقل والرسل

هاديين للخلق الى الحق لله عز وجل رسولان الى خلقه
احدهما من الباطن وهو العقل والثاني من الظاهر وهو الرسول

ولا سبيل لاحد الى الانتفاع بالرسول الظاهر ما لم يتقدمه
الانتفاع بالباطن فالباطن يعرف صحة دعوى الظاهر و
لولاه لما كان يلزم الحجة بقوله ولهذا احال الله تعالى من يشكك
في وحدانيته وصحة نبوة انبيائه على العقل وامره ان يفزع
اليه في معرفة صحتها فالعقل قائد والدين مسدد ولو لم
يكن لم يكن الدين باقيا ولو لم يكن الدين لاصبح العقل حائرا العقل م
واجتماعهما كما قال تعالى نور على نور

الباب الثاني عشر

في تعذر ادراك العلوم النبوية على من لم يتهذب
في العلوم العقلية المعقولات تجري مجرى الادوية الجالبة للصحة
والشرعيات تجري مجرى الاغذية الحافظة للصحة وكما ان
الجسم متى كان مريضا لم ينتفع بالاغذية ما لم يستظهر بالادوية كذلك
من كان مريض النفس كما قال تعالى في قلوبهم مرض لم ينتفع بسماع
القرآن الذي هو موضوع الشرعيات بل صار ذلك ضارا له مضرا
الغذاء للمريض وعلى هذا قال تعالى واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول
ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون

واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا
وهم كافرون وايضا فالقلب بمنزلة مزرعة للمعتقدات والعقائد
بمنزلة البذر ان خيرا وان شرا وكلام الله تعالى بمنزلة الماء الذي يسقيه
ولذلك تسميه تعالى بما تقدم ذكره فكما ان الماء اذا سقى الارض يختلف
نباته بحسب اختلاف بذوره كذلك القران اذا ورد على الاعتقادات
الراسخة في القلوب يختلف تأثيراته والى ذلك اشار تعالى بقوله وفي
الارض ايات للموقنين وبقوله وفي الارض قطع متجاورات
وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى
بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لايات
لقوم يعقلون وقال تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه
والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون
وايضا فالجهل بالمعقولات جار مجرى ستر مرخى على البصر
وغشاء على القلب ووقر في الاذن والقران لا يدرك حقائقه الا
من كشف غطاءه ورفع غشاوته وازيل وقره ولهذا قال تعالى
واذا قرأت القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة

حجابا

حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي
اذانهم وقرا وايضا فالمعقولات كالحقوق التي بها اتصال
والاسماع والقران كالمدرك بالبصر والسمع فكما انه من المحال
ان يسمع الميت قبل ان يجعل الله فيه الروح كذلك من المحال ان يدرك
من لم يحصل بالمعقولات حقائق الشرعيات ولهذا قال تعالى
فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين
وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن
باياتنا فهم مسلمون يعني ايات السموات والارض وغيرهما

ويجعل له السمع والبصر صح

الباب الثالث عشر في الايمان والاسلام و
التقوى والبر الايمان هو الاذعان بالحق على سبيل التصديق
له باليقين ولهذا وصف الله تعالى العلم والايمان بوصف واحد
فقال انما يخشى الله من عباده العلماء وقال انما المؤمنون
الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ووجل القلب هو الخشية
للحق على التصديق له باليقين هذا اصل الايمان لكن صار اسما
لشريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم كالاسلام وصح ان

يطلق على من يظهر ذلك وان لم يختص به اعتقادا عن
يقين وثلج صدر كاليهودي في ان اصله المنسوب الى
يهود والنصراني في ان اصله المنسوب الى نصران وهي
قرية ثم صارا اسمين للمختصين بالشريعتين على ان استحقاق معنى
الايمان لا يمنع من ان يطلق على من يظهر ذلك فان
المؤمن هو من صار ذا امن وباظهاره الشهادتين يامن الانسان
من ان يراق دمه او يباح ماله في الحكم ولهذا قال عليه السلام
من قال لا اله الا الله عصم مني دمه وماله الا بحق وروى فقدم
في الخبر شهادة ان لا اله الا الله كلمة جعلها الله بيننا فمن قالها
من قلبه فهو مؤمن ومن قالها بلسانه ولم يكن في قلبه فله
ما لنا وعليه ما علينا وحسابه على الله وذلك انه لا يطلع على
القلوب الا علام الغيوب والشريعة واردة بان يطلق
اسم الايمان على من يظهر ذلك من نفسه من غير فحص عن قلبه
ولا يتحاشى من اطلاقه وذلك عليه ما لم يظهر منه ما ينافي
الايمان بخلاف ما ادعاه بعض المعتزلة بانه لا يصح اطلاق

اسم

اسم المؤمن على الانسان ما لم يخبر في الاصول الخمسة ويقف
منه على حقيقة ما عنده وهو الاسلام هو الاستسلام بما ادعو — الاسلام
اليه الشرع من فعل ما يقتضي فعله والملة العود الى الطاعة
والدين الانقياد له وهما بالذات واحد لكن الدين هو — الدين والملة
الطاعة فيقال اعتبارا بفعل المدعو الى انقياده الى الطاعة
والملة من امللت الكتاب فيقال اعتبارا بفعل الداعي اليها
والشارع لها ولكونهما بالذات واحدا قال تعالى دينا قيما
ملة ابرهيم حنيفا فابدل الملة من الدين اعم من الاسلام — والدين ص
اذ هو يستعمل في الحق والباطل والاسلام لا يستعمل الا في الحق ولهذا
قال تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقال ومن يبتغ غير الاسلام
دينا فلن يقبل منه والاحسان تحري الحسنى في الايمان والاسلام — الاحسان
ولهذا قال عليه السلم لما قيل له ما الاحسان قال ان تعبد الله
كانك تراه والتقوى جعل النفس في وقاية من سخط الله — التقوى
وذلك بقمع الهوى والبر السعة في عمل الخير وعلم الحق مشتقا — البر
من البر اي السعة من الارض وهو المعبر عنه بانشراح الصدر

واطمينان القلب وقال عليه السلم البر ما سكنت اليه نفسك واطمان
به قلبك والاثم ما جاز في نفسك وتردد في صدرك وقال
عليه السلم البر طمانينة والشر ريبة ومن البر الجود ولاجله جعل
الجود من الايمان قال تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح
صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا
كانما يصعد في السما والاخلاص ان يقصد الانسان بما يفعله وجه الله — الاخلاص
وجه الله متبريا من الالتفات الى غيره ولذلك قال تعالى وما امروا
الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ولعلة وجود ذلك قال تعالى
وما يومن اكثرهم بالله الا وهم مشركون ولما كان يقال الايمان
باعتبار العلم وهو متعلق بالقلب والاسلام بفعل الجوارح و
التقوى بقمع الهوى قال صلى الله عليه واله وسلم الاسلام علانية
والايمان في القلب والتقوى ههنا واشار الى صدره لما كان الصدر
مقر قوى الانسان من الفكر والشهوة والغضب قال
لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى
يستقيم لسانه وقال عليه السلم الايمان قايد والعمل سايق والنفس

حرون فان ابى قايدها لم يستقم لسايقها وان ابى سايقها
لم يقطع قايدها ولما كان الايمان والاسلام والتقوى متلازمة
قال في الجنة اعدت للمتقين وفي موضع اخر وجنة عرضها
كعرض السما والارض اعدت للذين امنوا بالله وقال تعالى
بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون **الباب الرابع عشر** في الايمان اختلف
في الايمان هل هو الاعتقاد المجرد ام الاعتقاد والعمل معا و
اختلافهم بحسب اختلاف نظرهم فمن قال هو الاعتقاد المجرد
فنظر منه الى اشتقاق اللفظ والى انه قد فصل بينهما في عامة
القران فعطف بالعمل عليه كقوله عز وجل الذين امنوا وعملوا
الصالحات والى ان النبي صلى الله عليه واله وسلم فرق بينهما في خبر
جبريل عليه السلم حين ساله عن الاسلام والايمان ففسر الاول
بالاعمال والثاني بالاعتقاد ومن قال هو الاعتقاد والعمل
فلقوله عليه السلم الايمان معرفة بالقلب وعمل بالاركان واقرار
باللسان ولذلك اختلفوا هل يكون في الايمان زيادة ونقصان

فقال قوم يكون ذلك فيه لقوله تع فاما الذين امنوا فزادتهم
ايمانا وهم يستبشرون وقوله تع ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
ومن خالفهم قال الشي انما يزيد بغلبته على ضده وينقص
بغلبة ضده عليه قالوا والايمان لا يحصل الا بعد ان يكون
غالبا على الكفر وايضا مرجحا بما دانه يعلى عليه وكذلك اختلفوا
في جواز اسم الايمان على من اقر بالشهادتين فقال بعضهم يجوز ذلك اطلاق صح
نظرا منهم الى قوله عليه السلم في الجارية التي سالها عن الله فاشارت
الى السما وعن النبوة فاشارت اليه عليه السلم فقال اعتقها
فانها مؤمنة ولان الايمان ليس بذي منزلة واحدة ومن قال
لا يجوز نظر منه الى قوله تع انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت المؤمنون
قلوبهم ولما روى عنه عليه السلم من قال انا مؤمن فهو شقي
ومن قال انا عالم فهو جاهل ان قيل ما معنى قول النبي عم
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق
حين يسرق وهو مؤمن قيل الايمان ذو منازل كما قال صلعم
عليه السلم وانما يكون الانسان مؤمنا بالحقيقة اذا استوى عنده

فتعرى

فتعرى من جميع الشرور وتخصص بجميع الخيرات على
قدر طاقة البشر ومتى اخترم بعض ذلك خرج مما هو كفو لهم
عشر في كونه اسما لعدد مخصوص اذا سقط بعضه
سقط ذلك الاسم عنه ومن شرط الايمان الكامل ان
لا يكون زانيا ولا سارقا والله اعلم **الباب الخامس**
عشر في معنى قول النبي صلى الله عليه واله وسلم الايمان بضع
وسبعون بابا اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها
اماطة الاذى عن الطريق ونحن نفطن من تاملها وعرف
حقيقتها علم ان الايمان بالواجب هو اثنان وسبعون جزء
لا يصح ان يكون اكثر منها ولا اقل ولا يوجد من الايمان ما هو
خارج عنها بوجه وانه عليه السلم فيما يورده كما وصفه عز وجل
وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى علمه شديد القوى
وبيان ذلك ان الايمان شيئان اعتقاد واعمال فالاعتقاد
على ثلث منازل يقيني لا يعتريه شبهة وشك كما قال تع الذين
امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وظني وذلك عن امارة

نسخة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم انه قال الايمان بضع وسبعون بابا صح

قوية واعني بالظن هيهنا ما يعتري اهل العقد باليقين نحو
قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون
وتقليدي وذلك ما يعتقد عن راي اهل البصاير كما وصفه
الله تع بقوله ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه
الذين يستنبطونه منهم والاعمال ثلثة عمارة الارض المعنية
بقوله واستعمركم فيها وعبادة الله تع المعنية بقوله وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وخلافة المعنية بقوله ويستخلفكم
في الارض وقوله تع اني جاعل في الارض خليفة وذلك بتحري
مكارم الشريعة فهذه ستة وكل واحد من هذه اما ان يتحراه
الانسان عن رغبة او رهبة كما قال تع ويدعوننا رغبا
ورهبا او يتحراه عن اخلاص وطوع واهتزاز نفس كما قال تع
واخلصوا دينهم لله فهذه اثنتي عشرة منزلة وكل واحد من هذه
اما ان يكون للانسان في مبدائه او في وسطه او في منتهاه
لان لكل فضيلة او رذيلة فلا ينفك الانسان قدم من هذه الاحوال
الثلثة ولهذا قال تع في الفضيلة ليس على الذين امنوا وعملوا

الصالحات

الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات
ثم اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا واحسنوا والله
يحب المحسنين وقال في الرذيلة ان الذين امنوا ثم كفروا
ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا الاية فحصل منازل الايمان
ومنازل التقوى ثلثة كما ترى فهذه اثنتي عشرة في ثلثة يكون
ستة وثلثين وكل واحد من هذه الستة والثلثين اما ان
يتوصل الانسان اليه من طريق الاجتباء او من طريق الهداية
فالاجتباء للانبياء ومن يليهم من الاولياء وهو ايثار الله تعالى
بعض عباده بفيض الهي تنال بهم الحكمة بلا سعي منهم وعلى هذا
قول الله تع وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث
وقوله ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء والاهتداء للعلماء
والحكماء وهو توفيق الله تع للعبد بسعيه وجهده الحكمة فتحصل
له بقدر ما يتحمل من المشقة واياهما عنى بقوله الله يجتبي اليه
من يشاء ويهدي اليه من ينيب وقوله وممن هدينا و
اجتبينا فهذه اثنان وسبعون درجة لا يمكن الزيادة عليها.

ولا النقصان منها وكل ما ورد من الاخبار فليس بخارج منها
والله الموفق والمعين فمما هو من جملة العبادة قوله عليه السلم
الوضوء شطر الايمان وقوله الايمان الصلوة من فرغ لها قلبه
واقامها بحدودها واوقاتها وسننها ومما هو من مكارم
الشريعة قوله عليه السلم الحيا من الايمان وقوله لا يجتمع شح
وايمان في قلب عبد وقال ثلث من جمعهن فاستكمل
الايمان الانفاق من الاقتار وانصاف المؤمن من نفسه
وبذل السلم وقوله عليه السلم اكمل المومنين ايمانا احسنهم اخلاقا
والطفهم باهله وقوله عليه السلم لاناس من اصحابه ما ايمانكم
قالوا نصبر على البلاء ونشكر عند الرخا ونرضى بالقضا
فقال عليه السلم مؤمنون ورب الكعبة

الباب السادس عشر

في انواع الجهل الانسان في الجهل على ثلث
منازل الاول من لا يعتقد اعتقادا لا صالحا ولا طالحا
فامره في ارشاده سهل اذا كان له طبع فانه كلوح ابيض لم يشغله
نقش وكارض بيضاء لم يطرح فيها بذر ويقال له باعتبار

العلم

العلم النظري غفل وباعتبار العلم العملي غمر ويقال له سليم
الصدر والثاني معتقد لراي فاسد لكنه لم ينش عليه
ولم يترب به واستمر له عند سماعه وان كان اصعب من الاول
فانه كلوح يحتاج الى حذف وكتابة وكارض يحتاج فيها الى
قلع وزرع ويقال له غاو وضال والثالث معتقد لراي
فاسد قد تراءت له صحته فركن اليه بجملته وضعفت بصيرته
فهو ممن وصفه الله تع بقوله ان شر الدواب عند الله الصم
البكم الذين لا يعقلون فهذا داء عيا يا طبا فالسبيل
الى تهذيبه وتنبيهه كما قيل الحكيم يعظ شجاجها انما تضع
فقال اغسل مسحا لعله يبيض والرابع معتقد اعتقادا فاسدا
عرف فساده وتمكن من معرفته لكنه اكتسبه دينه لراسه و
كرسيا للرياسة فهو يحامي عليها فيجادل بالباطل ليدحض به
الحق ويذم اهل الفضل ليجر الى نفسه الخلق ويقال له فاسق
ومنافق وهو من الموصوفين بالاستكبار والتكبر في نحو
قوله تع واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا روسهم

ورايتهم يصدون وهم مستكبرون وقوله تعالى فالذين لا يؤمنون
بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون فنبه تعالى انهم ينكرون
ما يقولون ويفعلون لمعرفتهم ببطلانه لكن يستكبرون عن
التزام الحق وذلك حال ابليس فيما دعي اليه من السجود لادم عليه السلم
والجنون هو عارض يعم العقل والحمق قلة التنبه لطريق الحق
وكلاهما يكون تارة خلقة وتارة عارضا وقد عظم الحمق ما لم يعظم
الجنون فقد صدق الشاعر في قوله شعر لكل داء دوا يستطب به
الا الحماقة اعيت من يداويها وقد حكي حكاية هي من انصح
فاتم ذكرها وهي ان عيسى عليه السلم اتي باحمق ليداويه فقال
اعياني مداواة الاحمق ولم يعيني مداواة الاكمه والابرص ومما
يفرق بينهما ان المجنون يكون غرضه الذي يرومه ويؤمه فاسدا
وسلوكه الى غرضه صوابا والاحمق يكون غرضه الذي يرومه
صحيحا وسلوكه اليه خطا ولهذا يعرف المجنون اذا رؤي ارادته
قبل سلوكه الى مراده والاحمق لا يعرف مراده الا بعد سلوكه و
لهذا متى صح ارادة المجنون صح فعله حتى يحمد كثيرا من فعلاته صوابا

والاحمق

والاحمق لا يكاد يصيب في شيء من مسالكه واما البله فقلة
التنبه على الامور ويضاده الكيس وقد تقدم ان البله والكيس
يقالان تارة باعتبار الامور الدنيوية وتارة يكون باعتبار الامور
الاخروية فمن كان في احدهما كيسا كان في الاخر ابله وقد
ابو بكر اكيس الكيس التقي واحمق الحمق الفجور واما الرقيع فالذي
فالذي يلصق بعقله كلاما كما يرقع والاهوج الذي يأتي
بما يخرج عن الصواب تشبيها بريح الحبل وهو الحيد منه و
الاحمق الناقص العقل من قولهم انحمقت السوق اي نقصت
والغمارة قلة التجربة في الامور العملية مع تخيل سليم وقد
يكون الانسان غمرا في شيء غير غمر في اخر والخرق يقال في
الجاهل بالعلوم العملية وذلك بان يفعل اكثر مما يحتاج اليه او اقل
او على غير النظام المحمود وكل عمل لا يعدو احد الوجوه الثلثة فساده
ويضاده الحذق والغي اتباع الهوى وترك ما يقتضيه
العقل والضلال ان يقصد اعتقاد الحق او قول الصدق
او فعل الجميل فظن لنقصه وسوء تصوره فيما كان باطلا

انه حق فاعتقده او فيما كان كذبا انه صدق فضلالة فيما
كان قبيحا انه حسن ففعله والجهل عام في كل ذلك والجبن
استعمال الدهاء في الامور الدنيوية صغيرها وكبيرها
والجربزة مثله لكن يقال فيما يقتضي لارباح الدنية و
الدهاء مثله لكن يقال في الامور العظام اذا ادرك غاياتها
ولهذا قالوا الدهاة في الاسلام اربعة فذكروا المستوجبين
الاحتيالات الدنيوية الذين بلغوا بها امورا كبارا ومن الجهل
الكفر وهو عناد الانسان للحق على سبيل التكذيب له بعد التيقن واصله
ستر ما جعل الله للانسان بفطرته وصبغته من المعارف
بما يستعمله ويتحراه من عناد الحق ومن ترك النظر والاخلاد
بتزكية النفس المعنى بقوله تعالى قد افلح من زكيها وقد خاب من
دسيها **الباب التاسع عشر** في كون العلم مركوزا
في نفوس الناس نفس الانسان معدن الحكمة والعلوم وهي مركوزة
فيها بالعكس محجوبة فيها بالقوة كالنار في الحجر والنخل في النوى
والذهب في الحجارة وكالماء تحت الارض لكن كان من الماء ما

يجري من غير فعل بشري ومنه ما يعاني تحت الارض لكن
لا يوصل اليه الا بدلو وحبل ومنه ما هو كامن يحتاج في استنباطه
واستخراجه الى حفر وتعب شديد فان عني به ادركه والا ضاع
غير منتفع به كذا العلم في نفوس البشر منه ما يوجد من غير تعلم
بشري وذلك كحال الانبياء فانه يفيض عليهم المعارف من جهة
الملأ الاعلى ومنه ما يوجد بادنى تعلم ومنه ما يصعب وجوده
كحال عوام الناس ولكون العلوم مركوزة في النفوس قال تعالى
واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة
انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل
وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون فبين انهم اخذوا
ان الله هو الذي يربهم ويغذيهم ويرزقهم ويكلمهم من الطفولية
فهذا اقرار نفوسهم كلهم بما ذكر في عقولهم فاما الاقرار باللسان
فلم يحصل من كلهم وكذا المعنى بقوله ولئن سالتهم من خلقهم
ليقولن الله اي لئن اعتبرت احوالهم لكانت نفوسهم وجوارحهم

نطق بذلك وعلى ذلك قوله تعالى فاقم وجهك للدين القيم وقوله
تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها
لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون
فبين ان الدين الحنيف وهو المستقيم قد فطر الناس عليه اي خلقهم
عالمين به فان المعاندين وان قصدوا تبديله وازالته الناس
عنه لم يقدروا عليه وعلى ذلك قوله تعالى صبغة الله ومن احسن من
الله صبغة وقال تعالى فيمن قوى منه الفطرة والصبغة
اولئك كتب في قلوبهم الايمان فسمى ذلك كتابا وقول النبي صلى
الله عليه وآله وسلم كل مولود يولد على الفطرة وهذه الشهادة المأخوذة
عليهم فالناس فيها ضربان ضرب اجالوا خواطرهم حتى ادركوا
حقائقها فصاروا ولكن حملوا الشهادة فنسوها ثم تذكروها
ولذلك قال في غير موضع لعلكم تذكرون وليتذكر اولوا الالباب
وضرب اهملوا انفسهم ولم يشتغلوا بتذكر ما حملوا كما قال تعالى
واذا ذكر الله وحده واذا ذكروا لا يذكرون فهم في الجهالة يتسكعون
وعلى هذا حث الله تعالى على التذكر بقوله واذكروا نعمة الله عليكم

وميثاقه

وميثاقه الذي واثقكم به وقال ولقد يسرنا القران للذكر فهل
من مدكر اي جعلنا القران يكون سببا ان يتوصلوا به الى تذكر
ما سبق من عهدكم والتذكر على اضرب احدها ان يكون باللسان
عن صورة ما حصل في القلب الثاني ان يكون بالقلب عن شيء
معهود تحصل صورته فيه اما بالبصر او بالبصيرة او بغيرها
من المشاعر والثالث ان يكون عن صورة متضمنة بالفطرة
في الانسان وهو المشار اليه بقوله سبحانه في هذه الايات
ومن هذا الوجه قال الحكماء التعلم ليس بجلب الى الانسان شيئا
من خارج في الحقيقة وانما يكشف الغطاء عما حصل في النفس
فيبرزه بجلائه فمثله كمثل الحافر المستنبط الماء من تحت الارض
وكالصيقل الذي يبرز الجلاء في المرآة وهذا ظاهر لمن فطن بعين
عقله وفقنا الله له **الباب الثامن عشر** في حصر
انواع المعلومات انواع العلوم ثلثة نوع يتعلق باللفظ دون
نوع يتعلق بالمعنى ونوع يتعلق بالمعنى واللفظ ونوع يتعلق
بالمعنى دون اللفظ فاما المتعلق باللفظ فهو ما يقصد به

تحصيل الالفاظ بواسطة المعاني وذلك ضربان احدهما حكم
ذوات الالفاظ وهو علم اللغة والثاني حكم لواحق الالفاظ
وذلك شيئان شيء يشترك فيه النظم والنثر وهو علم الاشتقاق
وعلم النحو وعلم التصريف وشيء يختص به النظم وهو علم العروض
وعلم القوافي واما العلم المتعلق باللفظ والمعنى فخمسة اضرب
علم البراهين وعلم الجدل وعلم الحكاية وعلم البلاغة وعلم الشعر
واما النوع المتعلق بالمعنى فضربان علمي وعملي فالعلمي ما القصد به
ان يعلم فقط وذلك معرفة الباري سبحانه ومعرفة النبوة ومعرفة
الملائكة ومعرفة يوم القيمة ومعرفة العقل ومعرفة النفس ومعرفة
مبادي الامور ومعرفة الاركان ومعرفة الاثار العلوية من الفلك
والشمس والنجوم ومعرفة طبايع النبات ويقال له علم الفلاحة
ومعرفة طبايع الحيوانات ومعرفة طبايع الانسان ويقال له علم
الطب واما العملي فهو ما يجب ان يعلم ثم يعمل ويسمى تارة السنن
والسياسات وتارة احكام الشرع ومكارمه وذلك حكم العبادات
وحكم المعاملات وحكم المطاعم والمناكح وحكم المزاجر والحقوق

النبي

التي يستفاد منها العلوم اربعة اضرب الاول المستفاد من بديهة
العقل ومصادفة الحس وذلك يحصل لكل من لم يكن مؤوف
الالة وان اختلف احوالهم في ذلك الثاني المستفاد من جهة النظر
اما بمقدمات عقلية او بمقدمات محسوسة الثالث المستفاد
بخبر الناس اما بسماع من افواههم او بالقراءة من كتبهم والمكون
الخبر علما اذا كانت الطبقة من مخبريه متفقة الرابع ما كان
من الوحي اما بلسان ملك مرئي كما قال نزل به الروح الامين
على قلبك واما بسماع كلام من غير مصادفة عين كحال موسى
عليه السلم واما بنفث في الروع في حال اليقظة كما قال عليه السلم
ان يكن في هذه الامة محدث فهو عمر واما بالمنام وهو المعني
بقوله عليه السلم الرؤيا الصالحة يراها المؤمن او ترى له جزء من
ستة واربعين جزءا من النبوة وينطوي على ذلك قوله تعالى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا
فيوحي باذنه ما يشاء

الباب التاسع عشر

فيما يعرف به فضيلة العلوم فضيلة العلوم تعرف بشيئين احدهما بشرف

ثمرته والآخر بوما قد لا له وذلك كشرف علم الدين على علم الطب
فان ثمرة علم الطب الوصول الى الحيوة الدنيوية المنقطعة و
علم الدين اصوله ماخوذة عن الوحي واصول الطب اكثرها
ماخوذة من التجارب وربما علم يوفي على غيره باحد الوجهين
وذلك يوفي عليه بالوجه الآخر كالطب مع الحساب فللطب
شرف الثمرة اذ هو يفيد صحة البدن وللحساب وثاقة الدلالة
اذ كان العلم به ضروريا غير مفتقر الى التجربة ولكن يجب ان يحكم
بفساد علم بخطا وقع من اربابه كصنيع العامة اذا وجدوا
من اخطا في مسئلة حكموا على صناعته بالفساد واذا راوا من
اصاب في مسئلة حكموا الصناعة بالصحة وذلك عادتهم في
الطب والنجوم فيعتبرون الصناعة بالصانع بخلاف ما قال
امير المؤمنين عليه السلم يا حار ملبوس عليك الحق لا يعرف
بالرجال اعرف الحق تعرف اهله ولكن يدرون ان الصناعة
مبنية على شيء روحاني والمتعاطي لها يباشرها بجسم وطبع
يضاهيها العجز فهو خليق بوقوع الخطا منه ثم الانسان قد يتحلى

بما لا يحسنه ويتبرع بدعوى ما لم يحز النديم كثيرا ممن يتخصص
بصناعة يدعي لصناعته ما ليس في طبعه ككثير من المنجمين
المدعين ما لا يوجد في النجم فاذا الاعتبار بدعاوي الناس

الباب العشرون في استحسان معرفة انواع
العلوم حتى للانسان ان لا يتردى شيا من العلوم امكنه النظر
فيه واتسع عمره له الا وبحر بشمه عرفه وبذوق طيبه ثم ان
ساعده القدر على التغذي به والتزود منه فبها ونعمت والا
لم يصر جاهلا بحاله وغبيا عن منفعته معاديا له بطبعه **شعر**
فمن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا ومن
جهل شيا عاداه فالناس اعداء ما جهلوا بل قد قيل انه واذ
لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم وحكي عن بعض
فضلاء القضاة انه راى بعد ما طعن في السن وهو يتعلم
اشكال الهندسة فقيل له في ذلك فقال وجدته علما نافعا
فكرهت ان اكون لجهلي معاديا له ولا ينبغي العاقل ان يستهين
بشيء من العلوم بل يجب ان يجعل لكل واحد حظه الذي يستحقه

ومنزله الذي يستوجبه ويشكر من هداه بفهمه وصار سببا
لعلمه فقد حكي عن بعض الحكماء انه قال ينبغي ان يشكر ابا من الذ
ولدوا لنا الشكوك اذ كانوا اسبابا لما حرك خواطرنا
للنظر في العلم فضلا عن شكر ما افادنا طرفا من العلم ولولا
مكان فكر من تقدمنا لاصبح المتاخرون حيارى قاصرين
عن معرفة دنياهم فضلا عن مصالح اخرتهم فمن تامل في معرفة مصالح
حكمة الله تع في الة التي يستعملها الناس كالمقراض حيث جمع من سكينين
متركبا على وجه يتوافي حداهما على خط واحد للعرض لكن يعظم
الله ويشكره ويقول سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين

الباب الحادي والعشرون في معاداة بعض الناس

لبعض العلوم العلم طريق الى الله عز وجل وله منازل قد وكل
الله بكل منزل منها حفظة كحفظة الثغور والرباطات في طرق
الحج والغزو فمن منازله معرفة اللغة التي عليها مبنى الشرع ثم
حفظ كلام رب العالمين ثم سماع الحديث ثم الفقه ثم علم
الاخلاق والورع ثم علم المعاملات وما بين ذلك من الوسائط

من معرفة اصول البراهين والادلة ولهذا قال تع هم درجات
عند الله وقال تع يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم
درجات وكل واحد من هؤلاء الحفظة اذا عرف مقدار نفسه
ومنزلته وفي حق ما هو بصدده فهو في جهاد يستوجب من الله
بحفظ مكانه ثوابا على قدر عمله لكن قلما يتفق كل منزل من يبرز
في ذاته وشره في مكسبه وطالب لرياسته وجاهل بمنصب نفسه
يصير اجل تنفيق سلعته صارفا عن المنزل الذي فوق منزلته
من العلم وعائبا له فلهذا ترى كثيرا ممن حصل في منزل من منازل
العلوم دون الغاية عائبا لما فوقه وصارفا عنه من رامه فان
قدر ان يصرف الناس عنه بشبهة مزخرفة والا نفر الناس عنه
فهو ممن قال الله تع فيهم وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران
والغوا فيه لعلكم تغلبون وما ارى من هذا صنيعه الا من الذين
وصفهم الله تع بقوله الذين يستحبون الحياة الدنيا على الاخرة
ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك في ضلال
بعيد وذكر الترمذي في هذه المسألة وقال اذا كان من يقطع على

الناس طريق مكاسبهم الدنيوية يستحقون ما ذكره الله تع
في قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في
الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم و
ارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض فهذا الظن بما يستحقه
من العقوبة من يقطع الطريق على المسافرين الى الله وحكي
عن عيسى عليه السلام انه يا علماء السوء قعدتم على باب الجنة فلم قادم
تدخلوها ولم تدعوا غيركم يدخلها منكم كمثل الدفلى زهره
حسن وثمره يقتل من اكله

الباب الثاني والعشرون

في الحث على تناول البلغة من كل علم والاقتصار عليه من كان قصده
الوصول الى جوار الله تع وتوجه نحوه كما قال الله تع ففروا الى الله
وكما اشار اليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم سافروا تغنموا فحقه و
ان يجعل انواع العلوم كزاد موضوع في منازل السفر فيتناول
منه في كل منزل قدر البلغة فلا يعرج على تقصيه واستفراغ
ما فيه فقضية الانسان نوعا واحدا من العلوم على الاستقصاء
يستفرغ عمره او اعمارا ثم لا يدرك قعره ولا يسبر غوره وقد

تنبهنا الله تع على ان نفعل ذلك بقوله فبشر عبادي الذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم
الله واولئك هم اولوا الالباب وقال صلى الله عليه
وآله وسلم العلم كثير فخذوا من كل شيء احسنه قالوا خذ العفو
من كل قفلت لهم في العين فضل ولكن زينة العين وقيل
خط طبعك بالعيون والفقر فالشجرة لا يستثمرها قد لحظ اذا
كانت ثمرتها نافعة ويحسن ان لا يخوض الانسان في فن حتى
يتناول من الفن الذي قبله على الترتيب بلغته ويقضي منه حاجته
فازدحام العلم في السمع مضلة للفهم وعلى هذا قال تع الذين
آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اي لا يتجاوزون فنا حتى
يحكموه علما وعملا ويحسن ان يقدم الاهم ثم الاهم من غير اخلال
بالترتيب وكثير من الناس منعوا الوصول بتركهم الاصول وحقه
ان يكون قصده من كل علم يتحراه التبلغ الى ما فوقه حتى يبلغ
النهاية والنهاية من العلوم النظرية معرفة الله على الحقيقة
والمصدوقة فالعلوم كلها خادم لها وهي حرة وروي انه

وجد صورة حكيمين من القدماء المتألهين في بعض مشاهدهم
وفي يد احدهما رقعة ان احسنت كل شيء فلا تظنن انك
احسنت شيئا حتى تعرف الله تعالى وتعلم انه مسبب الاسباب
وموجد الاشياء وفي يد الاخر كنت قبل ان عرفت الله اشرب
واظمأ فلما عرفت الله تعالى رويت بلا شرب وقد قال الله تعالى
ما قدماه اشار به الى ابلغ من حكمة كل حكيم قال الله تعالى ذرهم في ما هو ص
خوضهم يلعبون اي اعرف حق المعرفة ولم يقصد بذلك ان
يقول ذلك قولا باللسان اللحمي فذلك قليل الغنى ما لم يكن عن
طوية نقية ومعرفة حقيقية وعلى ذلك قال عليه السلام من قال
لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة ويجب ان لا يعرى علمه من
مراعاة العمل فيه يتبلغ الاخرة انه تعالى ما اخلى ذكر الايمان في
عامة القران من ذكر العمل الصالح نحو قوله تعالى الذين امنوا
وعملوا الصالحات والى ذلك اشار تعالى بقوله اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقيل كثرة العلم من غير العمل
مادة للذنوب وقيل العلم اس والعمل بناء ولا اس بلا بناء طائل

وقال حكيم لرجل يستكثر من العلم دون العمل يا هذا اذا افنيت
عمرك في جمع السلاح فمتى تريد ان تقاتل وقال الشاعر شعر
ما يصلح ان يكون اشارة الى هذا المعنى فما ثم ان لم اشف
نفسا حتى اريد حمل سلاحي

الباب الثالث والعشرون

في احوال الانسان في استفادته العلم وافادته كان للانسان
في مقتنياته ثلاثة احوال حال استفادة فيكون مكتسبا
وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن مسألة الغير وحال
انفاق على نفسه فيصير به منتفعا وحال افادته غيره فيصير
به سخيا كذا ايضا له في العلم اربع احوال حال استفادة و
حال تحصيل وحال استبصار وحال تعليم ومن اصاب علما
فانتفع به ونفع مستحقه كان كالشمس يضيء لغيرها وهي
مضيئة والمسك الذي يطيب وهو طيب وهذا اشرف
المنازل ثم بعده من استفاد علما فاستبصر به فاما من افاد
علمه غيره ولم ينتفع هو به فكالدفتر يفيد غيره الحكمة وهو
عادمها وكالمسن يشحذ ولا يقطع وكالمغزل يكسو ولا

يكتسي وكذبالة المصباح تحرق نفسها وتضيء لغيرها ومن استفاد
علما ولم ينتفع به ولا نفع غيره فانه كالنخل يشرع
شوكا لا يذود به عن حمله كفحان وهو منتهب **الباب**

الرابع والعشرون فيما يجب على المتعلم ان يتحراه حق
المترشح لتعلم الحقائق ان يراعي ثلثة من الامور الاول
ان يطهر نفسه من ردي الاخلاق تطهير الارض للبذر من
خبائث النبات فقد تقدم ان الطاهر لا يسكن الا بيتا
طاهرا وان الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب والثاني ان يقلل من
الاشتغال الدنيوية ليتوفر فراغه على العلوم الحقيقية **شعر**
فما صاحب السلطان فيمن منهما ∴ وربما اذا لم يحل رعاه
وقد قال الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه والفكر
متى توزعت يكون كجدول يفرق ماؤه فتنشفه الجو وتنشفه
الارض فلا ينتفع به واذا اجتمع بلغ المزرع فانتفع
به والثالث ان لا يتكبر على معلمه ولا على العلم فالعلم حرب للمتعالي
كالسيل حرب للمكان العالي ولهذا قيل العلم لا يعطيك بعضه

ما لم تعطه كلك فاذا اعطيته كلك فانك من اعطائه اياك
بعضه على خطر وكانما اياه عنى من قال خدم العلى فخدمته
وهي التي لا تخدم الاقوام ما لم تخدم ومتى لم يكن المتعلم من متعلمه
كارض دمثة نالت مطرا غزيرا فتلقاه بالقبول لم ينتفع به
فحقه ان لا يفضي لذكر كما قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له
قلب او القى السمع وهو شهيد اي لمن له بنفسه علم يستغني
به او تذلل لاستماع الحق واقتباسه ممن عنده العلم وقال بعض
العلماء في قوله عليه السلم اليد العليا خير من اليد السفلى اشارة الى
فضل المعلم على المتعلم وفي تبيين فضل المعلم على المتعلم على الانقياد
له وكما ان من حق المريض ان يتكل الى الطبيب الذي وقف
على انه ليطلب الطبيب دوائه وغذائه فانه ان تسميه لم
يتشدد الا فيما داوه ولم يحتو الا ما فيه شفاؤه **شعر**
فمن يك ذا فم مر مريض ∴ يجد مرا به الماء الزلالا ∴
كذلك من حق المتعلم اذا وجد معلما ناصحا ان يأتمر له ولا
يتأمر عليه ولا يراده فيما ليس بصدده تعلمه وكفى على ذلك تنبيها

ما حكى الله تعالى عن العبد الصالح اذ قال لموسى حيث قال له
هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا قال فان اتبعتني
فلا تسئلني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فنهاه عن
مراجعته وليس ذلك نهيا عما حث الله تعالى عليه في قوله فاسئلوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وذلك ان النهي فيجيء عن العلم انما هو
الذي لم يبلغ منزلته بعد والحث انما هو عن السؤال عن تفاصيل ما خفي
عليه من النوع الذي هو بصدد تعلمه وحق من طلب علما من
العلوم ان لا يصغي الى الاختلافات المشكلة والشبه
الملبسة ما لم يتهذب في قوانين ما هو بصدده لئلا يتولد
له شبهة تصرفه عن التوجه فيه فيؤدي ذلك به الى الارتداد
ولذلك نهى الله تعالى من لم يكن قد يقوى في الاسلام عن مخالطة
الكفار بقوله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم
لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم وقال تعالى ولا تتبعوا اهواء
قوم قد ضلوا من قبل ومن اجل ذلك كره للعامة ان يجالسوا
اهل الاهواء والبدع لئلا يغووهم فالعامي اذا خالط ذوي

البدع فكالشاة اذا خلت بالسبع قال بعض الحكماء انما
حرم الله تعالى في الابتداء لحم الخنزير لانه تعالى اراد ان يقطع
العصمة بين العرب وبين الذين كانوا يشكلونهم باجتماعهم
معهم من اليهود والنصارى فحرم المسلمين ذلك اذ هو معظم
ماكولاتهم وعظم الامر في شربه وثنا ولم يتنزه المسلمون
عن الاجتماع معهم في المواكلة والانس وقوله عليه السلام
للمؤمن والكافر لا يتراءى ناراهما لذلك فاما الحكيم لا باس فائدة
بمجالسته اياهم فانه جار مجرى سلطان ذي اجناد و
عدة لا يخاف عليه العدو حيث ما يوجد ولهذا اجوز
له الاستماع الى الشبه بل وجب عليه ان يتتبع بقدر جهده
كلامهم ويسمع شبههم ليجاهدهم ويدافعهم فالعالم افضل
المجاهدين والذابين عن الدين فالجهاد جهادان جهاد
بالبيان وجهاد بالسنان ولما تقدم سمى الله تعالى الحجة سلطانا
في غير موضع من كتابه كقوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام
الى اتيكم بسلطان مبين

الباب الخامس والعشرون

فيما يجب ان يتحراه المعلم مع المتعلمين منه حق المعلم ان يجري
متعلميه مجرى بنيه فانه في الحقيقة اشرف الابوين كما
قيل للاسكندر أمؤدبك اعز عليك ام والدك
فقال بل مؤدبي لانه سبب حيوتي الباقية ووالدي سبب حيوتي
الفانية وقد نبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله
انما انا لكم مثل الوالد فحق المعلم الفضيل ان يقتدي بالنبي
صلى الله عليه وسلم اذ هو في ارشاد الناس خليفته ويشفق
عليهم اشفاقه ويتحنن عليهم تحننه كما قال تعالى في وصفه
عليه السلم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم واي عالم لم يكن
لمن يفيده العلم صار كما قيل لا ذكر له فيموت ذكره
بموته ومتى استفيد علمه كان في الدنيا موجودا وان فقد شخصه
كما قال امير المؤمنين كرم الله وجهه العلماء باقون ما بقي
الدهر اعيانهم مفقودة واثارهم في القلوب موجودة
وقال بعض العلماء الحكماء في قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا
يرثني ويرث من آل يعقوب انه سال ولدا يورثه علمه

لامن

لا من يورثه ماله فاعراض الدنيا عند الانبيا ادون من ان
يشفقوا عليها وكذلك قوله عليه السلم العلماء ورثة الانبيا وقوله
واني خفت الموالي من ورائي اي خفت الا يرعوا العلم كما
ان من حق اولاد الوالدين ان يتحابوا ويتعاضدوا ولا يتباغضوا
ولا يتدابروا فكذلك حق بني العلم من بني الدين الواحد ان يكونوا
كذلك فاخوة الفضيلة فوق اخوة الولادة ولذلك قال تعالى
انما المؤمنون اخوة وقال الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض
عدو الا المتقين وحق العالم ان يصرف من يريد ارشاده
عن الرذيلة الى الفضيلة بلطف في المقال والتعريض في
الخطاب فالتعريض ابلغ من التصريح لوجوه احدها ان
النفس الفاضلة لميلها الى استنباط المعاني تميل الى التعريض
شغفا باستخراج معناه بالفكر ولذلك قيل رب تعريض ابلغ
من التصريح والثاني ان التعريض لا يهتك به حجاب الهيبة
ولا يرتفع به ستر الحشمة والثالث انه ليس للتصريح الا وجه
واحد وللتعريض وجوه فمن هذا الوجه يكون ابلغ ولهذا المعنى

حذف اجوبة كثيرة من الشروط المقتضية للثواب والعقاب
نحو قوله تعالى حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها
سلام عليكم الرابع ان للتعريض عبارات مختلفة فيمكن ايراده
الا على وجه واحد والخامس ان صريح النهي داع الى الاغراء
ولذلك قيل اللوم اغراء شعر دع اللوم ان اللوم يغري وانما
اراد صلاحها من ملوم فافسدا وقال عليه السلم لو نهي الناس
عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شيء وكفى بذلك
شهادة من كان من ابوينا آدم وحوا عليهما السلم في نهي الله تعالى
اياهما من اكل الشجرة ومن حق المعلم من يفيده ان يقتدي
بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما علمه الله حيث قال لا اسئلكم
عليه اجرا فلا يطمع في فايدة من جهة من يفيده علما الا ثوابا لما يو
وليعلم ان من باع علما بعرض دنيوي فقد ضاد الله في حكمه
وذلك ان الله تعالى جعل المال خادما للمطاعم والمشارب و
الملابس وجعل ذلك كله خادما للبدن وجعل البدن خادما
للنفس وجعل النفس خادما للعلم فالعلم مخدوم غير خادم والمال

خادم

خادم غير مخدوم فمن جعل العلم ذريعة الى اكتساب المال فقد
جعل ما هو مخدوم غير خادم خادما لما هو خادم غير مخدوم

الباب السادس والعشرون في وجوب منع الجهلة عن

حقايق العلوم والاقتصار بهم على قدر افهامهم واجب على الحكيم
والعالم النحرير ان يقتدي بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما قال انا
معاشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس منازلهم ونكلم الناس على
قدر عقولهم وان يتصور ما قال امير المومنين عليه السلم
ان ههنا علوما جمة لو وجدت لها حملة طالبها بلى اصبت لقنا غير مامون
عليه يستعمل آلة الدين للدنيا فيستظهر بنعم الله على عباده وبحججه
على كتابه او منقادا لاهل الحق لا بصيرة له يقتدح الشك في قلبه باول
عارض من شبهة ويروى هو عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون اتريدون ان يكذب
الله ورسوله وقال عليه السلم ما احد يحدث قوما حديثا لا يبلغه عقولهم
الا كان ذلك فتنة على بعضهم وقال عيسى عليه السلم لا تضعوا الحكمة في
غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم وكن كالطبيب

الحاذق فيضيعه واما حيث يعلم انه ينفع وقيل فتضيع طلاب
حكمتك كما تضيع خطاب حرمتك وبهذا الم ابو تمام فقال
وما انا بالغيران من دون جارتي اذا انا لم اصبح غيورا على العلم
وقيل لبعض الحكما ما بالك لا تطلع كل احد على حكمة تطلبها منك
فقال اقتدي بالباري عز وجل حيث قال ولو علم الله فيهم خيرا
لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون فبين انه منعهم
لما لم يكن فيهم خير وبين ان في اسماعهم ذلك مفسدة لهم و
سال جاهل حكيما عن مسئلة من الحقائق فاعرض عنه ولم يجبه فقال
له اما سمعت قول النبي صلى الله عليه واله وسلم من كتم علما نافعا جا
يوم القيمة ملجما بلجام من نار فقال نعم سمعته فاترك اللجام
ههنا واذهب فاذا جا من يفقه ذلك وكتمته فليلجمني به
وقال بعض الحكما في قوله عز وجل ولا تؤتوا السفها اموالكم التي
جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم نبه على هذا المعنى
وذلك انه لما منعنا عن تمكين السفيه من المال الذي هو عرض
حاضر ياكل منه البر والفاجر لعلمه بانه ربما يوديه الى الهلاك

دنيوي

دنيوي فلان يمنع عن تمكينه من حقائق العلوم الذي اذا اتاها ولد
السفيه ادى الى ضلاله واضلاله وهلاكه واهلاكه احق و
اولى شعر اذا ما اقتنى العلم ذو شره تضاعف ما ذم من مخبره
وصادف من علمه قوة يصول بها الشر في جوهره وكما انه واجب
على الحكام اذا وجدوا من السفها رشدا ان يرفعوا عنهم الحجر
ويدفعوا اليهم اموالهم لقوله عز وجل فان انستم منهم رشدا
فادفعوا اليهم اموالهم فواجب على الحكما اذا وجدوا من المسترشدين
قبولا ان يدفعوا اليهم العلوم بقدر استحقاقهم فالعلم قيد يتوصل
بها الى الحقوق الاخروية كما ان المال قيد في المعاونة على الحقوق الدنيوية
وباذل العلم لمن لا يستحقه يستوجب عقوبة ومانعه من اهله يستحق
عقوبات ولذلك قال تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقال ان الذين يكتمون ما انزل الله
من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الاخرة
ولا يكلمهم الله فاذا ثبت ذلك وجب ان يكون من يتعدى من العامة
بقيد الشرع تحسنت حاله ان لا يصرف عما هو بصدده فيودي

ذلك الى الاخلال لدعوته ثم لا يمكن ان يقيد بقيد للخواص فيرتفع
السد الذي بينه وبين الشرور ومن اشتغاله بما دونه من
من بين تجارة او مهنة فحقه ان يقتصر به من العلم على مقدار
ما يحتاج اليه من هو في مرتبته في عبادة الله العامية وان يملأ
نفسه من الرغبة والرهبة الواردتين بهما القرآن ولا يولد له
الشبه والشكوك فان اتفق اضطراب نفس بعضهم اما
بانبعاث شبهة تولدت او ولدها ذو بدعة فدفع اليه فتاقت
نفسه الى معرفة حقيقتها فحقه ان يختبر فان وجد له طبع
للعلم موافق وفهم ثاقب وتصور صائب خلي بينه وبين التعلم
وساعد عليه بما يوجد من السبل اليه وان وجد شيء ينافي
طبعه او نافعا في فهمه منع اشد المنع ففي اشتغاله بما
لا سبيل له الى ادراكه مفسدة فان تعطله عما يعود بنفع الى
العباد والبلاد واشتغاله بما يكثر شبهة وليس فيه نفعه وكان
بعض الائمة المتقدمة اذا رأى احدهم ليتخصص بمعرفة
الحكم وحقائق العلوم والخروج من جملة العامة الى الخاصة

اختبره فان لم يوجد خيرا في الخلق او غير متهيئ للتعلم منع اشد
المنع وان وجد خيرا او متهيئا للتعلم شورط على ان يقيد
بقيد في دار الحكمة ويمنع ان يخرج حتى يحصل له العلم او
ياتي عليه الموت ويزعمون ان من شرع في حقائق العلوم
ثم لم يبرع فيها تولدت له الشبه وكثرت له الحيرة
فيصير ضالا مضلا فيعظم على الناس ضرره ولهذا
قيل نعوذ بالله من نصف متكلم

الباب السابع والعشرون

في وجوب ضبط المتصدين للعلم و
مضرة اهمال ذلك لانه اذا وجب على السلطان من مراعاة
احوال المتصدين للرياسة بالعلم فمن الاخلال بذلك ينتشر
الشر ويكثر الاشرار ويقع بين الناس التباغض والتنافر
وذلك ان السواس في الدنيا اربعة الانبياء وحكمهم على الخاصة
والعامة ظاهرهم وباطنهم والولاة وحكمهم على ظاهر الخاصة
والعامة دون باطنهم والحكماء وحكمهم على بواطن الخاصة
والوعظة وحكمهم على بواطن العامة وصلاح العالم بمراعاة

بهذه السياسات لتخدم العامة الخاصة وتسوس الخاصة
العامة وفساده في عكس ذلك ولما ترك مراعاة المقصد
للحكمة والوعظ وتشيخ قوم للزعامة في العلم من غير استحقاق
منهم لها فاحدثوا لجهلهم بدعا استغووا بها عامة ويجتلبوا
بها منفعة ورياسة فوجدوا من العامة مساعدة لمشاكلتهم
لهم وقرب جوهرهم منهم شعر فكل قرين الى شكله كالفتى
الخنافس للعقارب ، وفتحوا بذلك طرقا منشعبة ورفعوا بها
سبلة وطلبوا بها منزلة الخاصة فوصلوا اليها بالوقاحة
وبما فيهم من الشر فبدعوا العلماء وكفروهم اغتصابا بالسلطان بهم
ومنازعة لمكانهم فاغروا بهم اتباعهم حتى وطئوهم باخفافهم
واظلافهم فتولد من ذلك البوار والجور العام وقانا الله
بحمده **الباب الثامن والعشرون** في ذكر من يصلح
لوعظ العامة لا يصلح لوعظ العامة الحكيم المتحقق بالحكمة
لا نقص فيه مع النقص في العامة فلن ترى الشمس ابصار الخفافيش
والصغير يجفو عن طراد الاجل واين فني الحكيم والعامي من تنافي

طبعهما

طبعهما وتنافر شكليهما من التنافر قريب مما بين الماء والنار
والليل والنهار وقد قيل لسلمة بن كهيل ما لعلي عليه السلام
قد رفضته العامة وله في كل خير ضرس قاطع فقال لان
ضوء عيونهم قصر عن نوره والناس الى اشكالهم اميل وبهذا
الطرماني للحكيم اني احبك قال له نعيت الي نفسي فقيل له
ولم قال لانه ان صدق فليس سببه الا نقيصة بدت من نفسي
لنفسه فانست به وعلى هذا قال الشاعر شعر لقد زاد في حبا
لنفسي انني ، بغيض الى كل امرئ غير طائل ، واني شقي باللئام
ولا ترى ، شقيا بهم الا كريم الشمائل ، فحق الواعظ ان يكون
له مناسبة الى الحكماء يقدر لاقتباس عنهم والاستفادة منهم و
مناسبة الى الدهماء يقدرون على الاخذ منه كالوزير للسلطان
الذي يجب ان يكون فيه اخلاق الملوك وتواضع السوقة ليصلح
ان يكون واسطة بينه وبينهم وكالنبي الذي جعله الله من البشر
واعطاه قوة الملك ليمكنه ان ياخذ من الملك ويمكن للبشر ان
ياخذوا منه والى هذا اشار بقوله تعـ ولو جعلناه ملكا لجعلناه

رجلا وللبسا عليهم ما يلبسون تنبيها ان ليس في وسعكم
التلقي عن الملك ما لم يتجسم فيصير في صورة رجل فاذا حق
الواعظ ان يكون له نسبة الى الحكيم ونسبة الى العامة ما خذ
منهم ويعطيهم كنسبة الغضاريف الى اللحم والعظم ولولاها
لما امكن للعظم ان يكتسب الغذا من اللحم وهذا مما اذا تومل اطلع
منه الى حكمة عجيبة وصنعة غريبة

الباب التاسع والعشرون

في الحالة التي يجب ان يكون عليها الواعظ حق الواعظ ان يتعظ
ثم يعظ ويبصر ثم يبصر ويهتدي ثم يهدي ولا يكون دفترا
يفيد ولا يستفيد ومسنا يشحذ ولا يقطع بل يكون كالشمس التي
يفيد القمر الضوء ولها افضل مما تفيده وكالنار التي تحمي الحديد
ولها من الحمى اكثر مما تنيله ويجب ان لا يخرج مقاله فعاله ولا تكذب
لسانه مجاله فيكون ممن وصفهم الله تعالى بقوله ومن الناس من
يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام
واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب
الفساد ويحق ما قال امير المومنين عليه السلم قصم ظهري رجلان

جاهل

جاهل متنسك وعالم متهتك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم
ينفر الناس بتهتكه والواعظ ما لم يكن مع مقاله فعاله لم ينتفع
به وذلك ان عمله مدرك بالبصر وعلمه مدرك بالبصيرة و
اكثر الناس اصحاب ابصار دون البصاير فيجب ان يكون عنايته
باظهار عمله الذي يدركه جماعتهم اكثر من عنايته بالعلم الذي لا يدرك
الا بالبصيرة ومنزلة الواعظ من الموعوظ منزلة المداوي فكما ان الطبيب
اذا قال للناس لا تاكلوا كذا فانه سم ثم راوه اكلا له عد سخرة و
هزاة فكذلك الواعظ اذا امر بما لا يعمله وبهذا النظر قيل يا طبيب
طب نفسك بل قد قال تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون
كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون الى غير ذلك من الايات
وايضا فالواعظ من الموعوظ يجري مجرى الطابع من المطبوع
فكما انه من المحال ان ينطبع الطين على الطابع بما ليس منتقشا به كذلك
محال ان يحصل في نفس الموعوظ ما ليس بموجود في نفس الواعظ
واذا لم يكن الواعظ الا ذا قول مجرد من الفعل لم يتلق عنه الموعوظ
مجرى الظل من ذي ظل فكما انه من المحال ان يعوج ذو الظل والظل

مستقيم كذلك متى اعوج الواعظ والموعوظ مستقيم في بعض
فكل متى له حالة يختص بها فانه يجر غيره الى نفسه بقدر وسعه
بارادة منه او بغير ارادة كالماء الذي يحمل ما يتلقاه من الغبار صح
الى نفسه بقدر وسعه وكذلك النار والارض والهوى فالواعظ
اذا كان غاويا جر بغيه غيره الى نفسه ولهذا حكى الله تع عن
الكفار قولهم ربنا هؤلاء الذين اغوينا اغويناهم كما غوينا
تبرأنا اليك وقال فاغويناكم انا كنا غاوين فمن تزين
للوعظ ثم فعل فعلا فيما اقتدى به غيره فقد جمع وزره ووزر
غيره كما قال عليه السلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من
عمل بها ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها
من غير ان ينقص من اوزارهم شيء ولذلك قال تع ليحملوا اوزارهم
كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء
ما يزرون وقال عز وجل وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم

الباب الثلثون في صعوبة المعيار الذي يعرف به

حقايق العلوم كما ان للدراهم والدنانير ميزانا قد عرف اهلها

صحته

صحته فلكل علم ميزان نحو الحساب للمعدودات والهندسة للممسوحات
والعروض للشعر والنحو لالفاظ العرب والى هذا اشار تعالى
بقوله لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان
ليقوم الناس بالقسط وقال تع الله الذي انزل الكتاب
بالحق والميزان وما وصى الذين اعطاهم الموازين فقال وزنوا
بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا
في الارض مفسدين فكل شاك ما زاغ عنه في مقدار يحقق
ان يعتمد ميزانه ان عرفه ويقلد اربابه ان لم يعرفه فان من
ترك ذلك واخذ يخرص ويحزر ويظن ويخمن لم يؤد شكره و
لم يسقط خلافه فالخرص قلما يصدق والظن قلما يتحقق و
لذلك عبر بالخرص عن الكذب فقال ان هم الا يخرصون وقال
تع قتل الخراصون وقال في ذم الظن ان يتبعون الا الظن يتبعون ل
وان الظن لا يغني من الحق شيئا ومعلوم ان ميزان الدين
الذي يوصل صوابه الى الثواب العظيم وخطاؤه يفضي الى
العذاب الاليم اصعب الموازين واشرفها واولها بالمعرفة

وكثير في زماننا ممن تحلى بعلم الكلام وترشح للجدال والخصام
ورام الزعامة فيه قبل أوانها وطلب تحقيق موازين ما تعذر
ميزانها أخذ كل واحد منهم يخرص خرصا ويظن ظنا ويسلك
بظنه طريقا غير نهج فإذا وقع بينهم خلاف جعل كل واحد
ميزانه خرصه واتبع فيما اعتقده ظنه فإذا تحاكموا إلى ما
اتخذوه ميزانا صار خلافهم في الميزان أكثر من خلافهم في
الموزون فهم في ذلك كمن غص بطعام فاستغاث بالماء
فشرق به شعر كمثل ما يستعذبها بالجهل دع عني من قال لعله ص
وكم يت لا جرم أن كثيرا من مناظراتهم لا تولد إلا تشبيها ولا
يثمر إلا الحيرة ولا يقوم عنها إلا اثنان متناطحة مدق بها
بل ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور

الباب الحادي والثلاثون

في كراهية الجدل للعوام وذمه على
كل حال إباحة تعاطي الجدال للعامة الذين لم يتدربوا في تحصيل
القوانين ولم يتهذبوا في سبل البراهين يجري مجرى حل قيد الشياطين

ويردم

ويردم سد يأجوج ومأجوج فإنها تثير سلطان وهمهم
السبعية خالعة من يد قايد العقل وقيد الشرع فالجدال
مكروه للعلماء الألباء فكيف للجهال الأغبياء ألا ترى أن الله تعالى
قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وجادلهم بالتي هي أحسن فلم
يطلق جدال مخالفيه حتى قيده بالأحسن هذا مع وصفه عليه السلام
بقوله تعالى وإنك لعلى خلق عظيم وقد ورد في ذم الجدال ما
ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون وقال ومن الناس
من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير وقال
وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا
في حديث غيره وللجدل مع كونه مكروها شرائط وقوانين
من تعاطاه ولم يكن متدربا بها كان خصما لا جدلا والخصومة
عديمة الفائدة قليلة العائدة فإن الجدل مع ما فيه قد يوقظ
الفهم ويشير لاقتباس العلم والخصومة إنما تثمر
العداوة وإنكار الحق ولذلك جعلها الله تعالى شرا من الجدال
فقال بل هم قوم خصمون وقال تعالى فإذا هو خصيم مبين

ولم يذكر الخصام في موضع الا عابه وناقض فالمتجادلان
يجري حالهما مجرى فحلين تعاديا وكبشين تناطحا و
رئيسين تحاربا وكل واحد منهما يجتهد ان يكون هو الغالب
وصاحبه هو المنقهر وان يكون هو الطابع وصاحبه المنطبع
والفاعل كالمؤثر لم يتولد منهما خير بوجه وقال حكيم المجادل
المدافع يضيع في نفسه عند الخوض في الجدال لا يقنع بشيء
ومن لا يقصد الا ان يقنع فما الى اقناعه سبيل ولو اتفق
عليه الحكماء بكل بينة بل لو اجتمع عليه الانبياء بكل معجزة كما قال تع
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم
كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم
يجهلون **الباب الثاني والثلثون** فيما يجب ان يجانب
به الجدل المماحك مسلك الصلف اذا ابتلي بمجادل يهارش
ومشاجرنا وليس فصل اللجاج الا اللجاج ومراده مباهات
العلماء ومماراة السفهاء كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من
تعلم علما ليباهي به العلماء ويماري به السفهاء او ليصرف به وجوه

الناس

الناس اليه فهو في النار قال الشاعر **شعر** تراه معد للخلاف
كانه يرد على اهل الصواب موكل : فحق ان يعرض عنه فراغ
من لا يسود ولا يساود فان لم يجد من ذا ولا بدا فليقابل
امكان الحق بامكان الباطل ودفاع الصدق بدفاع الكذب
معتبرا في ذلك قول الله عز وجل ومكروا مكرا ومكرنا مكرا
وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم و
قومهم اجمعين وقوله تع ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين
وقوله حكاية عن المنافقين واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا
معكم انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم وقوله تع فلما زاغوا
ازاغ الله قلوبهم ويتبلغ منه ولا يخرج معه الى بث الحكمة و
لا يذكر له شيئا من الحقائق ما لم يتحقق ان له قلبا طاهرا لائقا
بها فالحكمة فقد قال عليه السلام لا تدخل الملائكة بيتا فيه
كلب فان لكل تربة غرسا ولكل بناء اسا وما كل راس يستحق التيجان
ولا كل طبيعة يستحق افادة البيان وان كان لا بد فليقتصر
معه على اقناع يبلغه فهمه فقد قيل كما ان لب الثمار معد للانام

والتبن معد للانعام فلب الحكمة معد لذوي الالباب وقشورها
مجعولة للانعام وكما انه قبيح ان تسلم الى الخنزير ريحانا فقبيح
ان تقلد الحمار جمانا واعلم ان سبيل ابطال الحجة والسعي في
افسادها اسهل من سبيل المعارضة بمثلها والمقابلة لها و
لهذا يتحرى الجدل الخصم ابدا الدفاع لا المعارضة وذلك
ان الافساد هدم وهو سهل والاتيان بمثله بنا وهو صعب
فان الانسان كما يمكنه قتل النفس الزكية وذبح الحيوانات و
احراق النبات ولا يمكنه ايجاد شيء منها يمكنه افساد حجة — ولا يقدر على ص
قوية بضرب من الشبه المزخرفة ولا يمكنه الاتيان بمثلها
ولاجل ما قلنا دعا الله الناس في اثبات الحجة بالقران الى الاتيان
بمثله لا السعي في افساده فقال فأتوا بسورة من مثله وقال
فأتوا بعشر سور مثله مفتريات فرضي بما فيه مثله ولو — ان يأتوا ص
ان كان ذلك مفترى وقال ابرهيم عليه السلم فان الله يأتي
بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب

الباب الثالث والثلثون في الوجوه التي من اجلها يقع الشبه والخلاف

السبب

السبب الموقع للشبه والمولد للخلاف على القول المجمل شيئان
المعنى واللفظ فاما ما كان من جهة المعنى فاما ان يكون من
جهة الناظر او من جهة المنظور اليه وهو الحجة او من جهة الالة
التي يستعمل في النظر فان الناظر في الشيء المعتبر له جار مجرى وزان
وحجته كالميزان والمنظور فيه كالموزون فمتى كان الناظر عمي
تام العقل كان عمي البصيرة فجرى مجرى وزان اعمى البصر
فلا سبيل له الى الوزن ومتى لم يكن عمي البصيرة لكن هو غير عالم با
لقوانين والحجج والادلة كان جاريا مجرى وزان عدم الميزان — البراهين ص
واخذ بحدس والتخمين فقلما ينفك من غلط بل ربما وقع منه الصواب
غير معتد به اذ لا اصل له تسكن النفس اليه ومتى لم يكن عمي البصيرة
لكن لا يعرف اي حجة يستعمل فيما هو بصدده فيطلب المعقول
من جهة المحسوس والمحسوس من جهة المعقول كان جاريا مجرى
وزان بصير لكن يزن الدنانير بسنج الدراهم والدراهم
بسنج الدنانير واما ما كان من جهة اللفظ او من جهة مركبا
فان كان من جهة مفردات اللفظ فاما ان يكون من جهة ان

اللفظ مشترك بين معنيين واليد ونحوهما او يكون اللفظ
عاما موضوعا موضع خاص او خاصا موضوعا موضع عام
او يكون اللفظ مستعملا على سبيل المثل والتشبيه والرمز او
يكون اللفظ مستعملا لشيء لم يتقرر صورة ذلك الشيء في
نفس السامع فيتخيل له وهم فاسد كاعتقاد كثير من الناس اعتقادات
فاسدة في الملائكة والجن والشياطين والجنة والنار والميزان
والصراط والكرسي والعرش فاما ما كان من جهة التركيب
فاما ان يكون من جهة الكمية وذلك بان يكون اللفظ اكثر مما
يجب ان يكون او اقل مما يجب ان يكون واما من جهة الكيفية
وذلك بان يقدم ما من حقه ان يؤخر ويؤخر ما من حقه ان
يقدم كقول الشاعر **شعر** وما مثله في الناس الا مملكا ابو امه
حي ابوه يقاربه ومن اجل ما وقع في الالفاظ من الشبهة قال
الحكماء يجب ان يكون نظر الانسان من المعنى الى اللفظ اكثر من نظره
من اللفظ الى المعنى فان اللفظ في الحقيقة لا يدل على المعنى
الا بواسطة صورة ذلك المعنى في القلب لم يفهم من المعنى

الفصل

الباب الرابع والثلثون في بيان جميع الخلاف بين

الناس في الاديان والمذاهب جميع الاختلافات بين اهل
الاديان والمذاهب على اربع مراتب الاولى الخلاف بين الاديان
والمذاهب النبوية وبين الخارجين عنها من الدهرية والثنوية
وذلك في حدوث العالم واثبات الصانع وفي التوحيد والثانية
الخلاف بين اديان اهل النبوة بعضهم مع بعض وذلك في اعيان
الانبياء كاختلاف المسلمين واليهود والنصارى والثالثة
الخلاف المختص باهل الدين الواحد بعضهم مع بعض في الاصول
التي يقع فيها التفسيق والتكفير كالاختلاف في القدر وفي اثبات
الصفات ونفيه واختلاف المجسمة الرابعة الاختلاف
المختص باهل المقالات في فروع المسائل كاختلاف الشافعية
والحنفية فالضرب الاول من الاختلاف يجري مجرى المتباينين
في مسلكيهما كاخذ طريق الشرق واخذ طريق الغرب وكاخذ ناحية
الشمال واخذ ناحية الجنوب والثاني يجري مجرى اخذ نحو
الشرق واخذ يمينه او شماله فهو وان كان اقرب من الاول فليس

احدهما من ان يكون ضالا ضلالا بعيدا والثالث جار
مجرى آخذين وجهة واحدة لكن احدهما سالك المنهج والآخر
تارك المنهج وهذا التارك للمنهج ربما يبلغ وان كان
يطول عليه الطريق والرابع جار مجرى جماعة ركبوا منهجا
واحدا لكن اخذ كل واحد منهم شعبة غير شعبة الآخر وهذا
الاختلاف المحمود بقوله عليه السلم الاختلاف بين امتي رحمة
والى نحو هذا نظر من قال كل مجتهد مصيب يعني في الفروع ولاجل
الطرق الثلث امرنا ان نستعيذ بالله ونتضرع اليه بقوله تعالى
اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم وقوله
وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم
عن سبيله وجميع الخلاف الواقع في الامة اثنان وسبعون على ما
ورد في الخبر لا زائدا ولا ناقصا وقد روي الخبر في ذلك على
وجهين احدهما قوله ستفترق امتي على اثنين وسبعين فرقة
كلها في النار الا واحدة والخبر الثاني كلها في الجنة الا واحدة
وهم الزنادقة وهذان خبران لا يمتنع ان يكونا صحيحين ولكن على

نظرين

نظرين ومعنيين وقد ذكر ذلك وبين في رسالة مفردة

الباب الخامس والثلثون في النطق والصمت النطق
اشرف ما خص به الانسان فانه صورته المعقولة التي بها
باين سائر الحيوان ولهذا قال تعالى خلق الانسان علمه البيان
ولم يقل وعلمه البيان اذ جعل قوله علمه تفسيرا لقوله خلق الانسان
تنبيها ان خلقه تعالى اياه هو تخصيصه بالبيان الذي لو توهم
مرتفعا لكانت الانسانية مرتفعة ولذلك قيل ما الانسان لولا
اللسان الا بهيمة مهملة او صورة ممثلة وقيل المرء مخبو تحت لسانه
وقال الشاعر شعر لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق
الا صورة اللحم والدم فاذا كان الانسان هو اللسان فلا شك ان
من كان اكثر منه حظا فهو اكثر انسانية والصمت من حيث هو صمت
مذموم فذلك من صفة الجمادات فضلا عن الحيوانات وقد
جعل الله تعالى بعض الحيوانات بلا صوت وجعل لبعضها صوتا
بلا تركيب ومن مدح الصمت فاعتبارا بما يتبع في الكلام فيقع
منه جنايات عظيمة في امور الدين والدنيا كما روي ان الانسان

اي اذا عدم النطق الذي باللسان والعقل الذي بالفؤاد لم يبق منه الا صورة اللحم والدم
الناطقة

اذا اصبح كفرت اعضاؤه للسان تقول اتق الله فانك ان
استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا فاما اذا اعتبرا
بانفسهما فلا يصح ان يقال في الصمت فضل فضلا عن ان يجاري
بينه وبين النطق وسئل حكيم عن فضلهما فقال الصمت
افضل حتى يحتاج الى النطق وسئل اخر فقال الصمت عن
الخنا افضل من الكلام بالخطا وعلى هذا قال الشاعر **شعر**
الصمت ازين للفتى من منطق في غير حينه والفرق بين
الصمت والسكوت والانصات والاصاخة ان الصمت
ابلغ لانه قد يستعمل فيما لا قوة فيه للنطق ولما له قوة النطق
ولهذا قيل لما لا نطق له الصامت والمصمت والسكوت يقال
لما له نطق فيترك استعماله والانصات سكوت مع استماع
ومتى انفك احدهما من الاخر لا يقال له في الحقيقة انصات
وعلى ذلك قال تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا
بعد قوله فاستمعوا ان الانصات بعد الاستماع ذكر خاص
بعد عام والاصاخة الاستماع الى ما يصعب ادراكه كالسر

والصوت

والصوت من المكان البعيد

الباب السادس والثلثون في الصدق ومدحه والكذب وذمه

اصلهما
في القول ولا يكونان بالقصد الاول من القول الا في الخبر دون
غيره من اصناف الكلام فاما بالعرض فقد يدخل في انواع
الكلام من الاستفهام والامر والدعا وذلك ان قول القائل
ازيد في الدار في ضمنه اخبار بكونه جاهلا بحال زيد وكذلك
اذا قال واسني في ضمنه انه محتاج الى المواساة واذا قال
لا تؤذني في ضمنه انه يؤذيه وكلاهما اعني الصدق والكذب
يستعمل في الاعتقاد ايضا كقولهم صدق ظنه واعتقاده
وكذبا ويستعملان ايضا في افعال الجوارح نحو صدق في القتال
وكذب فيه وحد الصدق التام هو مطابقة القول الضمير والمخبر
عنه معا ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقا تاما بل اما
ان لا يوصف بالصدق والكذب او يوصف تارة بالصدق و
تارة بالكذب على نظرين مختلفين كقول الكافر من غير اعتقاد
محمد رسول الله فان هذا يصح ان يقال فيه انه كذب لمخالفة قوله ضميره

ولهذا كذبهم الله تعالى حيث قال اذا جاءك المنافقون قالوا
نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان
المنافقين لكاذبون وكذلك اذا قال من لم يعلم كون زيد في
الدار انه في الدار يصح ان يقال صدق وان يقال كذب بنظرين
مختلفين ولهذا قال عليه السلم من قال في القران برايه فاصاب
فقد اخطا وفي خبر فقد كذب على الله والمبرسم لا قصد له فاذا قال
زيد في الدار لا يقال انه صدق ولا كذب والصدق احد اركان
بقاء العالم حتى لو توهم مرتفعا لما صح نظام وبقاء وهو اصل
المحمودات وركن النبوة ونتيجة التقوى ولولاه لبطل احكام
الشرايع ولذلك قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا
مع الصادقين ولاختصاص الكذب بما نافى من الانسانية تحقق
لان الانسان النطق ومن عرف بالكذب لم يعتمد نطقه واذا لم يعتمد
نطقه لم ينفع واذا لم ينفع نطقه صار هو والبهيمة سواء بل يكون
شرا من البهيمة فان البهيمة وان لم تنفع بلسانها فانها لا تضر
والكاذب يضر ولا ينفع ولهذا قال تعالى ان هم الا كالانعام بل

هم اضل سبيلا واعلم ان كل كلام خرج على وجه المثل للاعتبار
دون الاخبار فليس بكذب في الحقيقة ولهذا لا يتحاشى المتحرزون
من التحدث به كقولهم في الحث على مداراة العدو والتلطف
في خدمة الملوك ان سبعا وذئبا وثعلبا اجتمعت واتفقت على
ان يتشاركن في الصيد فاصطادت عيرا وظبيا وارنبا فقال
السبع للذئب اقسم فقال هو مقسوم العير لك والظبي لي
والارنب للثعلب فوثب السبع عليه فادماه ثم قال للثعلب اقسم
فقال هو مقسوم العير لغدائك والظبي لقيلك والارنب
لعشائك فقال له السبع ومن علمك هذه القسمة فقال علمني الثوب
الاحمر الذي على الذئب وعلى المثل حمل قوم قوله عز وجل ان
هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال اكفلنيها
وعزني في الخطاب وقوله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل
سنبلة مائة حبة فقال يصح لما كان مثلا وان لم توجد حبة هكذا

الباب السابع والثلثون فيما يحسن ويقبح من الصدق

والكذب ذهب كثير من المتكلمين الى ان الصدق يحسن لعينه والكذب

يقبح لعينه وقال كثير من الحكماء والمتصوفة ان الكذب يقبح
لما يتعلق به من المضار الخالصة والصدق يحسن لما يتعلق
به من المنافع الخالصة وذلك لان الاقوال من جملة الافعال وشيء
من الافعال لا يحسن ولا يقبح لذاته بل انما يحسن لما يتعلق به
من النفع ويقبح لما يتعلق به من الضرر الموفي على ما فيه من النفع
الا ترى ان اعظم ما يجري في العالم القتل والغصب وقد يقع
كل واحد منهما على وجه يحسن وعلى وجه يقبح فكذا المقال
من الصدق والكذب ولذلك قال عليه السلم لا يحسن الكذب الا
في ثلث اصلاح ذات البين وكذب الرجل لامرأته ليطلب رضاها
وكذب الرجل في الحرب فانها خدعة وفي رواية اذا اتاكم عني حديث — وقد روي
يدل على ردى او يرد عن هدى فلا تقبلوه فاني لا اقول
الا حقا قالوا والكذب يكون قبيحا بثلاث شرايط ان يكون
الخبر بخلاف المخبر عنه وان يكون المخبر قد اختلقه حال الاخبار
به وان يقصد ايراد ما في نفسه لا لنفع اعظم من ضرر ذلك
الكذب بشرط ان لا يمكن الوصول الى ذلك النفع بغيره فانه اذا

ظهر

ظهر كان للكاذب عذر واضح عاجلا واجلا قالوا ولا
يلزم على هذا ان يقال يجوز الكذب فيما يرجى فيه نفع
دنيوي فالمنفعة الدنيوية ولو كان ملك الدنيا بحذافيرها
لا توفي على ادنى ضرر كذب وانما هذا الذي قلناه يتصور
في نفع اخروي يكون الانسان فيه معذورا عاجلا واجلا
كمن سالك عن مسلم استتر في دارك فلان فتقول لا هذا
يجوز فان نفع هذا الكذب موفي على ضرره وهو فيه معذور
واجلا فان المعاريض حيث يضطر اليه يجوز ولذلك ولما
قيل في المعاريض مندوحة عن الكذب ولم يزل الانبياء ولا
يفزعون اليه كقول النبي عليه السلم لمن سأله ممن انت فقال
من الماء وقال ابرهيم عليه السلم اني سقيم وقوله هذه اختي
لامراته وقوله بل فعله كبيرهم هذا واما الصدق فانما يحسن
حيث يتعلق به نفع ولا يلحق ضرر باحد فمعلوم قبح قول من
يقصد ويقول السماء فوقي والارض تحتي من غير ان يريد ان
يجعل هذا مقدمة دليل وافادة معنى يتعلق به وكذا يقبح

الغيبة والنميمة والسعاية وان كان صدقا ولذلك قيل
كفى بالسعاية ذما انه يقبح فيه الصدق واقبح الكذب مع انه
قبيح كله ما لا يتعلق به رجاء نفع عاجل واجل ويجلب الى
المقول له ضررا كرجل يأتيك من بلد بعيد فيقول ان ملك
ذلك البلد يرغب فيك ويتشوق اليك ويسألك ان يأتيه
ليبلغك مالا وجاها فاذا لم تجد لذلك حقيقة ولا وجدت ذلك الملك وردت م
حنقا عليك **الباب الثامن والثلثون** في انواع الكذب
والسبب الداعي اليه الكذب اما ان يكون اختراعا قصدا لا
اصل لها او زيادة في قصة او نقصان يغير المعنى او تحريف
بتغيير عبارة فما كان اختراعا فعادة لئام الافراد واراذل الخلائق
وما كان من زيادة او نقصان فيمن وكل من اراد كذبا في
غيره فاما ان يقوله بحضرة المقول فيه او بغير حضرته و
اعظم الكذب ما كان اختراعا بحضرة المقول فيه فهو المعبر
عنها بالبهتان وكل منها ورد حديثا فاما ان يقوله عن علم
او عن غلبة ظن او عن تخمين وظن واه فما يقال عن علم فهو محمود

بلا شك

بلا شك وما كان عن غلبة ظن فقد يحسن وقد يقبح وما كان عن
تخمين وظن واه فمذموم ولذلك قال تعالى يا ايها الذين
آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم واعلم ان الداعي
الى الكذب محبة النفع الدنيوي وحب الترؤس وذلك ان
المخبر يرى ان له فضلا على المخبر بما علمه فهو يتشبه بالعالم الفاضل
في ذلك فيظن انه يجلب بما يقوله فضيلة ومرتبة وهو يجلب به
نقيصة وفضيحة ففضيحة كذبه واحدة لا يوازيها مسرات
دهره فالكذب عار لازم وذل دائم وحق الانسان ان يتعود
الصدق ولا يترخص في ادنى كذب فمن استحلاه عسر فطامه عنه
وقد قال بعض الحكماء كل ذنب يرجى تركه بتوبة وانابة ما خلا
الكذب فان صاحبه يزداد على الكبر فقد رأينا شارب خمر قد
اقلع ولصا نزع ولم نر كذابا رجع وعوتب كذاب في كذبه
فقال لو تغرغرت وتطعمت حلاوته لما صبرت عنه **الباب
التاسع والثلثون** في ذكر الحسن من المدح والنصيحة
الذكر الحسن شرف مقاصد ابناء الدنيا وهي في جملة الناس ومن

خصايصهم ولا يوجد في غيره من الحيوان كما قال الشاعر شعر
حب الثنا طبيعة الانسان ❊ ولولا التكلف لما ظهرت العدالة من
اكثر الناس ومن لا يخوفه الهجا ولا يسره الثنا لا يردعه عن
سوء الفعال الا السوط او السيف وقيل الذي ينفر عن القبيح
ويحث على الجميل خمسة اشيا العقل ثم الحيا ثم المدح والهجا ثم
الترغيب والترهيب وقيل من لم يردعه الذم عن سيئه
لم يستدعه المدح الى حسنة فهو جماد او بهيمة ولاجل ثنا
الناس الرياسة والمنازل الرفيعة وليس الثنا في نفسه بمحمود
ولا مذموم وانما يحمد ويذم بحسب المقاصد فمن قصد طلب ما
يستحق به الثنا على الوجه الذي يستحب فذلك وهو طريق ابرهيم
عليه السلم حيث قال واجعل لي لسان صدق في الاخرين
اي اجعلني بحيث اصير اذا مدحت بشي يكون مادحي صادقا
ومن هذا الوجه ندب الانسان الى ان يقول اذا مدح اللهم اجعلني
خيرا مما يظنون والمذموم منه من غير تحميل الله من غير تحريه
لفعل ما يقتضيه وذلك من اعظم الافات لمن تحراه فانه يفتح

للحسد والحسد مفتاح الكذب والكذب راس كل مذموم و
قد توعد الله تع من طلب المحمدة من غير فعل حسن يقتضيها فقال
لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا
بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب وبالنظر
الى ما تقدم قال عليه السلم من سرته حسنته وساته
سيئته فهو مؤمن وقال المومن اذا مدح في وجهه
ربا الايمان في قلبه وبالنظر الى ما تاخر ما روي ان النبي
صلى الله عليه واله وسلم سمع رجلا يثني على اخر وقطعت مطاه فقال ص
لو سمع ما افلح والعاقل يكره الثنا في وجهه سيما اذا كان
من مادح متطر وجليس مغر وممن يعرف قبل ان يعرف
وممن اذا وجد قادحا قدح واذا وجد مادحا مدح واما
ثنا الانسان على نفسه فشناعة وفضاعة فقد قيل للحكيم
ما الذي لا يحسن وان كان حقا فقال مدح الرجل نفسه
وقال معوية لرجل من سيد قومك فقال انا فقال لو
كنته لما قلته وانما لم يستقبح ما كان من يوسف عليه السلم

قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم لانه قصد بذلك
التنبيه على استقلاله بما التمس ان يفوض اليه وقد احسن
ابن الرومي حيث اعتذر من مدح نفسه قاصدا الى الدلالة
على مكانه شعر وعزيز علي مدحي لنفسي غير اني جشمته
للدلالة وهو عيب يكاد يسقط كل حر يريد اظهار آله

الباب الاربعون في الشكر

الشكر تصور المنعم عليه النعمة واظهارها قيل هو مقلوب عن الكشر وهو الكشف
ويضاده الكفر وهو من كفر الشيء اي تغطيته ومنه
دابة شكور اي مظهر بسمنه اسداء صاحبه اليه وقيل اصله من
عين شكرى اي ممتلية فالشكر هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه ومن
هذا الوجه قيل هو ابلغ من الحمد لان الحمد ذكر الشيء بصفاته
المحمودة والشكر ذكره بصفاته ونعمه والشكر ثلثة اضرب
شكر بالقلب هو تصور النعمة وشكر باللسان وهو الثناء على
المنعم وشكر بسائر الجوارح وهو مكافاته بقدر استحقاقه
وهو ايضا باعتبار الشاكر والمشكور ثلاثة اضرب شكر الانسان

لمن فوقه وهو بالخدمة والدعاء والثناء وشكره لنظيره وهو
بالمكافاة وشكره لمن دونه وهو بالثواب وقد وصف
الله تع نفسه بالشكر لصالحي عباده وشكر العبد لربه وهو
معرفة نعمته وتحفظ جوارحه بمنعها عن استعمالها فيما لا ينبغي و
معناه بالفارسية اسپاس دارم خدارا اي ما جار من له
على جوارحي وشكر المنعم على الجملة واجب بالعقل كما هو واجب
بالشرع واوجبها شكر الباري عز اسمه ثم شكر من جعله الله عز وجل
سببا لوصول خير اليك على يده ولهذا قال عليه السلم اشكر لمن
انعم عليك وانعم من شكرك فانه لا زوال للنعمة اذا شكرت ولا ثبات
لها اذا كفرت وقال بعض العلماء كل نعمة يمكن شكرها الا نعمة الله
فان شكر نعمته نعمة منه فيحتاج العبد ان يشكر الثاني كشكره الاول
وكذلك الحال في الثالث والرابع فهذا يؤدي الى ما لا يتناهى و
لهذا قال موسى عليه السلم الهي امرتني بالشكر على نعمك وشكري
اياك نعمة من نعمك ومن هذا اخذ الشاعر شعر اذا كان شكري
نعمة الله نعمة علي له في مثلها يجب الشكر فكيف بلوغ الفضل

قال عليه السلام من لم يشكر الناس لم يشكر الله

الا تشكرو ۞ وان طالت الايام واتصل العمر فهذا اقل غايه
شكر الله الاعتراف بالعجز عنه وقد قال تعالى وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها وايضا فكلما يفعل الله تعالى بعبده فهو
منه نعمة وان كان قد تعد بعض ذلك بليه ولذلك قال
بعض الصالحين يا من منعه عطا وبلاؤه نعما ولاجل صعوبة
شكره تعالى قال وقليل من عبادي الشكور ولم يثن على اوليائه
الا اثنين منهم قال في ابرهيم عليه السلم شاكرا لانعمه فخص لفظ
الانعم الدال على ادنى العدد وقال في نوح عليه السلم انه كان
عبدا شكورا واعلم ان الصبر والشكر جماع الايمان كما روي
في الخبر وقد روي الصبر نصف الايمان لكن قد قال بعض
المتصوفة الشكر افضل فان الصبر حبس النفس على مسالمة البلا
والشكر ان لا يلتفت الى البلا بل يراه من النعما فمن صبر ترك له وقد تقدم
اظهار الجزع ومن شكر فقد ترك اظهار السرور بما جزع له
الصابر وايضا الصبر ترك العمل السيء والشكر اظهار الفعل
الحسن وليس من ترك قبيحا كمن فعل جميلا وقابل الله تعالى الشكر

بالمجازاه

بالمجازاة فعل الحبيب بحبيبه وقال وسيجزي الشاكرين
وقابل الصبر بالاجر صنيع المستاجر باجيره فقال انما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب واين الاجر وان كثر
حتى صار بغير حساب من الجزاء ثم قال في الصبر يوفى فلم
يسم فاعله وقال في الشكر وسيجزي الله الشاكرين وفي
اخرى وسيجزي الشاكرين فانظر الى هذا اللطف في المقال
كما تقدم قبل لا نسبهما الى الفعال ولم يذكر من انبيائه بالشكر الا اثنين
ووصف جماعتهم بالصبر فقال كل من الصابرين وقال
تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار شكور فجعل الصبر مبدا و
الشكر منتهى ولان الصبر محمول عليه طبعا والشكر مودى طوعا

الباب الحادي والاربعون في الغيبة والنميمة

ان يذكر الانسان غيره بما فيه من عيب من غير ان يحوج الى
ذكره وقد عظم الله عز وجل امرها فقال ولا يغتب بعضكم
بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقال
همّاز مشاء بنميم وقال عليه السلم لا يدخل الجنة قتات وروي

النميمة تفطر الصائم وتنقض الوضوء وقلّ من وجد
الا من كان معيبا وقال قتيبة لرجل يغتاب لرجل اخر لقد
تلفظت بما يعافه الكرام وحق الانسان ان لا يتعودها فان
لها ضراوة ولذلك عيّر انسان بالغيبة فقال لو تلمظت بها
ما صبرت عنها ثم من اغتاب اغتيب ومن عاب عيب فبحثه
عن عيوب الناس يحمل الناس على البحث عن عيوبه وكما يجب ان
لا يتعاطاها بقوله يجب ان يجتنب من استماعه وسماع كل قبيح سماعها
من الكذب لئلا يعلق وضره ويستحذبه بتفكره فوضر
كلمة عوراء لا يمكن تطهير القلب منه الا بزمان مديد وعلاج
شديد وسماع القبيح قد يصير سببا لفساد الكبير المحنك
وغواية العالم المستبصر فضلا عن فساد الحدث الغر و
الناشي الغمر ولذلك قال تعالى في مدح قوم واذا مروا باللغو
مروا كراما وقد اجاد من قال **شعر** وسمعك صن عن سماع
القبيح كصون اللسان عن النطق به ∴ وبقبح الغيبة والنميمة
والمسابة قال امير المومنين عليه السلم ما تسابا اثنان الا غلب

الامهما

الامهما والا الخط الاعلى الى رتبة الاسفل منهما وقيل ما
سمعت كلمة تؤذيك قط الا من لها حتى تحطها

الباب الثاني والاربعون في الكلام المستقبح

البذاء الكلام
القبيح ويكون من القوة الشهوية طورا كالرفث والسخف
ويكون من القوة الغضبية طورا لمتى كان معه استعانة ما لقوة
المفكرة يكون منه السباب ومتى كان من مجرد الغضب كان
صوتا مجردا لا يفيد نطقا كما ترى كثيرا ممن فار غضبه وهاج
هائجه والرفث فواحش الكلام في باب النكاح واوصاف النسا
وهو قبيح وقال بعضهم اني لاستقبح من الرجال ان يكون وصافا
لبطنه وفرجه ومن حق الانسان ان يصون عند ذلك سمعه كما
يصون عن النطق به ولذلك قال تعالى في مدح قوم واذا مروا
باللغو مروا كراما وقال تعالى واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه
وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين و
السباب ثلثة الاول قدح في نسب المسبوب والثاني في نفسه او
بدنه لعاهة به وافة والثالث في شي من اهله وتعلقه والسفه

الباب الثالث التسرع الى القول القبيح والفعل القبيح
والاربعون في المزاح والضحك المزاح اذا كان على الاقتصاد
ممدوح وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اني لامزح
ولا اقول الا حقا وروي عنه عليه السلم كلمات مازح بها وقال
سعيد بن العاص لابنه اقتصد في مزاحك فالافراط فيه يذهب
البهاء ويجري عليك السفهاء وتركه يقبض المؤانسين ويوحش
المخالطين لكن الاقتصاد فيه صعب جدا لا يكاد يوقف عليه
ولذلك تحرج عنه اكثر الحكماء حتى قيل المزاح مسلبة للبهاء
ومقطعة للاخاء وقيل لا ينتج الا الشر واما الضحك فمن
خصائص الانسان وذلك انه يكون من التعجب والتعجب لا يكون الا
فكرة وبالفكرة يتميز الانسان من البهائم والاقتصاد فيه ومعرفة
ما يحسن منه عسر كما في المزاح وقيل اياك وكثرة الضحك فانها
تميت القلب وتورث النسيان وقيل كثرة الضحك من الرعونة
وحكي عن المسيح عليه السلم انه قال ان الله تع يبغض الضحاك من
غير عجب والمشاء الى غير ارب واما ايراد المضحكات على سبيل السخف

فنهاية

فنهاية القباحة وقال عليه السلم ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك
القوم ويل له ويل له الباب الرابع والاربعون في الحلف
اقبح من الكذب اليمين الفاجرة فضم مع الكذب الاستهانة بالمقسم به
وحق للمسلم ان يتحاشى من الاستهانة باليمين في الحق فكيف في
الباطل وان يتحقق معنى القسم وما يراد به ليعلم ان الاغراض الدنيوية
اوضع امرا واخس قدرا من ان يفزع الانسان فيها الى الحلف بالله و
تقدير ذلك ان القائل اذا قال والله ان لي عليك كذا اي كون ذلك
لي عليك حق كما ان وجود الله تع حق وهذا الكلام يتحاشى منه من في
قلبه حبة خردل من تعظيم الله تع وقد قال ولا تشتروا بآياتي
ثمنا قليلا وقال ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا
وقال امير المومنين عليه السلم الحلف ينفق السلعة ويمحق البركة ولم ينحس
بيعا من يمين واما قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم من لم يحلف على ماله
فلا مال له فانه وان كان بنظر الفقهاء مقصودا منه انه فيحق في الحلف
صادقا فانه في نظر الحكماء حث على ايثار الله تع وتعظيمه وتقديمه
على ايثار المال وتعريض بان الدنيا فانه هو عرض خاص لا الدين والمروة

وحق العاقل اذا اضطر اليه ان يسلك سبيل التعريض فيه دون
التصريح ومن لم يضطر اليه تركه تعريضا وتصريحا وان بدر منه
سهوا حلف شفعه بالاستثنا كما قال عليه السلم من كان حالفا
فليقل انشاالله فانه يدفع الحنث ويذهب الحنث وينجح الحاجة و
يدفع اللجاجة وقيل العاقل اذا تكلم اتبع كلامه مثلا والاحمق
اذا تكلم اتبع كلامه حلفا وقيل علامة الكاذب جوده بيمينه
لغير مستحلف قال الشاعر **شعر** وفي اليمين على ما انت واعده
ما دل انك في الميعاد متهم وقال بعض الحكما اللهجة الحلافة
تدل على كذب اربابها فان ذلك لعلة الركون الى كلامهم وكما جوز
عليه السلم الكذب حين يضطر اليه جوز الحنث في اليمين فقال
اذا حلف احدكم على شي فراى غيره خيرا منه فليات الذي هو خير و
ليكفر عن يمينه

الفصل الثالث فيما يتعلق بالقوى الشهوية

الباب الاول في الحيا

الحيا انقباض النفس
وهو من خصايص الانسان واول ما يظهر من قوة الفهم في الصبيان
وجعله الله تع في الانسان ليرتدع به عما تنزع نفسه اليه من القبايح

فلا يكون كالبهيمة وهو مركب من جبن وعفة ولذلك لا يكون
المستحيي فاسقا ولا الفاسق مستحييا لتنافي اجتماع العفة
والفسق وقلما يكون الشجاع مستحييا والمستحيي شجاعا
لتنافي اجتماع الجبن والشجاعة ولعزة وجود ذلك يجمع الشعرا
بين المدح بالشجاعة والمدح بالحيا نحو قول الشاعر **شعر**
يجري الحيا الغض من قسماتهم ... في حين يجري من اكفهم الدم
وقال الاخر ... كريم يغض الطرف فضل حيائه ... ويدنو
واطراف الرماح دوان ... ومتى قصد به الانقباض يمدح
للصبيان دون المشايخ ومتى قصد به ترك القبيح يمدح
لكل احد وبالاعتبار الاول قيل الحيا بالافاضل قبيح ومن
الوجه قيل حرى حرما في الهوان وحرى خزاية في الاستحيا
تحملا من منبع واحد وبالاعتبار وبالاعتبار الثاني قيل
ان الله يستحيي من ذي الشيبة في الاسلام ان يعذبه اي
اي يترك تعذيبه واما الخجل فحيرة النفس لفرط الحيا
ويحمد في النسا والصبيان ويذم باتفاق في الرجال والو

الغض

مذمومة بكل لسان اذ هي انسلاخ من الانسانية وحقيقتها
لجاج النفس في تعاطي القبيح واشتقاقها من حافر وقاح
اي صلب ولهذه المناسبة قال الشاعر شعر يا ليت لي من
جلد وجهك رقعة ∴ فاقد منها حافرا للاشهب ∴ ومما
قول الشاعر ∴ صلابة الوجه لم تغلب على احد ∴ الا تكامل
فيه الشر فاجتمعا ∴ فاما مداواة اكتساب الحيا فهو ان الانسان
اذا هم بقبيح ان يتصور اجل من نفسه حتى كانه يراه فان الانسان
يستحيي ممن يكبر في نفسه ولذلك لا يستحيي من الحيوان
ولا من الاطفال الذين لا يميزون ويستحيي من العالم اكثر
مما يستحيي من الجاهل ومن الجماعة يستحيي اكثر مما يستحيي
من الواحد والذين يستحيي منهم الانسان ثلثة البشر وهو اكثر
من يستحيي منه ثم نفسه ثم الله تع ومن استحيى من الناس
ولم يستحيي من نفسه فنفسه اخس عنده من غيره ومن
استحيا منهما ولم يستحيي من الله فلعدم معرفته فان الانسان
يستحيي ممن يستعظمه ويعلم انه يراه او يسمع بخبره فيبكته

ومن

ومن لا يعرف الله فكيف يستعظمه وكيف يعلم انه مطلع
عليه وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم استحيوا من الله
حق الحيا ففي ضمنه حث على معرفته وقال تع الم يعلم
بان الله يرى تنبيها ان العبد اذا علم ان ربه يراه استحيا
من ارتكاب الذنب وسئل الجنيد عما يتولد منه الحياء
من الله فقال رؤية العبد آلاء الله عليه ورؤية
تقصيره في شكره ان قيل كيف قال النبي صلى الله عليه و
آله وسلم من لا حيا له فلا ايمان له قيل الحيا اول ما يظهر في
الانسان من امارة العقل والايمان اخر مرتبة العقل ومحال
حصول المرتبة الاخيرة لمن لم يحصل له الاولى فبالواجب
اذا كان من لا حيا له فلا ايمان له وقال عليه السلم الحياء شعبة
من الايمان وقال عليه السلم الايمان عريان ولباسه التقوى
وزينته الحيا **الباب الثاني** في كسر الشهوة واما كسر
الشهوة فمختص بالانسان فاما الحيوانات فكل جنس يتحرى
الفعل بقدر ما في طبعه وهو حابس التعب وضبط الشهوة

فالمتبجح ما هو الانسان لما لا يستحقه وهو المتبذخ وصغير
الهمة تارك لما يستحقه وهو الدنائة وكلاهما مذمومان
لكن المتبجح جاهل احمق وصغير الهمة جاهل غير احمق و
ليس لكبر الهمة افراط مذموم في الحقيقة وانما الافراط
يدخل في كل فعل يتصوره بعض الناس بصورة علو الهمة
وليس كذلك واعلم انه قد يقال فلان كبير الهمة وفلان
صغير الهمة اذا كان احدهما يطلب مقتنى اكثر واشرف
مما يطلبه صاحبه والكبير الهمة على الاطلاق هو من لا
يرضى بالهمم الحيوانية قدر وسعه فلا يصير عبد غاريه
بطنه وفرجه بل يجتهد ان يتخصص بمكارم الشريعة
فيصير من خلفاء الله واوليائه في الدنيا ومن مجاوريه
في الاخرة وصغير الهمة من كان على الضد من ذلك وقال
اعرابي فلان عظم صغر الدنيا في عينه فكان خارجا من
سلطان بطنه فلا يتشهى ما لا يجد ولا يكثر اذا وجد
وخارجا من سلطان فرجه فلا يستخف له رايا ولا بدنا و

حق

حق الانسان ان يتظلف عن ذلك فانه وان كان بعضه
حيوانا فبعقله وفكره ملكا واذا ضيع نفسه صار شرا
من بهيمة وذلك هو الخسران المبين وقيل من عظمت
همته لم يرض بقنية مستردة وحيوة مستعارة فان
امكنك ان تقتني قنية مؤبدة وحيوة مخلدة فافعل
فلا اعتداد بما له فنا فالكبير الهمة على الاطلاق من يتحرى
الفضائل لا للجاه ولا للثروة ولا للذة ولا للاستشعار
نخوة واستعلاء على البرية بل يتحرى مصالح العباد شاكرا
بذلك نعم الله تعالى ومبتغيا به مرضاته غير مكترث بقلة
مساعديه فانه اذا عظم المطلوب قل المساعد وطرق العلا
قليل الايناس

الباب الثالث في الوفاء والغدر

الوفاء اخو الصدق والعدل والغدر اخو الكذب والجور
وذلك ان الوفاء صدق بالقول والفعل معا والغدر كذب
بهما فان فيه مع الكذب نقض العهد والوفاء يختص بالانسان
فمن فقد فيه فقد انسلخ من الانسانية وجعل الله العهد من الايمان

وضيق قوام الامور الناس فالناس مضطرون الى التعاون
ولا يتم تعاونهم الا بمراعاة العهد والوفاء ولولا ذلك
لتنافرت القلوب وارتفع التعايش ولذلك عظم الله تعالى
امره فقال واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقال واوفوا
بعهد الله اذا عاهدتم وقيل في قوله تعالى وثيابك فطهر
اي نزه نفسك عن الغدر وقال تعالى والموفون بعهدهم
اذا عاهدوا وقال والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون
وعظم حال السموأل فيما التزم من الوفاء بدروع امرئ القيس
ولعزة ذلك في الناس قال تعالى وما وجدنا لاكثرهم من عهد وجوده
وضرب به المثل في العزة فقيل اعز من الوفاء وقال شعر
الى الناس الا ذمهم الغدر اذ اجربوا وقبح الكذب

الباب الرابع في المشاورة اشتقاقها من شارت المشاورة
الدابة اذا استخرجت جريها وهي استنباط المرء الراي من غيره
فيما يعرض له من مشكلات الامور ويكون ذلك في الامور الجزئية
التي يتردد المرء فيها بين فعلها وتركها ونعم العون من قال

امير المؤمنين عليه السلام المشاورة حصن من الندامة وامن
من الملامة وقيل الاحمق من قطعه العجب عن الاستشارة و
الاستبداد عن الاستخارة فالراي الواحد كالسحيل والرايان
كالخيطين والثلاثة امرار لا ينتقض وكفى بمدحها قول
الله تعالى لنبيه عليه السلام وشاورهم في الامر وقد استحسن الحكماء
قول الشاعر شعر اذا بلغ الراي المشورة فاستعن بحزم نصيح
او نصيحة حازم ولا تجعل الشورى عليك غضاضة
وريش الخوافي قوة للقوادم لكن اعتماد من يجوز ان يعتمد
مشورته صعب جدا فانه يحتاج ان يكون صديقا امينا
مجربا حازما ناصحا رابط الجاش غير معجب بنفسه ولا متلون
في رايه ولا كاذب في مقاله فمن كذب لسانه كذب رايه و يجب
ان يكون فارغ البال في وقت ما يستشار وقد احسن بشار
حيث قال شعر وما كل ذي لب بمؤتيك نصحه وما كل
مؤت نصحه بلبيب ولكن اذا ما استجمعا عند واحد
فحق له من طاعة بنصيب **الباب الخامس**

في النصح اصل من نصحت الثوب اذا خطته وهو اخلاص المحبة
لغيرك في اظهار ما فيه صلاحه وهو ذوب المحبة المختصة
بالفضيلة دون محبة النفع واللذة وقد عظم النبي صلى الله
عليه وآله وسلم امره فقال الدين النصيحة فقيل لمن يا رسول
الله فقال لله ولرسوله ولائمة المسلمين ولعامتهم فبين
عليه السلام ان النصح واجب لكافة الناس وذلك بان يتحرى مصلحتهم
في جميع امورهم بقدر وسعك واول النصح ان ينصح الانسان
نفسه في غشها فقلما ينصح غيرها ومن استنصح ان يبذل
غاية النصح وان كان ذلك في شيء يضره ويتحرى فيه قول الله
تع يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو
على انفسكم وقال واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وقال
ابن عباس لا يزال الرجل في صحة رايه ما نصح لمستشيره فاذا يزداد ه
غشه سلبه الله تع صحة رايه ولا تلتفت الى من قال اذا نصحت
الرجل فلم يقبل منك فتقرب الى الله بغشه السكوت عنه فقد قيل
كثرة النصيحة تورث الظنة ومعرفة الناصح من الغاش النصح

صعب جدا فالانسان لمكره يصعب الاطلاع على سره اذ هو قد
يبدي خلاف ما يخفي وليس هو كالحيوان الذي يمكن ان يطلع على
طبايعها

الباب السادس في كتمان السر

السر ضربان
احدهما ما يلقي اليك الانسان من حديث يستكتم وذلك اما لفظا
كقولك لغيرك اكتم ما اقول لك واما حالا وهو ان يتحرى القايل حال
انفراده فيما يورده او يخفض صوته او يخفيه عن مجالسيه و
لهذا روي عن النبي عليه السلام اذا حدثك انسان بحديث فالتفت
فهو امانة والثاني ان يكون حديثا في نفسك مما يستقبح اشاعته
او شيئا تريد فعله والى الاول من ذلك اشار النبي عليه السلم بقوله
من اتى منكم من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله والى الثاني
اشار من قال من وهي الامور اعلانه قبل احكامه وكتمان النوع الاول
هو من الوفاء واخص بعامة الناس والثاني من الحزم والاحتياط وهو
اخص بالملوك واصحاب السياسات واذاعة السر من قلة الصبر و
ضيق الصدر ويوصف به ضعفة الرجال والنساء والصبيان والسبب
في انه يصعب كتمان السر هو ان للانسان قوتين اخذة ومعطية وكلتاهما

تتشوق الى الفعل المختص به ولولا ان الله تعالى وكل المعطية باظهار
ما عندها لما استأثرت بالاخبار من لم ترده فصارت هذه القوة
تتشوق الى فعلها الخاص بها فعلى الانسان ان يمسكها ولا يطلقها
الا حيث ما يجب اطلاقها ولا ينخدع عن سره فقد قيل من قال
واكتم السر فقد ضيع العنق وقد قيل من ينشدك ويكاتم الاسرار
حتى انه ليصونها عن ان تمر بخاطره فذلك قول من يستنزلك عما في
قلبك فاذا استفرغ ما عندك لم يرع فيه حقك فقد قيل الصبر
على القبض على الجمر ايسر من كتمان السر وما اصدق من انبأ عن حقيقة
حاله حيث قال لصديق اريد ان افشي اليك سرا تحفظه فقال
لا اريد ان ارى قلبي بحوالك واجعل صدري خزانة شكواك
فيقلقني ما اقلقك ويؤرقني ما ارقك فتبيت بافشائه مستريحا
ويبيت قلبي بحره جريحا وقيل اكثر ما يستنزل الانسان عن سره
في ثلاثة مواضع عند الاضطجاع على فراشه وعند خلوه بعرسه
وفي حال سكره ومن حق من يساره غيره ان يتجنب المحافل لامرين
احدهما ان يساء به الظن فهذا يقول قد اغتابني وذا يسيء به

وذا يتهم والثاني انه ربما يتبع بالفحص فيطلع على مراده و
لذلك قال النبي صلى الله عليه واله وسلم اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى
اثنان دون الثالث **الباب السابع** في التواضع
والكبر التواضع اشتقاقه من الضعة وهي رضى الانسان بمنزلة
دون ما يستحقه فضله ومنزلته وفضيلته لا يكاد يظهر الا في افنا
الناس لانحطاط درجتهم وانما ذلك يتبين في الملوك واجلاء الناس
وعلمائهم وهو من باب التفضل لانه ترك بعض حقه وهو بين الكبر
والضعة فالضعة وضع الانسان نفسه مكانا يزري به بتضييع
حقه والكبر رفع نفسه مكانا فوق قدره والفرق بين التواضع
والخشوع ان التواضع يعتبر بالاخلاق ولا افعال الظاهرة والباطنة
والخشوع يقال باعتبار افعال الجوارح ولذلك قيل اذا تواضع
القلب خشعت الجوارح وقال تعالى خاشعة ابصارهم وقال
وخشعت الاصوات للرحمن وقد عظم النبي عليه السلام التواضع فقال
طوبى لمن تواضع في غير منقصة وذل في نفسه من غير مسكنة
وقيل لبزرجمهر هل تعرف نعمة لا يحسد عليها صاحبها وبلاء لا يرحم

عليه صاحبه قال نعم امّا النعمة فالتواضع وامّا البلاء فالكبر
وقال بعض الحكماء وجدنا التواضع مع الجهل والبخل احمد عند
الحكماء من الكبر مع الادب والسخاء فانبل بحسنة غطت على
سيئتين واقبح بسيئة غطت على حسنتين والكبر ظن الانسان
بنفسه انه اكبر من غيره والتكبر اظهاره لذلك وهذه صفة
لا يستحقها الا الله عز وجل ومن ادعاها من المخلوقين
فهو فيها كاذب ولذلك صار مدحا في الباري وذما في
البشر فانما شرف المخلوق في اظهار العبودية كما قال تع
لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون
تنبيها ان ذلك ظهر رفعة لا ضعة والمتكبر والضرع كلاهما
جاهلان لكن الضرع غبي والمتكبر غبي احمق وشتان ما بينهما
فالغبي قد يتادب والاحمق لا سبيل الى تاديبه ولان الضرع
ترك ما له والمتكبر ادعى ما ليس له وشتان ما بين المنزلتين
ولان الكبر متولد من الاعجاب والاعجاب من الجهل بحقيقة
المحاسن والجهل راس الانسلاخ من الانسانية ومن الكبر امتناع

من

من قبول الحق ولذلك عظم الله امره فقال انه لا يحب المستكبرين
وقال تعالى اليس في جهنم مثوى للمتكبرين وقال اليوم تجزون
بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق وقال كذلك يطبع الله
على كل قلب متكبر جبار وقال عليه السلم يقول الله عز وجل
العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدا منهما قذفته
في نار جهنم ونبه تع على مبلغ فعله احسن تنبيه بقوله ولا تمش
في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا
واقبح كبر بين الناس ما كان معه بخل ولذلك قال عليه السلم
خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل والكبر واستحسن قول
الشاعر شعر جمعت امرين ضاع الحزم بينهما :. تيه الملوك
وافعال المماليك :. ومن تفكر فيما سبق لها دل على دناءة
عنصره ومن تفكر في تركيب ذاته فعرف مبداه ومنتهاه
واوساطه عرف نقصه ورفض كبره وقد نبه الله على ذلك
بقوله فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من
بين الصلب والترائب وقوله تع قتل الانسان ما اكفره من

أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره وقوله إنا خلقنا
الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه وإلى هذا أشار مطرف بن المعنى منظوم
عبد الله الشخير لما قال ليزيد بن المهلب أولك نطفة قذرة
وآخرك جيفة مذرة وأنت فيما بين ذلك حامل عذرة و
أخذ ذلك الشاعر فقال شعر كيف يزهو من رجيعه أبد
الدهر ضجيعه وقال يا قريب العهد بالمخرج لم لا تتواضع
فمن كان تكبره لقيته فليعلم أن ذلك ظل زائل وعارية مستردة
والاستطالة إظهار الطول فمن أظهر ذلك من غير طول فضح
عن الإنسانية ومن أظهره مع الطول فقد ضيع طوله و
الصلف يقال اعتبارا بميل في عنقه والصعر ميل في الخد
ولذلك استعمل في ذلك لي الرأس نحو قوله تعالى لووا رؤوسهم
والبأو استقصاء النفس ما ليرتفع عن الانقياد للواجب
والخيلاء أن يظن بنفسه ما ليس فيها من قولهم خلت وتصور
هذا المعنى قال حكيم إعجاب المرء بنفسه أن يظن بها ما ليس فيها حكيم صح
مع ضعف قوة فيظهر فرحه بها والزهو الاستخفاف

من الفرح بنفسه فأما العز فالترفع بالنفس عما يلحقه
غضاضة وأصلها من العزاز وهو الأرض الصلبة فأما
المتعزز فهو حصوله في عزاز لا يلحقه فيه غضاضة كالمتطرف
في كونه في طرف من الأرض لا يلحقه فيه مذلة والعز منزلة
شريفة وهي معرفة الإنسان بقدر نفسه وإكرامها عن الضراعة يتحد صح
للأعراض الدنيوية كما أن الكبر نتيجة جهل الإنسان بقدر نفسه
وإنزالها فوق منزلتها وكثيرا ما يتصور أحدهما بصورة الآخر
كتصور التواضع والتضرع والتذلل بصورة واحدة وتصور
الإسراف بصورة الجود والبخل بصورة الحزم ولهذا قال الحسن
لمن قال له ما أعظمك في نفسك قال لست بعظيم ولكني عزيز
وقد قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقال عليه السلام فيما يكون بغير الحق صح
لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه ولما قلنا قالوا التكبر غير مذموم
قال تعالى ويتكبرون في الأرض بغير الحق وقال ابن مسعود من خضع لغني
ووضع نفسه عنده طمعا فيه ذهب ثلثا دينه وشطر مروته

الباب الثامن في الفخر والمباهاة بالأشياء الخارجة

عن الانسان وذلك نهاية الحمق لمن نظر بعين عقله وانحسر عنه
قناع جهله فاعراض الدنيا عارية مستردة لا تؤمن في كل ساعة
ان تسترجع والمباهي بها مباه بغير شاه ومتبجح بما في وطن
سواه كالفاخر بجذع رتبها لا هو دون من ذلك وقد قال
بعض الحكما لمفتخر يفتخر بثروته ان افتخرت بفرسك فالحسن
والفراهة له دونك وان افتخرت بثيابك والاتك فالجمال
لها دونك وان افتخرت بابائك فالفضل فيهم لا فيك ولو
تكلمت هذه الاشيا لقالت هذه محاسننا فما لك من الحسن وانقض
فالاعراض الدنيوية سحابة صيف عن قليل تقشع وظل زائل
عن قريب يضمحل كما قال انما الدنيا كرويا افرحت :: من راها ساعة
ثم انقضت :: بل كما قال تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كما انزلناه من
السما فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام حتى
اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها
اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس
فان افتخرت بمعنى فيك غير خارج عنك واذا عجبت من الدنيا شي

فاذكر

فاذكر فناه وبقاك او بقاه وزواله او فناكما جميعا واذا
راقك ما هو لك فانظر الى قرب خروجه من يدك وبعد رجوعه
اليك وطول حسابك عليه ان كنت تؤمن بالله واليوم الاخر وقد
ذم الله تعالى الفخر فقال والله لا يحب كل مختال فخور

الباب التاسع

في العجب والعجب ظن الانسان بنفسه استحقاق منزلة
هو غير مستحق لها ولهذا قال اعرابي لرجل راه معجبا بنفسه يسرني
ان اكون عند الناس مثلك في نفسك واكون في نفسي مثلك
عند الناس فتمنى حقيقة ما يقدره المخاطب وراى ان ذلك انما
يتم حسنه متى عرف به عيوب نفسه وقد قيل المحسن من نسي الناس
قال من يرى انه افضلهم وقال بعضهم الكاذب في نهاية البعد
من الفضل والمرائي اسوا حالا من الكاذب لانه يكذب بقوله وفعله
والمعجب اسوا حالا منهما فانهما يريان نقص انفسهما ويريدان اخفاه
والمعجب عمي عن مساوي نفسه فيراها محاسن ويبديها وقال
لان المرائي قد ينتفع بهما كما انتفع خائف ركاب الغرق من مكانه في البحر
فيشتهم بتجاوزه قبل ان يتجاوزوه لئلا يضطربوا خوف الغرق

والكاذب م

فيؤدي ذلك الى العطب بهم وقد يحمد ريا الرئيس اذا قصد ان
يقتدي به في فعل الخير والمعجب لاحظ له في ذلك بوجه ولانك
اذا وعظت المرائي والكاذب فعنفتهما قصد قد تبكتهما
لمعرفتهما بنقصهما والمعجب لجهله بنقصه يظنك في وعظه
ملغيا فلا ينتفع بمقالك واياه قصد تعالى بقوله افمن زين له سوء
عمله فراه حسنا ثم قال فلا تذهب نفسك عليهم حسرات تنبيها انهم
لا يعلمون لاعجابهم وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلث مهلكات
شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال ابليس عليه اللعنة
اذا ظفرت من ابن ادم بثلث لا اطالبه بغيرها اذا اعجب بنفسه
واستكثر عمله ونسي ذنوبه وكما ان المعجب بفرسه وان كان رديا
لا يروم ان يستبدل بغيره كذا المعجب بنفسه لا يريد تبدله
وان كانت رديا بدلا واصل الاعجاب من حب الانسان نفسه
وقد قال عليه السلام حبك الشيء يعمي ويصم ومن عمي وصم تعذر
عليه رؤية عيوبه وسماعها فيجب علينا ان نجعل على انفسنا
عيونا تعرفنا عيوبنا فنحقق ما قال عمر رحم الله امرا اهدى الي

عيوبي

عيوبي ويجب على الانسان اذا راى من غيره سيئة ان يرجع
الى نفسه فان راى ذلك منها نزعها ولا يغفل منها فمن جهلت
نفسه فذره واي عيب منه ازرى والتيه قريب من العجب
لكن المعجب يصدق نفسه فيما يظن بها وهما والتائه يصدقها
قطعا كانه متحير في تيه

الباب العاشر في انواع اللذات وتفاصيلها

اللذة ادراك المشتهى والشهوة انبعاث
النفس لنيل ما تتشوقه وهي ثلث بحسب القوى الثلث وبحسب
المقتنيات الثلثة لذة عقلية وهي التي يختص الانسان بها كلذة
العلم والحكمة ولذة بدنية يشاركه فيها جميع الحيوان و
الانسان كلذة المشرب والماكل والمنكح ولذة مشتركة بين
الانسان وبعض الحيوان كلذة الرياسة والغلبة واشرفها
واقلها وجودا اللذة العقلية فمن شرفها انها لا تمل ولا تنفد
لكن لا يعرفها الا من تخصص بها فالحكمة لا يستلذها الا
الحكيم وادون اللذات منزلة واكثرها اللذة البدنية وجودا صح
فكل حيوان يتشوقها لكنها تمل تارة وتزداد تارة وهي من وجه

مداواة للآلام ومن وجد الالم وعلى هذا قال الحسن في وصف
الانسان صريع جوع وقتيل شبع وجميع اللذات تنقسم
عشرة اقسام مأكل ومشرب ومنكح وملبس ومشم ومسمع
ومبصر ومركب وخادم ومرفق من الآلات وما يجري
مجريها داخلة في جملة المبصرات وعلى ذلك روي عن امير المؤمنين
عليه السلام حيث قال لعمار بن ياسر وقد رآه يتنفس فقال
يا عمار على ماذا تنفسك ان كان على الآخرة فقد ربحت
تجارتك وان كان على الدنيا فقد صفقتك فاني وجدت خسرت صح
لذاتها ستة المأكول والمنكوح والمشروبات والملبوسات
والمسموعات والمبصرات فاما المأكولات فافضلها العسل
وهو صنعة ذباب واما المشروبات فافضلها الماء وهو
مباح اهون موجود واعز مفقود واما المنكوحات فمبال
في مبال وحسبك ان تزين المرأة احسن شيء منها ويراد
اقبح شيء منها واما الملبوسات فافضلها الديباج وهو
نسج دودة واما المشمومات فافضلها المسك وهو دم

فارة

فارة واما المسموعات فريح هابة في الهوى واما المبصرات
فخيالات صائرة الى الفناء وقد ذكر الله تعالى اصول ذلك في
قوله زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين و
القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة
والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن
المآب والمشار اليه بحرث الدنيا الى هذه لاشتمالها على ما ذكر
امير المؤمنين عليه السلام والعشرة ما ذكرناه وكلا القولين
في التحصيل واحد والمراد بالنساء اقتناؤهن والاستكثار
منهن وبالبنين الذكور من الاولاد والحفدة والخدم و
بالانعام الازواج الثمانية وبالخيل المسومة السائمة منها
والمستفرهة واعلم ان التي هي ضرورية للانسان من
اللذات ولا قوام له في هذه الدنيا الا بهما ما هو مشترك
بينه وبين جنسه من الحيوان المأكل والمشرب ويجمعهما اسم
الغذاء والمنكح فبالغذاء بقاء الاشخاص وبالنكاح بقاء
الانواع ولذلك صارت الحاجة اليهما ضرورية وصار

تناولها الابد منه وسائر اللذات مخصوص بها الانسان
وليس بضروري له ويتناوله بعضهم ويانف الملوك من بعض
الملاذ سوى اتيان السماع لكونه من وجه لذة روحانية
والبناء لكونه دالا على ارتفاع الهمة ومتى كانت الشهوة متناهية عقلية
كانت ام بدنية يقال لها الحرص فالحرص قد يكون محمودا
ولذلك قال تعالى حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم ومتى
كانت الشهوة للقينات قيل الشره سواء كان مالا او طعاما
او نكاحا ومتى كانت للطعام قيل لها النهم واذا كانت للنكاح
قيل لها الشبق وثلثتها اعنى النهم والشبق والشره مذموم
وما روي من قوله عليه السلام منهومان لا يشبعان منهوم
بالعلم ومنهوم بالمال فالنهم في العلم استعارة وهو ان يحمل
على نفسه ما تنقص قواها عنه فتنبت وقد قال عليه السلام
ان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى

الباب الحادي عشر

فيما يحسن تناوله من المطعم وما يقبح
منه الغذاء ضربان احدهما ما لا يستغنى عنه في قوام البدن

كالطعام الذي به يتغذى والماء الذي به يروى والانسان
اذا تناول من ذلك مقدار ما لا يمكن التبلغ باقل منه على
ما يجب وكما يجب فمعذور به مشكور ومأجور وعلى هذا
ما روي عند اكل الصالحين تتنزل الرحمة وحقه ان يتناوله
تناول مضطر عالم بمقداره ماله وان يرى ادخاله في نفسه
كدخول المستراح ويتحقق ان نسبة الانسان الى الفواكه
والثمار كنسبة الجعل الى الروث فلو نطق الشجر لقال لك انك
تاكل فضالتي كما ياكل فضالتك فالخنزير اذا استطاب
لفاظة الانسان فما هو كاستطابتنا لفاظة الشجر وبهذا
يعلم ان شرف المطعم والمشرب بالاضافة لا بالاطلاق
فالقرد يا انسان عن مثالبك الدنا وحل البصيرة واستعمل
الاعتبار تجد صدق ما قلت ومن تناول من الطعام اكثر
من ذلك كره طبا وشرعا اما طبا فان الداء اكثر ما تراه
يكون من الطعام والشراب وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء وعودوا كل بدن

ما اعتاد قال ابن زكريا المتطبب ما ترك عليه السلام شيئا في الطب
الا اتى به في هذه الكلمات الثلث واما شرعا فقد قال
عليه السلام ما ملأ وعاء ابغض الى الله من بطن ملئ من حلال
وذلك لان امتلاء البطن مقو للشهوة داعية للهوى والهوى وتقوية الشهوة صح
اعظم جند الشيطان ومن اشتهى هواه وانتشر في بدنه حل
كل عضو منه جزء بقدره وسعة له فكثر جنود الشيطان و
الشيطان اذا تسلط على الانسان سباه عن زهده وحجره
عن بابه وقيل لحكيم ما بالك مع كبر ذلك لا تتفقد بدنك وقد
انهدم قال لانه سريع المرح فاحش الاشر اخاف ان يجمح بي فيورطني
ولان احمله على الشدايد احب الي من ان يحملني على الفواحش و
الصبر عما لا بد منه من المطعم ما يستغنى عنه ولو توهمناه مفقودا
لم يخل بافساده البدن واعظمها ضررا المسكر فيفعل ما ليس بضروري
وثانيا ولد تسهيل لطريق الشيطان الى تهيج القوة السبعية واثارة
سلطان الهوى كما قال تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع
بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر الاية وقيل حيث الشراب

واللهو لا يسكن الحكمة والعقد فان قيل فقد قال تعالى قل من حرم
زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق فلم يخص من
الحلال قدرا دون قدر وجنسا دون جنس قيل الطيب التام
الطيب هو الذي جمع اللذة والنفع والفضيلة وذلك هو القدر
المبلغ بدن على ما يجب وكما يجب الا ترى كيف من ذم لم يكن ذلك قصده
فقال ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وقال
والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام والنار مثوى
لهم ومن الدلالة على خسة الاكل اعتادة عامة الناس الاستحياء بالفعل
وقلة وجود المفتخر بكثرة الاكل وقيل من كانت همته ما يدخل في
بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه وقد استحسن قول الشاعر شعر
وانك مهما امت بطنك سوله وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا
وقال عليه السلام حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا بد
فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقال عليه السلام المؤمن
ياكل في معى واحد والكافر ياكل في سبعة امعاء فنبه من الخبر على انه
لا يستعمل الانسان على جهة الاستحباب الاكل الا في سبع بطنه وهو

ذكره من اللقيمات وذلك دون عشر لقم لان الجمع بالالف والتاء
لما دون العشرة ثم رخص لمن غلب عليه النهم ان يبلغ الى ثلث بطنه
فحصل من ذلك ان اكل المؤمن في اليوم يجب ان يكون سُبع بطنه

الباب الثاني عشر فيما يحسن من المنكح او يقبح منه

قد تقدم ان النكاح ضروري في حفظ النسل وبقاء النوع كما ان
الغذاء ضروري في حفظ الشخص ولذلك قال عليه السلم تناكحوا
تكثروا وقال عليه السلم خير النساء الودود الولود وقال سوداء ولود
خير من حسناء عقيم ولقصد النسل حظر اتيان المراة في محاشها
وعلى هذا نبه قوله عز وجل نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم
وقدموا لانفسكم فنبه انه لا يجوز اتيانهن الا في المحرث وكرر
الحرث تاكيدا للمقصود من الجماع وعلى ذلك قوله تعالى وابتغوا ما كتب
الله لكم وكلوا واشربوا ويجري النكاح على وجهين احدهما على الوجه
الذي سنه الشرع وذلك اما محمود او مذموم فالمحمود ان
يتعاطاه قاصدا به النسل او مزيلا على ما يجب لو جعده ومسكنا
لنفسه فالماء اذا اجتمع فيه من يجري مجرى عين في فتح يعظم بحبسه

الضرر

الضرر ويدعوا صاحبه الى ما هو في الشرع محرم او مذموم طبعا
وان لم يكن مكروها شرعا ان يتعاطاه المرء فضلا عما تقدم
ذكره فانه ينفد العمر ويستنفد القوى ويوسخ اوعية المني
ويجلب اليها دما كثيرا ويورث شهوة واعظم فاية فيه ان يلحق
صاحبه بما في البهائم من التيوس والثيران ونحوهما مما يوصف
بالشبق والضرب الثاني ما ان يكون على غير الوجه المشروع
وذلك ضربان احدهما تعاطيه في المحرث ولكن لا على الوجه الذي
يجب وكما يجب كالزنا وقد عظم الله امره فقرنه مرة بالشرك فقال
الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او
مشرك ومرة قرنه بالشرك وقتل النفس المحرمة فقال والذين
لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا
بالحق ولا يزنون وسمي ذلك سفاحا من حيث ان المجتمعين عليه
لا غرض لهما سوى سفح الماء للشهوة كمن ضيع ماء في غير محرثه والثاني
تعاطيه في غير المحرث كاللواطة وهي اعظم من الزنا لان الزاني واضع البذر
في المحرث على غير الوجه المامور به فهو كمن يزرع في ارض غيره او

غير الوجه يجوز ان يزرع فيهما في اللواطة مع ذلك تضييع البذر الذي صح
فمتعاطيهما ممن قد تعدى فيه ويهلك الحرث والنسل ولهذا
وصف قوم لوط بالاسراف فقال انكم لتاتون الرجال شهوة
من دون النساء بل انتم قوم مسرفون واما العشق الشهوي
فمن حمق وجهل بما وضع لاجله الجماع وتجاوز لحد البهائم في عدم
ملكة النفس وذم الهوى لان المتعشق لم يرض بارادة لذة
الباه التي هي اسمج الشهوات حتى ارادها من موضع واحد
فازداد بذلك عبودية على عبودية وذلة على ذلة والبهيمة
احسن حالا منه اذا اسقطت الاذى عن نفسها بالسفاد سكنت
فصارت الى الراحة وهو لم يرض بذلك حتى استعان بالعقل
في خدمة الشهوة واستجلابها وانما اعطاه الله العقل ليقمع
به الشهوة القبيحة لا ليجعله خادما لها وساعيا في جمعها
وتعاطي العشق حال كل جاهل فارغ سيما اذا افرط في اخبار
العشاق ومجالسهم وربما يودي بالعاشق الحال الى الدق
والذبول بل الى الموت فلو فكر العاشق في منتهى معشوقه قصر
عن

عن عشقه ومن اثار شهوته فهو كمن يثير بهائم عادية
سباعا ضارية ثم يلتمس دفاعها والخلاص منها وكفى بما
يحتاج من باعث الطبيعة عن اثارته بالفكر والروية
لمن اعان الطبيعة على ذلك فهو كما قيل **شعر** كلما انبت
الزمان قناة ∴ ركب المرء في القناة سنانا ∴ وقال حكيم
لتلميذ له هوي جارية هل تشك في ان الابدان تفارقها
يوما فقال لا قال فاجعل تلك المرارة المتجرعة في ذلك
اليوم في يومك هذا واربح ما بينهما من الخوف المنتظر وقيل
لبعض الحكما ما العشق فقال جنون لا يوجر صاحبه عليه
عنده صح وسئل اخر فقال مرض نفس فارغة لا همة لها وقال اخر
هو اختيار صادف نفسا فارغة فاشار واكثرهم الى معنى
واحد **الباب الثالث عشر** في العفة العفة
لا يتعلق الا بالقوة الشهوية ولا يتعلق من القوة الشهوية
الا بالملاذ الحيوانية وهي المتعلقة بالقارين البطن والفرج
دون الالوان الحسنة والالحان الطيبة والاشكال المنتظمة

فان قيل فاستطابة الرائحة قد يكون للبهائم الا ترى ان الذئب
يستطيب ريح الغنم والكلب يستطيب ريح الارنب قيل ان
استطابتهما لذلك استطابة للاكل والذي قلناه من الرائحة
هو ما يستطاب لذاته لا لاجل غيره وما هو لاجل احد الغاذين
فحكمه حكمهما كاستطابة الانسان ريح السكباج فصل
ان العفة هي ضبط النفس عن الملاذ الحيوانية وهي حالة
متوسطة بين افراط هو الشره وتفريط هو جمود و
الزهد وغناء النفس والسخاء وعدمها يعفي عن جميع المحاسن
ويعري عن لبوس المحامد ومن اتسم بسمة العفة قامت
العفة له بجميع ما سواها من الفضائل وتسهلت له سبيل
الوصول الى المحاسن واسها يتعلق بضبط القلب عن
تطلع الشهوات البدنية وعن اعتقاد ما يكون جالبا للبغي
والعدوان وتمامها يتعلق بحفظ الجوارح فمن عدم عفة القلب
يكون منه التمني وسوء الظن اللذان هما اس كل رذيلة لان
من تمنى ما في يد غيره حسده واذا حسده عاداه واذا عاداه

عاداه

نازعه واذا نازعه ربما قتله ومن اساء الظن عادى
وبغى وتعدى ولذلك نهى الله تعالى عنهما جميعا فقال
ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقال تعالى يا ايها الذين
آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم فامر فيهما
بقلع شجرتين يتفرع عنهما اجل الرذائل والمآثم ولا يكون
الانسان تام العفة حتى يكون عفيف اليد واللسان والسمع
والبصر فمن عدمها في اللسان السخرية والتجسس والغيبة و
الهمز والنميمة والتنابز بالالقاب ومن عدمها في البصر مد
العين الى المحارم وزينة الحياة الدنيا المولدة للشهوات
الردية ومن عدمها في السمع الاصغاء الى المسموعات القبيحة
وعماد عفة الجوارح كلها ان لا يطلقها صاحبها في شيء
مما يختص كل واحد منها الا فيما يسوغه فيه العقل والشرع
دون الشهوة والهوى واعلم انه لا يكون المتعفف عفيفا
الا بشرائط وهو ان لا يكون تعففه عن الشيء انتظارا
لاكثر منه او لانه لا يوافقه او لجمود شهوته او لاستشعار

خوف من عاقبة او لانه ممنوع منها ولذا او لانه غير عارف
به لقصوره فان ذلك كله ليس بعفة انما هو اصطياد
او تطببا ومرض وحزم او عجز او جهل وترك ضبط
النفس عن الشهوة اذم من تركها عن الغضب والشهوة
مخاتلة مخادعة والغضب مغالب والمنحسر عن قتال
المخادع اردى حالا من المنحسر عن المغالب ولهذا قيل
عبد الشهوة اذل من عبد الرق وايضا الشره قد يجعل عبيد
فهو شبيه بمدينة لهم سنة ردية يتعاطونها وهم يعرفون
قبحها وليس من تعاطى قبيحا يعرف فكمن تعاطاه وهو يظنه حسنا

الباب الرابع عشر في القناعة والزهد

القناعة الرضا بما دون الكفاية والزهد الاقتصار على الزهيد
اي القليل وهما يتقاربان لكن القناعة تقال اعتبارا برضاء
النفس والزهد اعتبارا بمنا ولحظ النفس وكل زهد حصل لا
عن قناعة فهو تزهد لا زهد ولذلك قال بعض الصوفية القناعة
اول الزهد تنبيها ان الانسان يحتاج اولا الى قمع نفسه والتخصص

بالقناعة ليسهل عليه تعاطي الزهد فالقناعة هي الغنى في الحقيقة
فالناس كلهم فقراء من وجهين احدهما لافتقارهم الى الله
كما قال تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله والثاني لكثرة حاجاتهم
فاغناهم اقلهم حاجة ومن سد مفاقره بالمقتنيات فما في
انسدادها طمع فانه كمن يرقع الخرق بالخرق ويسد الفقر
بالفقر ومن سدها بالاستغناء عنها بقدر وسعه والاقتصار
على تناول الضرورية فهو الغني والمقرب من الله تعالى كما
اشار اليه فيما حكى عن طالوت ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب
منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة
بيده فشربوا منه الا قليلا منهم ولان الغنى هو عدم الحاجة
فاغناهم اقلهم حاجة ولذلك كان الله تعالى اغنى الاغنياء
لانه لا حاجة به الى شيء وعلى هذا دل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله ص
ليس الغنى بكثرة العرض وانما الغنى غنى النفس ومن ابيات
الحكمة شعر غنى النفس ما يكفيك من سد حاجة فان زاد
شيئا عاد ذاك الغنى فقرا والحري بمن ان يستغني عن الدنيا

وبين ان يستغني بها كالمخير بين ان يكون مالكا ومملوكا
وقويا او ضعيفا ومعافى او مبتلى وحيا او ميتا فمن اختار
الاستغناء بها فقد اختار ان يكون مملوكا وضعيفا ومبتلى
وميتا ولهذا قال عليه السلم تعس عبد الدنيا تعس عبد الدنيا
وقيل لحكيم لم لا تغتم قال لاني لم اتخذ ما يغمني واعلم انه
ليس الزهد من ترك المكاسب في شيء كما توهمه قوم افرطوا
حتى قربوا من مذهب المانوية والبراهمة والرهبانية
فان ذلك يودي الى خراب العالم ومضادة الله فيما قدر
ودبر وقد تقدم ذلك والزهد من وجه صبر ومن وجه
جود فالجود ضربان جود بما في يدك متبرعا وجود عما في
يد غيرك متورعا وذلك اشرفهما ولا يحصل الزهد في الحقيقة
الا لمن يعرف الدنيا ما هي ويعرف عيوبها وآفاتها ويتحقق
ما يستغنى عنها ويعرف الآخرة وافتقاره اليها ولا جل ان
لا بد في ذلك من العلم قال تعالى قال الذين يريدون الحيوة الدنيا يا ليت
لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين اوتوا

العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقيها
الا الصابرون ولان الزاهد في الدنيا راغب في الآخرة
وهو يبيعها بها كما قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وقبيح ان يبيع كيس عينا باثر
الا اذا عرفها وعرف فضل المبتاع على المبيع وقيل لبعض
الزهاد ما اصبرك وازهدك فقال اما زهدي فرغبة
فيما هو اعظم مما انت فيه واما صبري فالجزع من النار

الباب الخامس عشر في الورع

الورع اصله حبس وضعف وقد يستعمل في كل واحد منهما لكن جعل
في عرف الشرع لترك التسرع الى تناول اعراض الدنيا وذلك
ثلثة اضرب واجب وهو الاحجام عن المحارم وذلك للناس
كافة وندب وهو الوقوف عند الشبهات وذلك للاوساط
وفضيلة وهو الكف عن كثير من المباحات والاقتصار على اقل
الضرورات وذلك للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وقد قال عليه السلم لا يكون العبد من المتقين حتى يدع ما لا باس

به حذر المابر مابين وقت باعتبار المنزل الثاني لما قال
رجل للنبي عليه السلم ما اشد الورع فقال ما ايسر الورع
اذا شككت في شيء فدعه

الفصل الرابع

فيما يتعلق بالقوى الغضبية

الباب الاول

فيما ينبع من القوى الغضبية الحميدة وهي قوة الغضب متى
تحركت تحرك دم القلب فتولد منه ثلثة احوال وذلك انها
اما ان تحرك على من فوقه او على من دونه او على من نظيره
فان كان على من فوقه ممن يظن انه لا سبيل له الى الانتقام منه
تولد منه انقباض الدم وذلك هو الجزع فان كان على من دونه
ممن يظن ان له سبيلا الى الانتقام منه تولد منه ثوران دم
القلب ارادة للانتقام وذلك هو الغضب وان كان على
نظيره ممن يشك انه هل يقدر على الانتقام منه تولد منه
الدم منه بين انقباض وانبساط وذلك هو الوتر والحقد
ولكون الغم والغضب بالذات واحدا واختلافهما بالاضافة
لما سئل ابن عباس رضي الله فقال مخرجهما واحد واللفظ

مختلف

مختلف فمن نازع من يقوى عليه لطرح غضبا ومن نازع
من لا يقوى عليه كتمه حزنا ومن هذا قال الشاعر شعر
فحزن كل اخي حزن اخو الغضب ⁖ وللانبساط دم الحقد يحمى
تارة وجهه وينتفخ اوداجه كما يلتهب ويسود وجهه
تارة وذلك اذا اكتن واشتد غضبه كنار في غار فيسود
جوه وللانقباض دم الجزع عن ظاهر الجلد واجتماعه في القلب
يصفر وجهه حتى ربما يهلك من ذلك ولتردد دم الحقد
بين هذين الاحوال يحمر ويصفر ويسود والحرد هو الغضب
لكن يستعمل اذا كان معه قصد المغضوب عليه ولذلك
يقال حرد حرد الاسد

الباب الثاني

في انواع الصبر ومدح الصبر ضربان جسمي ونفسي فالجسمي هو
تحمل المشاق بقدر القوة البدنية ونهايتها معلومة واكثرها
لذوي الجسوم الخشنة وليس ذلك بفضيلة تامة ولهذا
قال الشاعر شعر والصبر بالارواح يعرف فضله ⁖
صبر الملوك وليس بالاجسام ⁖ وذلك في الفعل كالمشي

ورفع الجرح وفي الانفعال كالصبر على المرض واحتمال الضرب
والقطع والثاني نفسي وبه تتعلق الفضيلة وذلك
ضربان صبر عن شهوة مشتهى ويقال له العفة وصبر على
تحمل مكروه او عن محبوب وذلك يختلف اسماؤه بحسب اختلاف
مواقعه فان كان ذلك في نزول مصيبة فانه لم يتعد به
اسم الصبر ويضاده الجزع والهلع والحزن وان كان في
احتمال غنى فقد سمي ضبط النفس ويضاده الدفع والبطر
وان كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان في
امساك النفس عن قضاء وطر الغضب سمي حلما ويضاده
التذمر وان كان في نايبة مضجرة سمي سعة الصدر ويضاده
ضيق الصدر والضجر والتبرم وان كان في امساك كلام
في الضمير سمي كتمان السر ويضاده الافشاء وان كان عن فضول
العيش سمي قناعة وزهدا ويضاده الحرص والشره ولكون
الصبر عاما قال تعالى والصابرين في البأسا والضراء وحين
البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون فذكر انهم

يصبرون

يصبرون في البأسا اي الفقر وفي الضراء اي المصيبة وحين
البأس اي المحاربة قال بعضهم ضبط النفس بقاء في الاشياء
الملذة والصبر يقال في الاشياء المحزنة وقال بعضهم هما
من الاسماء المترادفة على معنى واحد ان قيل ما معنى قوله
عليه السلام الصبر نصف الايمان قيل لما كان جميع المحامد من
ضربين ترك الشر ويعبر بالصبر وفعل الخير ويعبر عنه
بالشكر صار الصبر الذي هو ترك الشر نصف الايمان

الباب الثالث في الشجاعة

الشجاعة ان اعتبرت وهي في النفس فصرامة القلب على الاهوال وربط
الجاش في المخاوف واذا اعتبرت بالفعل فالاقدام على
مواضع الفرصة وهي فضيلة بين التهور والجبن وتولدها
من الغضب والفزع اذا كانا متوسطين فان الغضب
قد يكون مفرطا لمن يحتدم سريعا من اشياء صغيرة وقد
يكون مفرطا لمن لا يغضب من الاقراء على حرمه وشتم ابيه
وامه وقد يكون متوسطا على ما يجب في وقت ما يجب بقدر

ما يجب وكذلك الفزع يكون مفرطاً فيتولد منه الوقاحة او
الغمارة لمن لا يفزع من شتم اباته وتضييع حرمه واصدقائه
وقد يكون متوسطاً كما يجب وقدر ما يجب ولكونهما اعني
الغضب والفزع على حالتين محمود ومذموم صار يحمد تارة
ويذم اخرى فان الغضب في نحو قوله تع وغضب الله عليهم
والفزع في نحو قول الشاعر شعر فزعت لظلم مما محمود ان
والتهور هو الثبات المذموم في الامور المعطبة والجبن
هو الفزع المذموم من الامور المعطبة وانواع الشجاعة خمسة
سبعية كمن اقدم لثوران غضب وتطلب غلبة وبهيمية كمن
حارب توصلاً الى مأكل ومنكح وتجربية كمن حارب مراراً فظفر
فجعل ذلك اصلاً يبني عليه وجهادية كمن يحارب ذباً عن الدين
وحكمية وهي ما يكون في كل ذلك عن فكر وتمييز وهيئة محمودة
بقدر ما يجب وعلى ما يجب الا ترى انه يحمد من اقدم على كافر
غضباً لدين الله او طمعاً في ثوابه او خوفاً من عقابه او اصعاده
على ما رأى من ايجاد الله وعون في حضرة اوليائه فان كل ذلك محمود

وان

وان كان محض الشجاعة ان لا يقصد بالاقدام حوز ثواب ودفع عقاب صح
فقد قيل من عبد الله بعوض فهو لئيم والفرق بين المقدم في
الحرب لمحض الحكمة واخلاص الدين وبين المقدم لغيره لذلك ان المقدم
لغير الحكمة والاخلاص يخاف الموت اكثر مما يخاف المذمة الصادقة
والمقدم للحكمة الخالصة بالضد من ذلك فانه يختار الموت الحميد
على الحياة الذميمة ولذلك قال امير المؤمنين عليه السلام
ايها الناس انكم ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفس ابن ابي طالب
بيده لالف ضربة بالسيف اهون من ميتة على فراش وكل واحد
منهما ضربان مجاهدة النفس بالقول وذلك بالتعلم وبالفعل
وذلك بقمع الشهوة وتهذيب الحمية ومجاهدة الغير بالقول
وذلك بتزيين الحق وتعليمه وبالفعل وذلك بمدافعة الباطل
ومتعاطيه بالحرب

الباب الرابع في اسماء انواع
الفزع والجزع والفرق بينهما وما يحمد منهما وما يذم الفزع
والجزع اخوان لكن الفزع ما يعتري من الشيء المخيف والجزع
ما يعتري من الشيء المؤلم والفزع لفظ عام سواء كان هارباً

عن امارة او دلالة او حاصلا لا عن ذلك ومتى كان ذلك من
عارض فهو الحيا والخجل ومتى كان من شي يفضي فهو الفرق
والذعر ومتى كان من فوت محبوب فهو الاشفاق ولهذا
قال تعالى حكاية عن اهل الجنة انا كنا قبل في اهلنا مشفقين
والخوف توقع مكروه عن امارة والخشية خوف يشوبه تعظيم
المخشي مع المعرفة به ولذلك قال تعالى من خشي الرحمن بالغيب
والوجل استشعار عن خاطر غير ظاهر ليس له امارة قال الله
تعالى والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة والرهبة خوف
مع تحرز واضطراب ولتضمن الاحتراز قال تعالى اوفوا بعهدي اوف
بعهدكم واياي فارهبون والهيبة رهبة جالبة للخضوع
عن استشعار تعظيم ولذلك يستعمل في كل محتشم قال الشاعر
اهابك اجلالا وما بك قدرة علي ولكن ملء عين حبيبها
وهذه الاشيا قد تذم باعتبار الامور الدنيوية وتحمد باعتبار
الامور الاخروية قال الله تعالى انما المومنون الذين اذا
ذكر الله وجلت قلوبهم وقال تعالى واياي فارهبون وقال تعالى

انما يخشى الله من عباده العلما والخوف من الله ليس يشار به
الى ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الانسان الرعب
من الاسد وانما يشار به الى ما يقتضيه الخوف وهو الكف
عن المعاصي ولذلك قيل لا تعدن خايفا من لا يترك الذنوب
وقال تعالى انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم
وخافون ان كنتم مومنين اي لا تفعلوا ما يقتضيه الخوف منه
وافعلوا ما يقتضيه خوفي ان قيل كيف مدح المومن بالخوف
والحزن مع قوله تعالى الا ان اوليا الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
قيل اما الممدوح به فهو مقتضاهما وذلك اقامة العبادات
واما المنفيان عنهم فهما اللذان يكونان من الاشرار

الباب الخامس

في مداواة الغم وازالة الخوف حق الانسان
ان يعلم ان الدنيا جمة المصايب رنقة المشارب تثمر للبرية اصناف
البلية فما مع كل لقمة غصة ومع كل جرعة شرقة فهي عدو محبوب
كما قال ابو نواس شعر اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن
عدو في ثياب صديق وكما روي عن الحسن انه قال ربما تمثلها مع

الدنيا الا ثمها قال كثير شعر اسيئي بنا او احسني لا ملومة لدينا
ولا مقلية ان تقلت ؛ فما احد فيها الا وفي كل حال هو غرض لا
سهم ثلثة سهم بليه وسهم رزيه وسهم منيه تناضله الآفات
من كل جانب فتخطيه يوما ويوما تصيبه وقال بعض الحكما
اسباب الحزن فقد محبوب او فوت مطلوب ولا يسلم منهما
انسان لان الثبات والدوام معدومان في عالم الكون والفساد
فمن احب ان يعيش هو واهله واحبابه فهو غير عاقل لانه يريد
ان يملك ما لا يملك ويوجد له ما لا يوجد فحق المرء ان لا يخلي
قلبه من اعتبارهما يرى من ارتجاع ودايعها من اربابها وحلول
قوارعها باصحابها وما احسن ما قال ابن الرومي شعر
الم تر ان الدهر من قبل كونه ؛ كفاحا اذا فكرت في الخلوات
فما لك كالمرمي من ما من ؛ لديك اشد غم وتعبات ؛ فان
قلت مكروه اتانا فجاءة ؛ فما فوجئت نفس مع الخطرات
ولا غوفصت نفس ببلوى وقدرات ؛ عظات من الايام بعد عظات
اذا نعبت اشيا وقد كان مثلها ؛ قديما فلا تعتدها نعبات

ثم من حقه ان يقلل من اقتناء ما يورثه الحزن فقد قيل للحكيم لم
لا تغتم قال لاني لا اقتني ما يغمني فقده واخذ ذلك الشاعر
فقال شعر ومن سره ان لا يرى ما يسوؤه ؛ فلا يتخذ شيئا
يبالي له فقدا ؛ وقيل للحكيم هل يمكن للانسان ان يعيش امنا
قال نعم اذا احترس من الخطيئة وقنع بحاله ولم يحزن لما هو واقع
بلا محالة واعلم ان الجزع مما فات لا يلم ما تشعث ولا يبرم ما انتكث
كما قال شعر وهل جزع مجد علي فاجزعا ؛ فاعتمد على المستقبل فلا
من ثلثة اوجه اما من شيء ممتنع كونه او واجب كونه او ممكن كونه
فان كان على ما هو ممتنع كونه فليس ذلك من شان العاقل وكذلك
ان كان من قبل الواجب كونه كالموت الذي هو حتم في رقاب
العباد وان كان ممكنا كونه فانه ان كان من الممكن الذي لا سبيل
الى دفاعه كامكان الموت قبل الهرم فالحزن له جهل واستجلاب غم
الى غم وان كان من الممكن الذي يصح دفاعه فالوجه ان يحتال له
بعقل غير مشوب بحزن فان دفعه والا تلقاه بصبر وليتحقق
معنى قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم

الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكي لا تاسوا
على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم والله لا يحب كل مختال فخور
فمن علم ان ما جرى في حكمه وسبق في علمه لا سبيل الى ان لا يكون
هانت عليه النوب واعلم ان الذنب الذي يغر الناس حسن
ظنهم بما يحسبونه الآفات واغترارهم حالة بعد حالة بصفا
اوقات لو تاملوها بالبصيرة لتحققوا انها كما قال
امير المؤمنين عليه السلام ما قال الناس لقوم طوبى لكم الا وقد
خبا لهم الدهر يوم سوء **شعر** ان الليالي لم تحسن الى احد
الا اساءت اليه بعد احسان وأما سبب الاهتمام بالموت
فلا ينفك من رهبة او رجا اما لفوت شهوات بطنه و
فرجه واما لتخلفه من ماله واما على جهله بما له واما خوفا
لما قدمه من عصيانه فان كان ذلك لشهوة بطنه وفرجه
فليعلم ان ذلك كشهوة دا ليقابله بدواء مثله فان الانسان
لا يستلذ الطعام حتى يجوع والجوع داء مهروب منه
وشبعه دا مهروب اليه فكل من يحب الجوع ليستطيب شبعه

الاكل كمن يستطيب القعود في الشمس لينال الحر ثم يستطيب
القعود في الظل ومحبة ذلك رقاعة لا تحمد ولا تعد
وان كان غمه على ما يخلفه من ماله فذلك لجهله بخساسة
الاعراض الدنيوية وكونها مع كل بلية ونفاسة الاملاك
الحقيقية التي وعد المتقون بها وان كان غمه لجهله بما له
فدواؤه العلم والمعرفة الحقيقية التي تزيد حال الانسان لا
بعد الموت كما قال حارثة رضي الله عنه للنبي صلى الله عليه واله
وسلم كاني انظر الى عرش ربي بارزا وكاني انظر الى اهل
الجنة يتزاورون والى اهل النار يتعاوون فيها وان
كان غمه لما كان من عصيانه فدواؤه المبادرة بالتوبة
وكفاه ان كان ذا بصيرة ما جعل الله له اليه سبيلا من
تلافي ما فرط منه ووعد به التائبين

الباب السادس في احوال الناس في محبة الموت والاجتناب

لقد تباينت احوال الناس في ذلك على ثلاثة اضرب الاول
حكيم يعلم ان الجوع يستمر والموت يعقبه وان الانسان

بهذا العالم وان طال لبثه فيه فهو كلحظة برق لمعت في
اكناف السماء ثم عادت للاختفاء وانه في دنياه كمبعوث
الى ثغر يحوطه والى بلد يسوسه يراعي ما استرعي ويسعى
بدعائه اذا دعي ولا يكاد خروجه منها الا بقدر ما
يفوته من عبادة ربه والازدياد من تقربه والاشفاق
مما يقود ويقال له كما قال بعض الصالحين وقد روي منه
جزع عند الموت فقيل له في ذلك فقال جزعي اني اسلك
طريقا لم اعهده واقدم على رب لم اره ولا ادري ما اقول
وما يقال لي والثاني رجل انس بهذا العالم فالفه وان كره
فسبيله سبيل من الف بيتا مظلما قذرا ولم يرغم نفسه
يكره الخروج منه وان كان قذره في دخوله كما قال الشاعر شعر
دخلنا كارهين لها فلما الفناها خرجنا مكرهينا فما
حب البلاد بنا ولكن امر العيش فرقة من هوينا ويحكى
ما قيل لو رضي الانسان ما رزقهم رضاهم باوطانهم
لما شكى احد فقره فهذا متى خرج عن دنياه واطلع على ما اعد

للصالحين

الصالحين مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر سر بخلاصه كما حكى الله تعالى عمن استقر به القرار في جنة النعيم
حيث قال الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور
الذي احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا
فيها لغوب والثالث رجل اعمى البصيرة متلطخ السريرة بما
ارتكبه من انواع الجرائم رضي بالحياة الدنيا واطمأن بها وقد يئس
من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور فاذا اخرج منها
الى دار الخلود اضر ذلك به كما تضر رياح الورد بالجعل فاذا
خرج من قاذورات الدنيا لم يوافقه عالم العلى ومصاحبة
الملأ الاعلى ومنادمة اولي العلى فيعمى كما قال تعالى ومن كان في
اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا ولهذا قال عليه السلام الدنيا
سجن المؤمن وجنة الكافر واجدر ان من ترك في هذا
العالم بعد ما من العلم والعمل الصالح ان لا يشتاق اليه بعد خروجه
وان خرج كارها كما لا يشتاق الى الرجوع الى بطن امه بعد الخروج
منه ويدل ذلك على انه خرج من بطن امه كارها بكائه فقد قال

بعض القدما اول ما يناله الصبي غمه عند سقوطه لما يضغطه
من ضيق خروجه ويصيبه من الم الهواء فيتوجع والوجع
يورثه الغم والغم يورثه البكا وذا الآن للصبي كما يكون
للحيوان غير الناطق من اللذع والالم والجوع والعطش ومن
هذا اخذ ابن الرومي فقال شعر لما تؤذن الدنيا به من صروفها
يكون بكاء الطفل ساعة يولد، والا فما يبكيه منها وانها
لافسح مما كان فيه وارغد، قال ابن عباس ما احد الا والموت
خير له من الحيوة لان الله تع قال في الاخيار وما عند الله
خير للابرار وقال في الاشرار انما نملي لهم ليزدادوا اثما و
قيل الصالح اذا مات استراح من الدنيا والطالح اذا مات
استراح منه الدنيا وقال بعض الحكما من قال للعيش مرضا
الله من نوب الايام وصروف الزمان فانه يدعو الذي لا يكون
فان الانسان لا ينفك من ذلك الا بخروجه من دار الكون
والفساد وقال بعض الصوفية حق ملك الموت عليه السلم ان يحبه
المومن من بين الملائكة فضل محبة من حيث انه احد اسباب

تقويضه

تقويضه الحيوة السنية الابدية من الحيوة الدنية الدنيوية و
لهذا امرنا ان نقول في دعائنا اللهم صل على جبريل وميكائيل
وملك الموت فان جبريل وميكائيل هما سببان لاتياننا من
ذلك العالم بما فيه خلاصنا من دار الكون والفساد وملك
الموت سبب اخراجنا عن دار الكون والفساد فاذا حقه عظيم
وشكره لازم وحكى ان قوما من الاولياء كانوا يعظمون زحل
بالتسبيح والتقديس له انه لا يعين على الحيوة العرضية بل هو سبب
انقاذنا من الدنيا الدنية وقال بعض الاولياء في مناجاته
الهي ان سالتك الحيوة في دار الممات فقد رغبت في البعد عنك
وزهدت في القرب منك فقد قال نبيك وصفيك من احب
لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه و
قال بعضهم ان كان في قلة الحاجة الدنيوية غنى ففي انقطاع
الحاجة كلها عنها الغنى الاكبر ولا انقطاع لها الا بمفارقة
الدنيا فالدنيا سبب فاقتنا والعبودية لغير الله وقبح بالعاقل
صحبة الفاقة والتخصص بعبودية غير رب العز والموت سبب

وقالوا م

لكمال الانسان ومن رغب عن كماله فهو من الذين خسروا انفسهم
ومن كره الموت اخرج عن الدنيا كارها فيكون كعبد آبق يرد
الى مولاه ماسورا وقيدا الى حضرته مقهورا وشتان بين عبد
دعاه مولاه فاتاه طوعا وعبد آبق اسر فاتى به قسرا
وحق العاقل ان يكثر من ذكره فذكره لا يغتر بعاجل ويفيد ثلثا
القناعة بما رزق والمبادرة بالتوبة والنشاط في العبادة
ولذلك قال عليه السلم اكثروا من ذكر هادم اللذات فانه
ما ذكره احد في ضيق الا وسعه عليه ولا في سعة الا ضيقها عليه
وقيل ذكر الموت يطرد فضول الامل ويكف غرب المنى ويهون
المصائب ويحول بين الانسان والطغيان **الباب**
السابع في السرور والفرح السرور انشراح الصدر بلذة
فيها طمانينة عاجلا واجلا وذلك في الحقيقة انما يكون اذا النفس صح
لم يخف زواله ولا يكون الا في القنيات الاخروية ولذلك
قيل لا سرور في الدنيا على الحقيقة والفرح انشراح الصدر
بلذة عاجلة غير اجلة وذلك في اللذات البدنية الدنيوية

ولهذا

ولهذا قال تع لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم
والفرح يدعو الى النشاط والنشاط الى المرح والمرح داعية
الاشر والاشر مقدمة البطر واكثر ما يظهر ذلك في الاحداث
والصبيان بقدر ما يغلب عليهم من الغفلة وقد نبه الله تع
بقوله وفرحوا بالحيوة الدنيا وقال تع ان الله لا يحب
الفرحين وقال ذلك بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق
وبما كنتم تمرحون وقال تع كل حزب بما لديهم فرحون
وقد يسمى الفرح سرورا والسرور فرحا لكن على نظر من لا
يعتبر الحقائق ويتصور احدهما بصورة الاخر ولذلك قيل
من طلب السرور بالخارجات منه لم ينله **الباب**
الثامن في العذر والتوبة المذنب اذا عوتب وخاف
العتب لا ينفك من وجهين اما ان يكون مصرا او معتذرا
فاما المصر فقد يستحسن في بعض الاحوال التجافي عنه وقد سمع
رجل حكيما يقول ذنب الاصرار اولى بالاغتفار فقال صدق
ليس من عفى عن السهو القليل كمن عفى عن العمد الجليل واما

المعتذر فهو المتطهر لما يمحو به الذنب وجميع المعاذير لا تنفك
من ثلثة اوجه اما ان يقول لم افعل واما ان يقول فعلت
لاجل كذا فيبين ما يخرج عن كونه ذنبا او يقول فعلت و
لا اعود فمن انكر وابان عن كذب ما نسب اليه فقد برات ساحته
وان فعل وجحد فقد يعد التغابي عنه كرما واياه قصد الشاعر
تغابي وما بك من غفلة • لفرط الحيا وفضل الكرم • من اقر
فقد استوجب العفو لحسنه ظنه بك وقال بعض البلغاء
تجاوز عن مذنب لم يسلك بالاقرار طريقا حتى اتخذ من رجائك
رفيقا فان قال فعلت ولا اعود فهذا هو التوبة فحق الانسان
ان يقتدي بالله في قبولها وللتوبة شرايط فرضا ونفلا
ففرضها ترك الذنب مع ترك العود اليه ونفلها التاسف
لما سلف من الذنب والاستغفار له وترك بعض المباحات
مقابلة بما كان من العصيان واعلم ان المذنب التايب اذا
تاب توبة نصوحا فضله على من لا يذنب من ثلثة اوجه
الاول من جرب الذنوب والعيوب وعرف مداخل الشيطان

على

على الانسان فيكون اهدى الى الاحتراز فقد قيل الحكيم فلان
لا يعرف الشر فقال ذاك اجدر ان يقع فيه والثاني ان المذنب
التايب يحتشم قد غلب الخوف على قلبه فياتي باب مولاه حزينا
منكسرا ومن لم يذنب ربما يعجب بنفسه ويدل بفعله وليس
خدمة عبد عصى ملكا وخرج عليه خارجيا ثم عاد اليه
فحظي عنده كخدمة من ادل بطاعته والثالث ان التايب حلب
الدهر شطريه خيره وشره وحلوه ومره فهو ارفق بالمذنبين
واوفق لهم واصلح للرياسة ممن يظن ان الذنب شي خارج
عن طبيعة الانسان فيعجب بنفسه ويزري بغيره

الباب التاسع

في الحلم والعفو الحلم امساك النفس عن هيجان
الغضب والتحلم امساكها عن قضاء الوطر منه اذا هاج ولما
كان الحلم عن تاثير العقل وغير منفك منه صار يعبر به عن كل
عقل ظرفا لا كقوله تع في ذم الكفار ام تامرهم احلامهم
بهذا ومتى استعمل الحلم في الباري تع فانه يراد منه الامهال بمقتضاه
وهو العفو دون انفعال يعرض له ولن يتم حلم الانسان الا

على سبيل التعجب منهم صح

بإمساك الجوارح كلها اليد عن البطش واللسان عن الفحش
والسمع عن سماعه والعين عن فضولات النظر وأقرب
لفظ يستعمل في ضد الحلم التذمر وأما العفو والصفح فهما
صورتا الحلم ومخرجاه إلى الوجود فالعفو ترك المؤاخذة
بالذنب والصفح ترك التثريب واشتقاقه من تجاوز
الصفحة التي أثبت فيها ذنوبه والإعراض بصفحة الوجه عن
التلفت إلى ما كان منه وهو محمود إذا كان على الوجه الذي
يجب ولهذا قال الله تعالى فاصفح الصفح الجميل فخص تنبيها على
ما يجمل منه وقد حث الله تعالى على ذلك بقوله والكاظمين الغيظ
والعافين عن الناس وأمر بالحلم والعفو فقال وليعفوا و
ليصفحوا وقال فاعف عنهم وقال فمن عفا وأصلح فأجره
على الله والعفو إنما يستحب فيما كانت الإساءة مخصوصة
بالعافي بكون أخذ ماله أو شتم عرضه فأما إذا كانت الإساءة
عائدة بالضرر على الشرع أو على جماعة من الناس فإنه إن
كان فيه أدنى شبهة فللسلطان العفو لقوله عليه السلام

ادرءوا

ادرءوا الحدود بالشبهات وإن لم يكن فيه شبهة فليس له
العفو ولهذا قال تعالى في الزنا ولا تأخذكم بهما رأفة في
دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وحق للعافي
أن لا يكون سبعا في انتقامه بل يتأنى حتى يزول سلطان
غضبه لئلا يقدم على ما ليس بواجب ولذلك جرت سنة
السلطان بحبس المجرم حتى ينظر في جرمه ويعيد النظر فيه
قال بعضهم ينبغي للسلطان أن يؤخر العقوبة حتى ينقضي
سلطان غضبه ويعجل مكافأة المحسن ويستعمل الأناة
فيما يحدث ففي تأخير العقوبة إمكان العفو إن أحب ذلك
وفي تعجيل المكافأة بالإحسان مسارعة لأوليائه إلى الطاعة
وأتي الإسكندر بمذنب فصفح عنه فقال بعض جلسائه لو
كنت إياه لقتلته قال فإذا لم أكن أنا إياك ولا أنت إياي
فلست بقاتله وانتهى إلى بعض أصحابه وهو يعاتبه فقيل
له لو أنهكته عقوبة فقال إذا يكون أبسط لسانا وعذرا
في اغتيابي واعلم أن لذة العفو أطيب من لذة التشفي لأن

لذة العفو يلحقها حمد العاقبة ولذة التشفي يلحقها ذم
الندم والعقوبة الام حملات ذي العدة ومن طرف
من الجزع ومن رضي ان لا يكون بينه وبين الظالم الا ستر
رقيق فلينتصف وقد نبه الله تعالى على ذلك بلطف من المقال
فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها فسمى مجازاة المسيء باساءته
اساءة وقال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم فسمى المجازي على الاعتداء معتديا تنبيها على انه قد كان
يكون اياه والعقوبات فيما بين الناس قبحها ما كان فيما
لم يظهر بالفعل فقد قال بعض الملوك انما نملك الاجساد دون
الضمائر ونفحص عن الظواهر لا عن السرائر ثم من سلم ظاهره
احتمل جرائره فقد يعفو المرء ويبقى سليمة وطريقه مستقيمة ويزدهم

الباب العاشر في ثوران الغضب وفضل

كظمه الغضب في الانسان نار ربما يشتعل والناس يختلفون
فيه فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم
سريع الوقود بطيء الخمود وبعضهم على عكس ذلك وهو احمدهم

ما لم يكن مغضيا به الى زوال حميته وفقدان غيرته واختلافهم تارة
بحسب امزجتهم فمن كان طبعه حارا يابسا مكثر غضبه ومن كان الامزجة
بخلافه يقل وتارة يكون بحسب اختلاف العادة فمن الناس من
تعود السكون والهدوء وهو المعتبر عنه بالذبول واللين و
منهم من تعود الطيش والانزعاج فيحتد بادنى ما يطرقه كالكلب
يسمع حسا فيعوي قبل ان يعرف ما هو واسرع الناس غضبا
النساء والصبيان واكثرهم ضجرا واجل الناس شجاعة وافضلهم
مجاهدة واعظمهم قوة من يكظم الغيظ وعلى ذلك دل قوله تعالى
والكاظمين الغيظ فجعلهم من المحسنين وقال النبي صلى الله عليه
واله وسلم وقد مر بقوم يرفعون حجرا فقال الا اخبركم باشدكم
من ملك نفسه عند الغضب واعلم ان ثوران الغضب متى كانت
عنيفة ماجت واضطربت فاحتدم منه غليان دم القلب
وملات الشرايين والدماغ دخانا مظلما مضطربا يسوء منه
حال العقل ويضعف به فعله فكما ان الكهف الضيق اذا امتلى
حريقا اختنق فيه اللهب والدخان وعلا منه الاجيج فيصعب علاجه

واطفاوه يصير كل ما يدني منه مادة لقوته كذلك النفس
اذا اشتعلت غضبا عميت عن الرشد وصمت عن الموعظة
فيصير مواعظه مادة لغضبه ولهذا حكي عن ابليس لعنه الله
انه قال متى اعجزني ابن آدم فلن يعجزني اذا غضب لانه ينقاد لي
فيما ابتغيه ويعمل بما اريده وارتضيه وقيل الغضب جنون
ساعة وربما ادى الى التلف باختناق حرارة القلب فيه وربما
كان سببا لامراض صعبة مودية الى التلف واسباب العجب الغضب
والافتخار والمراء واللجاج والمزاح والتيه والاستهزاء والضيم
وطلب ما فيه التنافس والتحاسد وشهوة الانتقام وحق من
اعتراه غضبه ان يتفكر فان كان المغضوب عليه تحت يده فلا
معنى لاستشاطته اذ هو متمكن للانتقام منه على سكون الجاش
وان كان غضبه على من لا سبيل له عليه فلا معنى لتعذيبه نفسه
في الوقت بل حقه ان يصبر حتى يتمكن منه ثم يفعل بالواجب
وقال حكيم سد طريق الغضب قبل تلهبه فانه في لحمك ودمك
فانما يمكن اطفاؤها قبل انتشارها فاما اذا اشتعلت فلا

سبيل

سبيل الى اطفائها وقال سلطان لحكيم كيف لي ان لا اغضب
فقال بان تكون في كل وقت ذاكرا انه يجب ان تطيع لا ان
تطاع فقط وان تخدم لا ان تخدم فقط وان تحتمل لا ان
تحتمل فقط وان تتحقق ان الله تعالى يراك دائما فاذا فعلت
ذلك لم تغضب وان غضبت فقليلا

الباب الحادي عشر

في الغيرة والحواد الغيرة ثوران الغضب حماية
عن الحرم واكثر ما يراعى في النساء وجعل الله هذه القوة في الانسان يذم
سببا لصيانة الماء وحفظا للانساب ولذلك قيل كل امة
وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها وقد
يستعمل ذلك في صيانة كل ما يلزم الانسان صيانته في السياسات
الثلث هي سياسة الرجل نفسه وسياسته منزله واهله و
سياسته مدينته وصقعه ولذلك قيل ليست الغيرة ذب
الرجل عن امراته ولكن ذبه عن كل مختص وقيل الغيرة الذب
عن ضعيف ويسمى كراهية النعمة عند من لا يستحقها غيرة
والغيرة وان كانت من قوة الانسانية وواجب كونها في كل

جبل فقد كثر في العرب كثرة مشاهدتهم حتى ان من دخل دار احدهم
والتجأ اليه فانه يعدونه فضل حرمة وجوار وذمام ان تعلق
الدلو بالدلو المعروفة او يلابس الطنب بالطنب كانوا اعوان
ذلك في الوحشيات والهوام حتى سمي مجير الجراد ومجير الغز لم
ومجير الذئب وسمي المقتفي للغيرة الحفيظة فقالوا احفظني
فلان اي اغضبني الغضب الذي اثاره فوت الحفظ

الغضب

الباب الثاني عشر في الغبطة والمنافسة والحسد

الذي ينال الانسان بسبب خير يصل الى غيره على سبيل التمني ان
يكون له مثله هو غبطة واذا كان مع ذلك سعي منه في ان يبلغ
هو مثل ذلك من الخير او ما هو فوقه فمنافسة وكلاهما محمودان
وان كان مع ذلك تمني زوال ما يصاحبه من غير استحقاق
لزواله فحسد والحسد تمني زوال النعمة من مستحقها وربما كان
مع ذلك سعي في ازالتها والحاسد التام هو الخبيث النفس الساعي
في ازالة نعمة مستحقة من غيره ان يكون طالبا ذلك من نفسه
لذلك قيل الحاسد يرى زوال نعمتك نعمة عليه وقال عليه السلم

المؤمن يغبط والمنافق يحسد فحمد الغبطة وقال تع وفي
ذلك فليتنافس المتنافسون فحثنا على التنافس اذ هو باعث لنا
على طلب المحاسن وذلك كقوله تع سابقوا الى مغفرة من ربكم
وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثلثة لا ينجو منهما احد الظن والطيرة
والحسد وساخبركم بالمخرج من ذلك فاذا ظننت فلا تحقق
واذا تطيرت فامض ولا تنثن واذا حسدت فلا تبغ اي
اذا اصابك غم بخير ينال غيرك فلا تبغ ازالته عنه واعلم
ان الحسد من وجه غاية البخل يبخل بما لنفسه والحاسد يبخل
بما لله تع ولذلك قيل الحاسد يبخل بما لا يملكه ومن وجه هو
اظلم ظالم لانه يظلم غيره في ازالة حاله ويظلم ربه فيما قدر
وقيل الحسد والحرص ركنا الذنوب ومنهما انفتح ذنب ابليس
وآدم عليه السلم فابليس حسد آدم وآدم حرص على ما نهي عنه
فاخرج من الجنة فمهما امكن ان ينجى منهما سائر الرذائل وقطع
اسبابهما نجا ان قيل ما وجه قول النبي لا حسد الا في اثنين
رجل اتاه الله مالا فجعله في حق ورجل اتاه الله حكمة فهو يقضي

بها قيل عنى بالحسد ههنا الغبطة وقد يسمى ذلك من حيث
انهما التمنى الذى يناله الانسان من خير يناله غيره ولا يناله هو
وعلى ذلك يقول الانسان لولده الا تحسد على فلانا فيما يعمله
اى الا تتمنى حاله واعلم ان الحسد ضرب من الجهالة لان اغتما
بما يناله ذووه واهل بلده يقتضى ان يغتم لما يناله اهل الصين
والهند على ان الخير الذى يناله غيره اذا تفكر فيه هو انفع له
مما يناله الاباعد

الفصل الخامس

فى العدالة والظلم والمحبة والبغض

الباب الاول

فى العدالة وفضيلتها العدالة لفظة يقتضى معنى المساواة
ولا تستعمل الا باعتبار الاضافة وهى فى التعارف اذا اعتبرت
بالقوة فهيئة فى الانسان يطلب بها المساواة واذا اعتبرت
بالفعل فهى التقسيط القائم على الاستواء واذا وصف الله
تع بالعدل فليس يراد بها الهيئة وانما يراد ان افعاله واقعة
على نهاية الانتظام والانسان فى تحرى فعل العدالة يكون
تام الفضيلة اذا حصل مع هذه الهيئة منه تحر لتعاطيه فقد يقع

العدالة من ٣

فعل الانسان ولا يكون محمودا حتى يكون بقسط مراعاة او لتوق صلاح
الى نفع دنيوى او خوف عقوبة السلطان والعدالة فانه
يقال هى الفضائل كلها من حيث انه لا يخرج شىء من الفضائل
عنها وتارة يقال هى اكمل الفضائل من حيث ان صاحبها يقدر
ان يستعملها فى نفسه وفى غيره وهى ميزان الله المبرأ من كل زلة
وبها يستتب امر العالم ولذلك قال تع الله الذى انزل الكتاب بالحق
والميزان وقال والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا فى الميزان
وعبر عن العدالة بالميزان اذ كان الميزان من اثرها ومن اظهر افعالها
للحاسة وقال عليه السلم بالعدل قامت السموات والارض اى لو كان
شىء من موجودات العالم واصولها زائدا على الاخر او ناقصا عنه
لم يكن منتظما هذا النظام ومن فضيلتها ان الجور الذى هو ضدها
لا يستتب الا بها فلو ان لصوصا تشارطوا فيما بينهم فلم يراعوا العدالة
فيه لم ينتظم امرهم ومن فضلها ان كل نفس تتلذذ بسماعها وتتألم من
ضدها ولذلك يستحسن الجائر عدل غيره اذا رآه او سمع به وقيل
العدل لا يخاف فاقة اى من حيث العدالة لا خوف عليه وحسن العدالة

والمساواة تتأمل النفس من كل ما كان مركبا في العالم ليس له نظام
مستقيم فيكون العوج والعوار فيه فتأمل تدبر وتحري المساواة
جعل الله تعالى أعضاء الإنسان الواقعة في الأطراف زوجين اثنين
وفي الأوساط واحدا واحدا ولأجل ذلك يتحرى النقاشون
بإزاء كل منقوش في جانب منقوشا في الجانب الآخر لئلا يصير الصورة
معوجة والعدالة أوسط أطرافها كلها جور فالجور الخروج من
الوسائط بزيادة أو نقصان ولذلك صار الجور والخطأ بالإضافة
إلى الصواب والعدل من حيث ما لا نهاية له والصواب من حيث المشابهة
وإدراكها صعب عسير ولصعوبة ذلك قال عليه السلام استقيموا
ولن تحصوا وتمدح تعالى بقوله وأحصى كل شيء عددا تنبيها أنه
هو المحقق للعدالة والصواب من كل شيء وقال بعض الصوفية
رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت بلغني أنك يا رسول الله قلت
شيبتني هود وأخواتها فما الذي شيبك منها قال قوله تعالى
فاستقم كما أمرت ولما كان الوصول إليهما عسيرا صار طالبهما
إذا تحراه بجهده وإن أخطأ فيهما معذورا بل مأجورا ولذلك

قال عليه السلام من اجتهد فأخطأ فله أجر ومن اجتهد فأصاب فله
أجران

الباب الثاني في أنواع العدالة وما يستعمل

ذلك فيه. العدل ضربان عدل مطلق يقتضي العقل حسنه
ولا يكون منسوخا في شيء من الأزمنة ولا يوصف بالجور في حال
وذلك نحو حد الإحسان إلى من أحسن إليك وكف الأذية
عمن كف أذاه عنك وعدل مقيد يعرف كونه عدلا بالشرع
ويمكن أن يكون منسوخا في بعض الأزمنة وذلك مقابلة السوء
بمثله كأحوال القصاص وأروش الجنايات وكأخذ مال المرتد
ولهذا النحو يصح أن يوصف على المجاز في بعض الأحوال بالجور و
لذلك قال تعالى وجزاء سيئة سيئة من حيث لو لم يكن معتبرا
بالسيئة المتقدمة كانت هي سيئة وعلى ذلك إن تسخروا منا فإنا
نسخر منكم كما تسخرون وبالنظر إلى النوع الأول واعتباره
قال المتكلمون يعرف العدل والجور بالعقل قبل الشرع وبالنظر
إلى النوع الثاني قال بعضهم لا يعرفان إلا بالشرع وفي الجملة
أن الشرع مجمع العدالة وبه يعرف حقائقها ولو توهمناه مرتفعا

فسمي جزاء السيئة سيئة صح

بعض صح

لكان يودى الحال ان لا يكون عدالة على الحقيقة فى شئ من جزويات
الافعال ولا فى كلى من كلياتها والعدالة المحمودة هى التى يتحرى لا
رياء وسمعة ورغبة ورهبة وانما يكون تحريا للحق عن محبة والذى
يجب ان يستعمل الانسان معه العدالة خمسة الاول بينه وبين
ربه تعالى بمعرفة توحيده واحكامه والثانى هوى نفسه وذلك
بان يجعل مستسلما لعقله فقد اعدل الناس من انصف عقله
من هواه والثالث بينه وبين اسلافه الماضين فى انفاذ وصاياهم
والدعا لهم والرابع بينه وبين معامليه من اداء الحقوق والانصاف
فى المعاملات من المبايعات والمعارضات والكرامات والخامس
بث النصفة بين الناس على سبيل الحكم وذلك الى الولاة وخلفائهم
واما الحكام والعدول فى الارض فثلثة حاكم من الله وهو الكتاب
الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والعاقل والامر به
وهو كل والعدل والناطق المعتبر واعلاه الدينار ومعناه
بالفارسية دين اورد والناطق من وجه حاكم ومن وجه
كالالة للحاكم يعتباه اقيس عمل بعمل ولما كانت الشريعة مجمع

العدالة ومبغضها صار من اشنع من التزامها اظلم ظالم ولهذا
قال تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم
ان الله لا يهدى القوم الظالمين ولكون الكفر ظلما قال تعالى ونزل
من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا
خسارا فقابل المؤمن بالظالم

الباب الثالث

فيما يحسن ترك العدالة فيه ترك العدالة الى الظلم عمدا فى جميع
الاحوال مذموم والخارج عنها الى الظلم مستوجب بقدر
خروجه عنها سخطا من الله تعالى الا تمحه بعفوه واما الخارج
عنها الى الانظلام اى التزام الظلم فقد يحمد والانظلام من حيث
الكمية ثلثة اضرب انظلام فى المال وهو استحقاق الظالم فى
اخذ ماله وانظلام فى الكرامة وهو الاستحقاق فى بخس منزلته
من التعظيم وانظلام فى النفس وهو استحقاق المس بولده وكل واحد منها
يكون محمودا او مذموما فالمحمود التغابن فى حقه فى المال او فى
الكرامة او فى النفس بقدر ما يحسن وفى وقت ما يحسن وهو المعبر
عنه بالانخداع والتغافل الذى قيل فيه العقل مكيال ثلثه فطنة

ومن حيث الكيفية ضربان
محمود ومذموم

وتلقاه تعالى وإياه قصد معنويه في قوله من خدعك فانخدعت
له فقد خدعته وقال الشاعر شعر ممن يعز على الثناء فيخدع
وذلك إذا كان في المال فمسامحة وإذا كان في النفس فعفو و
إذا كان في الكرامة فتواضع وأما على الوجه المذموم ففي المال
غبن وفي الرأي غبن وفي النفس والكرامة هوان ومذلة وقد
تقدم أن الإفضال والإحسان أشرف من العدالة إذا كان الحكم
بينك وبين غيرك فأما إذا حكمت بين اثنين فليس إلا العدالة و
إنما الإحسان إلى المتحاكمين ولهذا قال تعالى وإن حكمت فاحكم بينهم
بالقسط إن الله يحب المقسطين وقال تعالى إن الله يأمركم
أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم أن تحكموا بالعدل وقال بين الناس ص
لمن له الحق وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم
وقال يحيى بن معاذ اصحبوا بالفضل لا بالعدل فمع العدل الاستقصا
ومع الفضل الاستبقا وإني لأرجو أن لا يحاسب الله عباده
بالعدل وقد أمرهم أن يصاحب بعضهم بعضا بالفضل وقد عظم
الله أمر الإحسان والإفضال فقال للذين أحسنوا الحسنى وزيادة

وقال

وقال وهل يأمر الحكيم بما ثم لا يفعله وكيف يترك الكريم التفضل
ويقتصر على العدالة وقد بين أن التفضل أفضل وأكرم تعالى
الله عن ادنى المنى لينى وكيف لا نرجو تفضله وأفعاله كلها عدل
وعدله كله تفضل لأنه مبتدئ بما لا يلزمه ولا مبتدئا بما يلزمه تفضل
وهل يجوز أن يترك التفضل انتهاء وقد تحراه ابتداء

الباب الرابع في الظلم الظلم هو الانحراف عن العدالة
ولذلك حد بأنه وضع الشيء في غير موضعه المخصوص به
وقد تقدم أن العدالة تجري مجرى النقطة من الدائرة فتجاوزها
من جهة الإفراط والعدوان طغيان وإليه أشار تعالى بقوله فقد
ضلوا ضلالا بعيدا والانحراف عنها في بعض جوانبها جور
والظلم أعم الأسماء ولما كان الظلم ترك الحق الجاري مجرى النقطة
من الدائرة صار البعد عنها إما قريبا وإما بعيدا فمن كان عنه
أبعد كان رجوعه إليه أصعب ولذلك قال تعالى ويريد الشيطان
أن يضلهم ضلالا بعيدا تنبيها أن الشيطان متى أمعن في البعد ٤٧ ص
عن الحق صعب عليهم حينئذ الاهتداء والانحلال من حبله الشيطان

كذلك قال تع اولئك ينادون من مكان بعيد واما المستعمل
معهم الظلم فخمسة ومنهم الذين يجب استعمال العدالة معهم
وقد تقدم ذكرهم الاول رب العزة والثاني قوى النفس
والثالث اسلافنا الرجال الرابع معاملوه من الاحياء والخامس
اذا تولى الانسان الحكم بين بعضهم وقال بعض العلماء شر الناس
من جار على نفسه ثم جار على ذويه ثم جار على كافة الناس و
افضلهم من عدل مع كافة الناس ثم مع عشيرته ثم مع نفسه
وهذا قول اورده بنظر عامي فان الظالم لا يكون ظالما لغيره
حتى يظلم اولا نفسه فاذا اولاهم بالظلم فقد ظلم نفسه
فاذا الظالم ابدا مبتدئ بنفسه في الظلم والعادل مع الناس
اذا اهتم بالعدل فتحراه فقد عدل مع نفسه قبل ان عدل مع غيره
قال بعضهم الظلمة ثلثة الظالم الاعظم وهو الذي لا يدخل
تحت شريعة الله تع واياه قصد تع بقوله ان الشرك لظلم عظيم
والاوسط وهو الذي لا يلتزم حكم السلطان والاصغر و
هو الذي يتعطل عن المكاسب وكلاهما ذا ياخذ منافع الناس

ولا

ولا يعطيهم منفعة ومن خرج عن تعاطي العدالة بالطبع
وبالخلق والتخلق والتصنع والرياء والرغبة والرهبة
فقد انسلخ من الانسانية ومتى صار اهل صقع كلهم على ذلك
فمتى ارتشت وتخاذلت واكل قويهم ضعيفهم ولم يبق فيهم انس
قبول فقد تقدم ان عادة الله في امثالهم افناهم واهلاكهم
عن اخرهم **الباب الخامس** في الاسباب التي
يحصل منها الاضرار جميع ذلك اربعة اسباب الاول الشر
كمن يضر بغيره مستلذا الفعل وذلك اخس الوجوه الثاني
الشهوة وهو ان يقصد ادراك شهوة ما فيؤدي بما لا يمكنه المتلصص
تحصيلها الا بان يضر بغيره كعامة المتلصصة والعابثين في
الارض الثالث الخطا وهو ان لا يقصد الاضرار بمن ضر
بوجه من قصد فعلا اخر فاتفق ذلك منه كمن رمى قرطاسا
فاصاب رجلا فهذا معذور من وجه والرابع الشقاوة
كمن يصيبه ريح فاوقعه على انسان فمات الموقع عليه فهذا
معذور ومرحوم **الباب السادس** في المكر والخديعة

والكيد والحيلة والمكر والخديعة متقاربان وهما اسمان لكل
فعل يقصد فاعله في باطنه خلاف ما يقتضيه ظاهره و
ذلك ضربان احدهما مذموم وهو الاشهر والآخر محمود
فاما الاول وهو الاشهر عند الناس والاكثر وذلك ان
يقصد فاعله انزال مكروه بالمخدوع واياه قصد النبي
عليه السلام بقوله المكر والخديعة في النار والمعنى يؤديان
بقاصدهما الى النار والثاني على عكس ذلك وهو ان يقصد فاعلها — النار و ص
على استجرار المخدوع والممكور به الى مصلحة لهما كما يفعل بالصبي
اذا امتنع من مصالحه وقال بعض الحكماء المكر والخديعة يحتاج
اليهما في هذا العالم وذلك ان السفيه يميل الى الباطل ولا يقبل الحق — الباطل ص
ولا يميل اليه لمنافاته لطبعه فيحتاج ان يخدع عن باطله بزخارف
مموهة كخدعة الصبي عن الثدي عند الفطام ولهذا قيل
مخرق فان الدنيا مخاريق وسفسط فان الدنيا سوفسطائية
وليس هذا حثا على الخبث بل حث على جذب الناس الى الحق باحتيال — تعالى ص
ويكون المكر والخديعة ضربان سيئا وحسنا قال تع والذين يمكرون

السيئات

السيئات لهم عذاب شديد وقال تع استكبارا في الارض
ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وقال تع افامن
الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض فخص في
الآيات السيئ من المكر تنبيها على جواز المكر الحسن فقال ويمكرون
ويمكر الله والله خير الماكرين وقال ومكروا ومكر الله واما الكيد
فارادة متضمنة لاستتار ما يراد عمن يراد به لكن اكثر ما
يستعمل ذلك في الشر ومتى قصد خير محمود وعلى الوجه المحمود قال
تع كذلك كدنا ليوسف وعلى ذلك الاستدراج منه قال تع سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين فاستدراجه
تع تمطيه السبيل على الانسان وتمكينه ليطلبه بالآلات التي
اعطاه وذلك تكليف له بما يقدر عليه وان كان فيه مشقة
ولتمكينه ذلك قال تع الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين
وهديناه النجدين فمن جاهد في سبيله واعمل فكره حتى
ظفر به فسلكه على ما يجب وكما يجب سهل عليه الوصول وكان — ذلك ص
منه منة ولطفا واحسانا ومن عطله معا وبذ من الفكر

ووصف نفسه [illegible] بالمكر الحسن

ومنه مذموم ومنه محمود ص

والبصر والسمع حتى اضطر بقدر كان ذلك اخذا اتيا وغذا
وعلى ما تقدم وصف تع نفسه بالحيلة والمماحلة في قوله
وهو شديد المحال وهذه الفاظ لولا ان البارى سبحانه
اطلقها في مواضع مخصوصة قاصدا بها معان صحيحة
لما تجاسر بشر عرف الله تع ان يخطر ذلك بباله فضلا
ان يجريه في مقاله وان قصد بها المعنى الصحيح تنزيها له
وتعظيما فيجب ان يتلى في القران حيثما ورد ولا يتعدى
بها وقد ذكر المحصلون ان كثيرا من اوصافه الشريفة كالرحيم
والغفور والودود ما كان يتجاسر على الاطلاق عليه
لولا السمع الوارد به لما في هذه الاسماء من معنى الكيفية
والكمية والانفعال في وضع اللغة والله تع منزه عن كل
ذلك وهذا فصل كبير يختص به غير هذا الكتاب **الباب**
السابع في ماهية المحبة وانواعها المحبة ميل النفس
الى ما تراه وتظنه خيرا وذلك ضربان احدهما طبيعي
وذلك في الانسان وفي الحيوان وقيل قد يكون ذلك في

الجمادات

الجمادات كالالفة بين الحديد وحجر المقناطيس والثاني
اختياري وذلك يختص به الانسان فاما ما يكون بين الخلق ا
فالفة وهذا الثاني اربعة اضرب الاول للشهوة واكثر ما يكون
ذلك بين الاحداث والثاني للمنفعة ومن جنسه ما يكون
بين التجار واصحاب الصناعات المهنية واهل المذاهب والثالث
مركب من الضربين كمن يحب اخر لنفع وذلك الاخر يحبه للشهوة
والرابع الفضيلة كمحبة المتعلم للعالم وهذه المحبة ما قيد على
مرور الاوقات وهي المستثناة بقوله تع الاخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو الا المتقين فاما الضروب الاخر فقد تطول
مدتها وتقصر بحسب طول اسبابها وقصرها والصداقة
اخص من المحبة وقلما يقع بين جماعة ولا تستعمل الا في البشر
واما العشق فمحبة بافراط وذلك اما بحسب الفضيلة فيكون
محمودا واما بحسب اللذة فيكون مذموما ولا يكون للنفع فان
النافع يراد لغيره والفضيلة واللذة يرادان لانفسهما .
الباب الثامن في فضيلة المحبة احد اسباب نظام

امور الناس بالمحبة ثم العدالة ولو تحاب الناس و تعاملوا بالمحبة
لاستغنوا بها عن العدالة فقد قيل العدالة خليفة المحبة
تستعمل حيث لا توجد المحبة ولذلك عظم الله تعالى المنة بايقاع
المحبة بين اهل الملة فقال لو انفقت ما في الارض جميعا
ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وقال ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اي محبة في القلوب
تنبيها ان ذلك اجلب للعقائد وهي افضل من المهابة فان
المهابة تنفر والمحبة تولف وقيل طاعة المحبة افضل من طاعة
الرهبة فان طاعة المحبة من داخل وطاعة الرهبة من خارج
يزولان بزوال سببه وكل قوم اذا تحابوا تواصلوا واذا تواصلوا
تعاونوا واذا تعاونوا عملوا واذا عملوا عمروا واذا عمروا عمروا ولفضل
وقوع المحبة شرعا شرع الله تعالى اجتماع اهل المحلة الواحدة
في مساجدهم خمس مرات لاقامة صلواتهم واجتماع اهل
البلد كل اسبوع مرة في الجامع واجتماع اهل المدينة واهل
السواد كل سنة مرتين في الجبانة واجتماع اهل البلدان النائية

في

بين

في العمر مرة بمكة كل ذلك ليتاكد باجتماعهم الانس وليعم
بسببه الود **الباب التاسع** في فضيلة الصداقة
الصديق يحتاج اليه في كل اما عند سوء الحال فليعاون
واما عند حسن الحال فليوانس وليصنع معروفه عنده
ومن ظن انه يمكنه الاستغناء عن صديق فمغرور ومن ظن
ان وجوده سهل فمغبون ولكرامة نفعه سئل حكيم عن الصديق
فقال هو اخر ما بالشخص الا انه انت بالنفس ولغيره وجوه
سئل اخر عنه فقال اسم بغير معنى حيوان غير موجود
فمن وجد اخوانا ذوي ثقة وجدهم اذانا وعيونا وقلوبا
كلها له فيرى الغايب بصورة الشاهد واختيار من تركن اليه
لصداقة صعب اذ قد يتشبع لك الناقص فتظن فاضلا
فتكون كمن يحسب الشحم فيمن شحمه ورم **الباب العاشر**
في المحبة في الناس من حببه الله تعالى الى الناس فقد انعم عليه بنعمة
وسيعة كما ان من بغضه اليهم فقد جعل له نقمة فظيعة والسبب
فيمن يكون محببا الى من دعاه الله وصفى جوهره وطاب مورده

حالم

وحسن عمله حصل له يسرى في مشاعر من يراه فيحبه واياه
قصد تع بقوله والقيت عليك محبة مني وقال عليه السلم
اذا احب الله تع عبدا القى محبته في الماء فلا يشربه احد
الا احبه واذا ابغض عبدا القى بغضه في الماء فلا يشربه
احد الا ابغضه ولما القى عز وجل على نبينا عليه السلم من المحبة قال من
ما يأتيه ممن يبغضه فهم بقتله الا اذا راه وقع في قلبه افا
وجهه طرفه والقى اليه كلامه سمعه الا احبه فمارقه على الجمل

الباب الحادي عشر في الحث على مصاحبة الاخيار

ومجانبة الاشرار حق الانسان ان يتحرى بغاية جهده مصاحبة
الاخيار فهي قد تجعل الشرير خيرا كما ان مصاحبة الاشرار تجعل
الخير شريرا قال بعض الحكماء من صحب خيرا اصابته بركته
فجليس اولياء الله لا يشقى وان كان كلبا ككلب اصحاب الكهف
حيث قال تع وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ولهذا اوصت
الحكماء بمنع الاحداث عن مجالسة السفهاء وقال امير المؤمنين عليه السلم
لا تصحب الفاجر فيزين لك فعله ويود لو انك مثله وقيل

جالسوا من يذكركم الله رؤيته ويزيد في خيركم منطقه وقالوا
اياك ومجالسة الاشرار فان طبعك يسرق من طبعه وانت لا
تدري به وقد قال النبي صلى الله عليه واله وسلم مثل الجليس الصالح
كمثل الداري ان لم يحذك من عطره يعلقك من ريحه ومثل الجليس
السوء كمثل القين ان لا يحرقك بشرره يؤذيك بدخانه وقال
عليه السلم المرء على دين خليله فلينظر امرؤ من يخالل اي يجذبه
خليله الى دينه ومن قوة هذا المعنى في النفوس شاع على الالسنة
قول الشاعر **شعر** عن المرء لا تسئل وابصر قرينه فان القرين
بالمقارن يقتدي وليس اعداء الجليس جليسه خلقه بمقاله وفعاله
فقط بل بالنظر اليه فالنظر الى الصورة تؤثر في النفوس اخلاقا
مناسبة لخلق المنظور اليه فان من دامت رؤيته لمسرور سر ومن
لمحزون حزن وليس ذلك في الانسان فقط بل في الحيوانات والنبات و
فالجمل الصعب قد يصير ذلولا بمقارنة الجمال الذلل والذلول قد
ينقلب صعبا بمقارنة الصعاب والريحانة الغضة تذبل بمجاورة
الذابلة ولهذا يلتقط اصحاب الفلاحة الزرع عن الزروع لئلا

تفسدها ومعروف ان الماء والهواء يفسدان بمجاورة الجيفة
اذا قربت منها وذلك مما لا ينكره ذو تجربة واذا كانت هذه
الاشيا قد بلغت في قبول التاثير هذا المبلغ فما الظن بالنفوس
البشرية التي موضوعها لقبول الاشيا خيرها وشرها فقد قيل صورم
سمي الانس انسا لانه يانس بما يراه ان خيرا وان شرا وللانسان
في المعاشرة ثلثة احوال اما ان يكون شكسا اي قاسي الطبع او
سلقا اي سلس الطبع او مساعدا اي تاركا للخلاف على مقتضى
العقل وهو المحمود وحق الانسان في المعاشرة ان يتقوى من
جهة الفكرة بالمطايبة في الكلام ومن جهة الغضب في التحلم
ومن جهة الشهوة بالجود وان يتحرى من اضداد ذلك و
ان يجالس المعاشرين والمعادين والمتشبهين بالاخوان
ويصابرهم ويكاشرهم طمعا في رجوعهم اخوانا واتقاء من
شرورهم حتى يكون ظريفا فالظرف عبارة عن استجماع الاد يكون م
العشرة من الطلاقة والاحتمال ولين الجانب

الباب الثاني عشر في فضيلة التفرد عن الناس ورذيلته

قد

كثر

كثر الاختلاف بين الناس في مفاضلة التفرد والاختلاط
فبعضهم اثر التفرد عن الناس وبعضهم الاختلاط بهم واورد
واورد كل فريق في ذلك اخبارا وذلك بسبب اختلاف نظريهما
وابتلا احدهما بمصاحبة من لم يحمد مصاحبته ومصاحبة الاخر
من حمد صحبته والاصل ان اجتماع الناس بعضهم مع بعض امر
ضروري لتعلق امور بعضهم ببعض ولهذا لما سمع عمر رجلا
يقول اللهم اغنني عن الناس قيل يا رجل اراك تسال الله الموت
قل اللهم اغنني عن شرار الناس فالناس لا يستغني بعضهم عن
بعض ما دام احيا ثم التفرد عن الاخيار الذين يفيدونك و
يعينونك ولا يؤذونك مكروه سيما لمن لم يتدرب في الفضل
ولم يستغن عن اقتباس العلم واما عن الاشرار الذين يتدنس عرضه بصحبتهم
فمحمود وقيل التفرد مكروه الا لثلثة سلطان لانشائه تدبير مملكته
وحكيم لاستنباط حكمته ومتنسك لمناجاة رب العزة فان التفرد
يبطل الانسانية ولا يظهر من صاحبه فضيلة ومن ظن بالمتفرد
خيرا فلا اقل ان ليس يظهر منه شر وهذا يشاركه فيه الموتى وفضيلة

للانسان ان يكون خيّراً لا ان لا يكون شريراً وان كان زماننا
كما قال المتنبي شعر انا لفي زمن ترك القبيح به من اكثر
الناس احسان واجمال فحق الفاضل العاقل ان يجتمع مع العامة
في ظواهر احكام الشرع واقامة وظايف العبادات واما بهم
من الفضيلة بقدر الوسع ويترفع عن منزلتهم في المعارف
والاخلاق والافعال الجميلة ولمراعاة حكم الظاهر قال عليه السلام
عليكم بالسواد الاعظم ولمراعاة الترفع عن منزلتهم في المعارف
والاخلاق قيل المروة التامة مباينة العامة وقيل من استانس
بالله استوحش من الناس وذلك لمخالفته اياهم في الخلق
وللنهي عن الاغترار بكثيرهم والركون اليهم سيما من ليس
قصده الاخرة وطلب الحق قال تع ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم
ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم
ولا ينبئك مثل خبير وقال ان الذين تدعون من دون الله عباد
امثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين

الباب الثالث عشر في العداوة

العدو هو الذي يتحرى اضرار

الاخر

الاخر ويضاده فيما يؤدي الى مصالحه وبه تتعدى فلان
ومعناه فعل فعل العدو وهو من قولهم مكان ذو عدواء
اي متنافي الاجزاء متباعد من حله ويضاد العداوة الولاية واشتقاقها
من وليه يليه والولاية اعم من الصداقة والمودة والعداوة
ضربان باطن لا يدرك ذاته بالحاسة فاما الباطن فاثنان
احدهما الشيطان وهو اصل كل عدو يعادي معاداة جوهرية
وقد حذرنا الله تع منه غاية التحذير فقال ان الشيطان لكم
عدو فاتخذوه عدوا وقال الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا
تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين اي لا تنقادوا له وقال
ان هذا عدو لك ولزوجك وقال ولا تتبعوا خطوات الشيطان
انه لكم عدو والثاني الهوى المعبر عنه بالنفس في قوله تع ان النفس
لامارة بالسوء وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم اعدى عدوك
نفسك التي بين جنبيك وكذا الغضب اذا كان فوق ما يجب ولكون
هذه القوة في الانسان اذا اثيرت طريقا الى الشيطان في
وصوله الينا وكونها كالخليفة له سماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم

باسمه فقال الهوى شيطان والغضب شيطان وقد ورد في حكاية
عن موسى عليه السلم هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين
واما الظاهر من العداوة في الانسان وذلك ضربان ضرب
هو عدو مضطغن العداوة قاصد للاضرار اما مجاهرة و
اما مسارقة وذلك انسان واحد يعادي كل احد وهو كل انسان
سبعي الطبع خبيث الطينة مبغض لكل من لا يحتاج اليه في
العاجل بغيض الى كل نفس يمارش كل من لا يخافه كما قال الشاعر
يسطو بلا سبب وتلك طبيعة الكلب العقور وهو الذي عنى تعالى
بشياطين الانس والثاني عدو خاص العداوة وذلك اما بسبب
الفضيلة والرذيلة كمعاداة الجاهل العاقل واما بسبب تجاذب
نفع دنيوي كالتجاذب في رياسة ومال وجاه واما بسبب
لحمة ونجاورة موروثة للحسد كمعاداة بني الاعمام بعضهم
لبعض وذلك في كثير من الناس كالطبيعي وقال رجل لاخر اني
احبك فقال قد علمت ذلك قال ومن اين علمت قال لانك لست
لي بشريك ولا لي بنسيب ولا جار قريب واكثر معاداة الناس

يتولد

يتولد من ذلك والثاني عدو غير مضطغن العداوة ولكن يؤدي
حاله بالانسان الى ان يقع بسببه في مثل ما يقع من كيد عدوه
فيسمى عدوا لذلك كالاولاد والازواج وعلى ذلك قال تعالى
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال عليه السلم
ليس عدوك ان قتلته اجرك الله في قتله وان قتلك دخلت الذي صح
الجنة ولكن اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وامرأتك
التي تضاجعك واولادك الذين من صلبك فجعل عليه السلم
هؤلاء اعداء الانسان لما كانوا اسبابا لهلاكه الاخروي لما يرتكبه
من المعاصي لاجلهم فيؤديه الى الهلاك الابدي الذي هو شر من
اهلاك المعادي الناصب اياه واعلم انه لكون بعض الناس
مشاركا للشيطان في المعاداة سمى الله تعالى الاعداء شياطين
في قوله شياطين الانس والجن وقد سمي كل ما يتأذى به شيطانا
حتى قال الشاعر شعر ما ليلة الفقير الا شيطان ٭ مجنونة تؤدي
بروح الانسان ٭ والفقير هو اسم بئر يحمل ليلة ورودها
شيطانا لتأذيه بها **الفصل السادس** فيما يتعلق

بالصناعات والمكاسب والانفاق والجود والبخل **الباب الاول** في حاجة الانسان الى اجتماعهم للتظاهر اعلم انه لما صعب على كل احد ان يحصل لنفسه ادنى ما يحتاج اليه الا بهما وتدبر له فلقمة طعام لو عددنا محصليها من الزرع والطحن والخبز وصناع الاتها لصعب حصرها فلذلك احتاج الناس ان يجتمعوا فرقة فرقة فيتظاهروا ولاجله قيل الانسان مدني بالطبع اي لا يمكنه التفرد عن الجماعة بعيشة بل يفتقر بعضهم الى بعض في مصالح الدين والدنيا وعلى ذلك نبه النبي صلى الله عليه واله وسلم بقوله المؤمنون كالبنيان يشد بعضهم بعضا وقوله عليه السلام مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد اذا الم بعضه تداعى سايره وقيل الناس كجسد واحد متى عاون بعضه بعضا استقل ومتى خذل بعضه بعضا اختل **الباب الثاني** في تسخير الله تع هم الناس للصناعات المختلفة وعنايته كل واحد بما يتعاطاه لما احتاج الناس بعضهم الى بعض سخر الله تع كل

واحد

واحد من كافتهم لصناعة ما يتعاطاه وجعل بين طبايعهم وصنايعهم مناسبات خفية واتفاقات سماوية ليوثر الواحد بعد الواحد حرفة من الحرف منشرح صدره بملابستها ومطيعة قواه بمزاولتها فاذا حمل اليه صناعة اخرى فربما وجد متبلدا فيها ومتبرما بها وقد سخر الله تع لذلك لئلا يختاروا باجمعهم صناعة واحدة فيبطل الاقوات والمعاونات ولولا ذلك لما اختاروا من الاسماء الا احسنها ومن البلاد الا اطيبها ومن الصناعات الا انظفها ومن الاعمال الا ارفهها ولتشاجروا على ذلك ولكن الله تع بحكمته جعل كلا منهم في ذلك مجبرا في صورة مخير فالناس اما راض بصنعته لا يريد عنها حولا كالحايك الذي يرضى بصناعته ويعيب الحايك وبهذا انتظم امرهم كما قال تع فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون واما كاره لها يكابدها مع كراهيته اياها كانه لا يجد عنها بدلا وعلى هذا دل قول النبي صلى الله عليه واله وسلم كل ميسر لما خلق له بل صرح تع بذلك

بقوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة ورفعنا بعضهم
فوق بعض درجات وقوله تع قل كل يعمل على شاكلته ولهذا
قال عليه السلم لن يزال الناس بخير ما تباينوا فاذا تساووا
هلكوا فالتباين والتفرق في نحو هذا الموضع سبب للالتيام
والاجتماع والاتفاق كاختلاف صور الكتابة وتباينها
وتفرقها التي لولاها لما حصل لها نظام فسبحان الله ما
احسن ما صنع واحكم ما اسس واتقن ما دبر ولهذا قيل
من حق من قيض له صناعة مباحة فرزق منها ان يراعيها
على ما يجب وكما يجب وعليه دل النبي صلى الله عليه واله وسلم من رزق
في شيء فليلزمه

الباب الثالث في كون الفقر وخوفه

سببا لانتظام امور الناس حصول الفقر وخوفه الباعثان
للحرص هما الباعثان على الجد واحتمال الكد في منفعة الناس
اما اختيارا واما اضطرارا ولهذا قيل شايع لقاعدة
هو ان الناس لو كفي كل واحد امره لادى ذلك الى فساد
العالم من حيث انه لم يكن احد يتولى لغيره مهنة وكان

الواحد منهم يعجز عن القيام بمصالح نفسه كلها فيؤدي
ذلك الى فقر جميعهم وقد قيل قيام العالم بالفقر اكثر
من قيامه بالغنى لان الصناعة القايمة بالغنى ثلثة
الملك والتجارة والبناية وسايرها قايمة بالفقر فلو لم
يكن الفقر وخوفه فمن كان يتولى الحياكة والحجامة والدباغة
والكناسة ومن كان ينقل المير والملابس من الشرق
الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب وعلى منفعة الفقر
نبه قوله تع نحن قسمنا بينهم معيشتهم ورفعنا بعضهم
فوق بعض درجات وقوله تع ولولا ان يكون الناس
امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من
فضة ومعارج عليها يظهرون هذا مع ان من الناس
من لو كفي امر دنياه لكان يوجد منه من البغي والتسلط
ما يؤدي الى خراب البلاد وفسادها بل كان يوجد منه
ما يؤدي الى هلاك نفسه في اسرع مدة وعلى ذلك دل
قوله تع ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض

فبالغنى البناه

ومن تدبر صنع الله في ذلك وتأمل ما أشار إليه في من
الآيات التي ذكرها الله لم تعرض له الشبهة التي تعرض
لمن يقول إذا كان الله غنيا جوادا واسعا فلم خص بعضهم
بالغنى وجعل أكثرهم فقرا ومن حق الغني الذي لا يفنى
غناه والجواد الذي لا يعرف لجوده منتهى أن لا يخص
بالعطية بعضا دون بعض وذلك أن الجواد الحق هو
الذي يعطي كل أحد بقدر استيهاله على وجه يعود
بمصلحته ومصلحة غيره وقد فعل ذلك تعالى بالعباد

الباب الرابع

في أن الله تعالى فرق بين الناس في الصناعات المتفاوتة
ويسر كلا لما خلق له وجعل الهمم الفكرية والبدنية
مستعدة لها فجعل لمن قيض لمراعاة العلم والمحافظة
على الدين قلوبا صافية وعقولا بالمعارف لايقة
وأمزجة لطيفة وأبدانا لينة مستصلحة ومن قيض لمراعاة
المهن الدنيوية والمحافظة عليها كالزراعة والبناء جعل لهم
قلوبا قاسية وعقولا كزة وأمزجة غليظة وأبدانا خشنة

وكما

وكما أنه مح أن يصلح السمع للرؤية والبصر للسمع كذلك
من المح أن يكون من خلق للمهنة يصلح للحكمة وقد جعل الله
كل جنس من الفريقين نوعين رفيعا ووضيعا فالرفيع
من تحرى الحذق في صناعته وأقبل على عمله وطلب مرضاة
ربه بقدر وسعه وأدى الأمانة بقدر جهده ولم يشغل
عن عبادة الله كما قال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن
ذكر الله وإقام الصلوة وقال صلى الله عليه وآله وسلم
إن الله يحب الصانع الحاذق ومدح الملائكة بوقوفهم
حيثما وقفوا وأحكامهم لما ولوا فقال لا يعصون الله
ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون

الباب الخامس

في وجوب التكسب في الدنيا وإن كان معدودا من المباحات
من وجه فإنها من الواجبات من وجه وذلك أنه إذا
لم يكن للإنسان استقلال بالعبادة إلا بإزالة ضروريات
حيوته فإزالتها واجبة لأن كل ما لا يتم الواجب إلا به
كوجوبه وإذا لم يكن له إلى إزالة ضروريات إلا بأخذ تعب

سبب/ص

من الناس فلا بد اذاً ان يعوضهم نفعاً لهم والا كان ظالماً
لمن يتوسع في دنيا ولعمل غيره في مأكله وملبسه ومسكنه
وغير ذلك فلا بد ان يعمل لهم عملاً بقدر دنياه ولدينهم
والا كان ظالماً لهم قصدوا افادته ولم يقصدوها من
رضي بقليل من علمهم في دينهم ولم ينهم الا قليلاً من رضي
منه بقليل عمل ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم
من رضي من الله بقليل الرزق رضي الله عنه بقليل من العمل
ومن اخذ منهم المنافع ولم يعطهم نفعاً فانه لم يأتمر لله
في قوله وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم
والعدوان ولم يدخل قوله تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعموم ص
بعضهم اولياء بعض ولهذا ذم من يدعي التصوف
فيتعطل عن المكاسب ولا يكون له علم يؤخذ عنه ولا عمل
صالح يقتدى به بل يجعل همته فارغ بطنه وفرجه فانه
ياخذ منافع الناس ويضيق عليهم معاشهم ولا يرد اليهم
نفعاً فلا طائل في مثلهم الا ان يكدروا الانهار ويغلوا الاسعار

ولهذا

ولهذا الشأن كان عمر اذا نظر الى ذي سيما سأل أله حرفة فاذا
قيل لا سقط من عينه واستحسن النبي صلى الله عليه وآله وسلم
من وفد عبد القيس لما سألهم فقال لهم المروءة فقالوا العفة
والحرفة ومن الدلالة على قبح فعل من فعل هذا صنيعه ان الله
تعالى ذم من ياكل ماله نفسه اسرافاً فما حال من اكل مال غيره
على ذلك ثم لا يعطيهم عوضاً ولا يرد عليهم بدلاً فحق كل مضطر
الى كسب ان يقتصر على ما يسد فقره وقته ولا يحمل همّ غده على
يومه لمن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي
فعل الفقر ومن اقتصر على قدر ذلك فقد صار من المتوكلين
الذين عناهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله لو توكلتم على الله
حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغدو خماصاً وتروح
بطاناً

الباب السادس

في مدح السعي وذم
الكسل من تعطل وتبطل انسلخ من الانسانية بل من الحيوانية
وصار من جنس الموتى وذلك ان الانسان انما خص بالقوى
الثلث ليسعى في فضيلتها فان فضيلة القوة الشهوية مطالبة

بالمكاسب التي تنميه وفضيلة القوة الغضبية تطالبه
بالمجاهدات التي تحميه وفضيلة القوة الفكرية تطالبه
بالعلوم التي تهديه فحقه ان يتامل قوته ويسبر قدرها
بطريقه فيسعى بحسبه لما يفيد السعادة ويتحقق ان
اضطرابه سبب وصوله من الذل الى العز ومن الفقر الى
الغنى ومن الضعة الى الرفعة ومن الخمول الى النباهة وان
من تعود الكسل ومال الى الراحة فقد الراحة وحب الهوينا
يكسب النصب وقد قيل ان اردت ان لا تتعب فاتعب لئلا
تتعب وقيل اياك والكسل والضجر فانك ان كسلت لم تود
حقا وان ضجرت لم تصبر على حق وقال الشاعر شعر
ان التواني انكح العجز بنته وساق اليها حين انكحها فراشا
وطيا ثم قال لها اتكي فقصركما لا شك ان تلدا الفقر وقال
يزيد بن المهلب ما يسرني اني كفيت من الدنيا كل شيء لئلا اتعود
العجز ولان الفراغ يبطل الهيئات الانسانية وكل هيئة بل كل
عضو ترك استعماله تبطل كالعين اذا غمضت واليد اذا

عطلت

عطلت ولذلك وضعت الرياضات في كل شيء ولما جعل الله
للحيوان قوة التحرك لم يجعل رزقها الا بسعي ما منه لئلا
يتعطل فايدة ما جعل له من قوة التحرك ولما جعل للانسان
الفكر ترك من كل نعمة انعمها عليه جانبا يصلحه هو بفكرته
لئلا يبطل فايدة الفكر فيكون وجودها عبثا وتامل حال مريم
عليها السلم وقد جعل لها من الرطب الجني ما كفيها مؤونة الطلب
وفيه اعظم معجزة فانه لم يخلها من ان امرها بهزها فقال وهزي
اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وكما ان البدن
بتعود الرفاهية يكسل كذلك النفس بترك التفكر والنظر تتبلد
وتتبلد وترجع الى رتبة البهائم فحق الانسان ان لا يذهب عامة
اوقاته الا في اصلاح امر اخرته مراعيا لما قال الحجاج ان امرأ
اتت عليه ساعة من عمره لم يذكر فيها ربه او يستغفر من ذنبه
او يتفكر في معاده لجدير ان تطول حسرته يوم القيمة واذا
وانا اذا تاملت قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم سافروا تغنموا ونظرت
اليه نظرا عاليا علمت انه حثك على التحرك الذي يتم لك الجنة الما

الله تعالى صح

امر دينه او اصلاح امر
دنياه وسلامة بدنه الى
اصلاح صح

ومصاحبة الملأ الاعلى بمجاورة الله تع وذلك يحتاج الى اربعة
اشيا معرفة المقصود المشار اليه بقوله تع ففروا الى الله ومعرفة
الطريق المشار اليه بقوله تع قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة
وتحصيل الزاد المتبلغ به المشار اليه بقوله وتزودوا فان خير
الزاد التقوى والمجاهدة في الوصول اليه كما قال وجاهدوا في
الله حق جهاده فهذه اربعة اشيا من العزوم وهذه من المعاني التي
دونها هول العوالي ولا ينبغي لمن رامها ان يتدرع الصبر فقد
اصاب من قال   فقل لمرجي معالي الامور بغير اجتهاد رجوت المحالا

الباب السابع في تقاسيم الصناعات ومراتبها

وفضيلة بعضها على بعض الصناعات على ثلثة اضرب اما
اصول لا قوام للعالم دونها وهي اربعة اشيا الزراعة والحياكة
والبناية والسياسة واما مرشحة لكل واحد من ذلك وخادمة
له كالحدادة للزراعة والحلاجة والغزل للحياكة واما متممة
لكل واحدة من ذلك ومزينة له كالطحانة والخبازة للزراعة
وكالقصارة والخياطة للحياكة ونسبة ذلك بالاضافة الى العالم

مثل اجزاء الشخص الى الشخص سواء فانها على ثلثة اضرب اما
اصول كالقلب والدماغ والكبد واما مرشحة لتلك
الاصول وخادمة كالمعدة والعروق والشرايين واما
متممة لها ومزينة كاليد والحاجب واشرف اصول
الصناعات السياسات وهي اربعة اضرب الاول سياسة
الانبيا وحكمهم على الخاصة والعامة ظاهرهم وباطنهم
والثاني الولاة وحكمهم على ظاهر الخاصة والعامة دون
باطنهم والثالث الحكما وحكمهم على بواطن الخواص والرابع
الوعظة والفقها وحكمهم على بواطن العامة واشرف
هذه السياسات الاربع بعد النبوة افادة العلم وتهذيب
الناس وبيان ذلك ان شرف الصناعة يتبين من اوجه
اما بحسب النسبة الى القوة المبتزة لها كفضل الحكمة على
معرفة اللغات فان الاولى متعلقة بالقوة العقلية وهذه بالقوة الحسية والعقل
اشرف من الحس واما بحسب عموم النفع كفضل الزراعة على
الصياغة واما بحسب شرف الموضوع المعمول فيه كشرف

الصناعة على الدباغة وقد علم ان الحكمة تدرك بالقوة المفكرة وهو اشرف قوة وانه يتوصل به الى جنة المأوى وذلك ابلغ نفع وموضوعه الذي يعمل فيه نفوس البشر وهي افضل موضوع يعمل فيه بل افضل موجود في هذا العالم وافادة العلم من وجه صناعة ومن وجه عبادة ومن وجه اجلال قدر الله تعالى فان الله عز وجل مع استقلاله قد فتح على قلبه العلم الذي هو اخص صفاته تعالى فهو خازن لاجل خزائنه وقد اذن له في الانفاق على كل احد ممن لا يضن به الانفاق عليه وكلما كان انفاقه على ما يجب وكما يجب كان جاهه عند مستخلفه اوفر

الباب الثامن

في ان اصول الصناعات ماخوذة عن وحي وذلك ان نقص الانسان وحاجة بعضهم الى بعض ظاهر والناقص محتاج الى الكامل فلا يخ اما ان يتصور اخذ واحد عن واحد بلا غاية وذلك ايجاب ما لا نهاية له وهو مح واما ان ينتهي الى واحد من البشر علمه الله الصناعات اما بسماع من الملأ الاعلى او بالالهام

او منام وهذا هو الحد المعلوم لدى البيان فوى العقاقير وطبايع الحيوان مما لا يمكن ادراك خواصها بالهام البشر وتجربتهم ورؤساء كل صناعة يقرون بذلك فاهل النجوم يقولون مبادي النجوم من هرمس ويقولون هو الذي عرج بروحه الى السماء فاطلع على ذلك وهرمس قيل هو ادريس عليه السلم الذي وصفه الله تع بقوله ورفعناه مكانا عليا وكذلك اصحاب الطب يدعون مثل ذلك في معرفة ادويتهم بما اختص كل واحد من الموجودات بفعل له على حدته والخبار المعقل توهم ما هو اصلح لذلك الفعل منه بحقيق انه صدر عن حكمة الهية

الباب التاسع

في شأن الناض للمتعامل به وبيان حكمة الله تع فيه اعلم ان الناض احد اسباب ما به قوام الحيوة الدنيوية ومتى توهمناه مرتفعا تعسر على الناس ترجية معاشهم وقد تقدم ان الناس بعضهم يحتاج الى بعض ولا يمكنهم التعايش ما لم يتظاهروا ويتولى كل واحد منهم عملا يصير به معينا للاخر مواسيا له ولما كان كل من واسى

غيره ممن حقه ان يقابل بقدر مواساته لكن ربما الجحض
صاحبه ما يريد منه فقيض الله تعالى لهم هذا الناض علاقة
منه جل ثناؤه ليدفعه الانسان الى من يوليه نفعا فيحمله
الى من عنده مبتغاه فياخذ منه بقدر عمله ثم اذا احتاج ذلك
الآخر الى الاول بتلك العلاقة او بمثلها وطلب منه مبتغى هو عنده
دفعه اليه لينتظم بذلك امرهم ولهذا قيل الدرهم حاكم
صامت وعدل ساكت وخاتم من الله تعالى نافذ وقيل
لهذا المعنى سمي في لغة الفرس الدينار دينارا اي الدين آن
به والدين فارسية معربة ولما كان ذلك حاكما عظم الله
وعيد من احتبسه ومنع الناس من التعامل به فقال الذين
يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
فبشرهم بعذاب اليم وذلك انه يصير باحتباسه اياهما كمن
احتبس حاكمين للناس بهما يمشي امور معاشهم ولذلك
قال عليه السلام الذي يشرب في آنية الذهب والفضة انما
يجرجر في جوفه نارا لان اتخاذه بالفضة او الذهب يؤدي

الى

الى منع الناس عن تصرفهم في معاملاتهم وتضييقه عليهم
مكاسبهم

الباب العاشر في مدح المال وذمه

المال اذا اعتبر بكونه احد اسباب المعونة الدنيوية فهو عظيم (قوام ص)
الخطر كما تقدم واذا اعتبر بسائر القنيات فهو صغير الخطر
اذ هو ايسر القنيات فالقنيات ثلاثة نفسية وبدنية و
خارجية والخارجية ادونها وادون الخارجيات الناض لانه
خادم غير مخدوم وسائر القنيات خادم من وجه ومخدوم
من وجه لان النفس يخدمها البدن والبدن يخدمها المآكل
والملبس وهما يخدمهما المال فالمال من حقه ان يكون خادما (من القنيات ص)
لغيره من القنيات وان لا يكون شيئا خادما له وان كان كثير
من الناس لجهلهم يجعلون جاههم وابدانهم ونفوسهم خدما
للمال وعبيدا وهم الذين ذمهم النبي عليه السلام تعس عبد الدينار
تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس وانتكس فلا انتعش
واذا شيك فلا انتقش ولعظم موضع المال عند من لم
يتجاوز المحسوسات قال الله تعالى حكاية عن بعض انبيائه فيما

خاطب به امته استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء
عليكم مدرارا ويمددكم باموال وبنين ولعظم منافعه في الحيوة
الدنيوية قال تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله
لكم قياما ونبه على حقارة قدره بالاضافة الى احوال الاخرة
فقال لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك
فاولئك هم الخاسرون وخوف من عجب باقتنائه وذمه فقال
ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات
بل لا يشعرون وقال ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له
مالا ممدودا وبنين شهودا الاية فحق للانسان ان يعد المقتنيات
الدنيوية آلات موضوعة في خان سفر يصلح للاستمتاع به مادام
نازلا في ذلك الخان فيتناول منه مقدار البلغة ويتسلى عنها
عند الرحلة ويستهجن لنفسه ان يكذب ويغضب ويحزن في
ويرتكب القبائح في سببها واعلم ان الناض الذي هو العين والورق
حجر جعله الله تعالى سببا للتعامل به كما تقدم انفا وخادما كما ذكره
فقبيح بالحر المترشح لنيل الفضائل والاقتداء بالباري جل ثناؤه

الوصول الى الغنى الاكبر ان يتهافت على المال باكثر مما يحتاج
اليه ويجعل نفسه اقل رقيق له واخسه شعر فوق ذوي
الاطماع رق مخلد ويكون معتكفا منه على حجر يعبده كما قال
تعالى يعكفون على اصنام لهم واري ان ابرهيم عليه السلم
لما سال الله تعالى فقال اجنبني وبني ان نعبد الاصنام لم يرد
الا ان يحرسه وذريته عن الاعراض الدنيوية الصارفة
عن الله تعالى فهذا عليه السلم واولاده يتنزه عن ان يشفق من
اعتقاده في حجر انه صانعه ويستحق عبادته وقد قال
في موضع اخر اشارة الى ما يعم هذا المعنى وغيره يا ابت لا تعبد
الشيطان يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني
عنك شيئا وقال بعض الحكماء مثل الانسان وشغفه بهذه
الحجارة بسائر الاعراض الدنيوية كراكب سفينة الى افضل
بلد فانتهى بهم المركب الى جزيرة ذات اسود واساود
فامروا بالخروج للتطهر وان يكونوا على حذر فراوا حجرا
مزبرجا وزهرا منورا فاعجبهم ذلك وشغفوا بها فتباعدوا

تجرد ص

عن المركب ونسوا مقصدهم فبقوا لاهين حتى سارت
السفينة فثارت عليهم الاسود تفترسهم والاساود تنهشهم
فلم تغن عنهم مجوهرهم ونزههم فصاروا كما قال تع حكاية
عمن هذه حاله ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه

الباب الحادي عشر في ذكر المال والادب في اقتنائه

والوجوه التي منها يحصل قد تقدم ان المال من الخيرات
المتوسطة لانه كما قد يكون سببا للخير فقد يكون سببا
للشر لكن لما كان في اكثر الاحوال موجبا لكبر اصحابه وتعظيم
اربابه حتى صدق الشاعر في قوله شعر الناس اعداء
لكل مدقع صفر اليدين واخوة للمكثر وحتى قيل رايت
ذا المال مهيبا وقال عليه السلم نعم المال للرجل الصالح و الصالح صح
استصوب قول طلحة في دعائه اللهم ارزقني مجدا ومالا
فلا يصلح المجد الا بالمال ولا يصلح المال الا بمراعاة المجد وفطر
المتنبي هذا النظر حيث قال شعر فلا مجد في الدنيا لمن
قل ماله ولا مال في الدنيا لمن قل مجده قال بعض الحكما

بانفسهم صح
اطلب العلم والمال بحو الرياسة فالناس خاص وعام فالخاص
يفضلك والعام بما تملك واكتسابه من الوجه الذي ينبغي
صعب ايضا
صعب وتفريقه سهل كما قال شعر له مصعد سهل ومنحد
سهل ومن رام اكتسابه من وجهه صعب عليه فالمكاسب
الجميلة قليلة عند الحر العادل ومن رضي بكسبه من حيث
ما اتفق فقد سهل عليه والفاضل ينقبض عن اقتناء المال
ويسترسل في انفاقه ولا يريده لذاته بل لاكتساب المحمدة
به ولا يجتمع عنده المال مدخرا كما قال شعر لا يالف
الدرهم المضروب صرتنا لكن يمر علينا وهو منطلق
انا اذا اجتمعت يوما دراهمنا ظلت الى طرق المعروف
تستبق وغير الفاضل يسترسل في اقتنائه وينقبض
في انفاقه ويطلبه لذاته لا لادخار الفضيلة به والمال
يحصل من وجهين احدهما بسبب منسوب الى الجد المحض
والبخت الصرف من غير اكتساب من صاحبه كمن ورث
مالا او وجد كنزا او قبض له من اولاده شيئا والثاني ان

يكتسب الانسان لكن يشتغل بتجارة او صناعة فيدخر
منها ما لا بد له ان الضرب ايضا لا يستغني فيه عن الجد و لهذا
قال شعر وعلي ان اسعى ولا علي ادراك النجاح :. فحظ الجد
في المال اكثر من حظ الكد بخلاف الاخلاق والاعمال الاخروية
التي حظ الكد فيها اكثر و قد نبه الله تع على ذلك بقوله من
كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا
له جهنم يصليها مذموما مدحورا و من اراد الاخرة و
سعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم
مشكورا فاشترط في العاجلة مشيته للمعطي وارادته
للمعطى له ولم يشترط السعي واشترط في الاخرة السعي
لها مع الايمان ولم يشترط ارادته تع ومشيته وان كان
ذلك لا يتعرى منها لحق العاقل اذ يعني بما اذا طلبه ناله
واذا ناله لم يخف زواله و يقل المبالاة بما ان قدر له
اتاه طلبه او لم يطلبه و قال بعض الحكماء ان البخت بمنزلة
ضماء عمياء و زهاء في حجرها جواهر وهي قاعدة على مجر

ولبس

امراة ص

مدوس

مدورة ويتبعها ناس كثير يلتمسون ما عندها و هي لا تسمع قولا
ولا ترى وجها و قد اعتزل عنها قوم قليل العدد و هم واحجموا
وفي كل ساعة تولي قبضة مما في حجرها واحدا من القوم لا يخص
اتباعها بل ربما تخطاهم وربما جنبهم كانهم المقصودة بقول الشاعر
شعر لا تمدحن حسنا في المجد ان سطعت :. كفاه جودا ولا
تذممه ان زهدا :. فليس بحظ التقى على نشب :. ولن يجود بفضل
المال معتمدا :. لكنه خطرات من وساوسه :. يعطي ويمنع لا
بخلا ولا كرما وتارة تعرج على من اعطته فتستلبه سلبا
وتدوسه بحجرها دوسا واما الفضايل الاخروية فكما قيل العلم
لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فان اعطيته كلك فانت
من اعطائه اياك بعضه على خطر وقد تع و ان ليس للانسان الا ما سعى

الباب الثاني عشر في اخفاق العاقل والنجاح

للجاهل الحكمة تقتضي ان يكون الحكيم العاقل في اكثر الاحوال
مقلا وذلك انه لا ياخذ المال الا كما يجب من الوجه الذي يجب و
في الوقت الذي يجب اذا اتاه ولم يدخر من مكرمة تعن له

والجاهل يسهل عليه الجمع من حيث لا يبالي فيما يتناوله بارتكاب
محظور واستنزال الناس عما في ايديهم بالمكر ومساعدتهم
على ارتكاب الشر طمعا في نفعهم وكثيرا ما ترى منهم من جملة
الموصوفين بقوله تع فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما
له في الآخرة من خلاق شاكين لبختهم فبعض ينقص على العلم
وبعض يغضب على القدر وبعض يتجاوز الاسباب فيعاتب
الله تع حتى قال بعض المجان بقوله نحن قسمنا بينهم زال المرا
شعر ولو تولى عمر قسمة ارزاق الورى ::: جرت حروب بيننا
لكننا تحت العرا ::: وذلك يحرصهم على ارتكاب المقابح وجهلهم بما
يقتضي الله تع لعباده من المصالح وقول الشاعر شعر
هذا الذي ترك الالباب حائرة ::: وصير العالم النحرير زنديقا
فان الذي يصير بذلك زنديقا فان يسمى الجاهل الشيء برأي او
بان يسمى العالم النحرير فقد حكم لمن اعطي العلم بجوع لفقد الذهب سواه ص
والفضة ولمن اعطي السلامة والدعة بجوع لفقد الالم والتعب
فمن العلم السلامة والدعة وثمرة المال الالم والتعب

الباب الثاني عشر في تحقيق كون المال في ايدي الناس

ان الله تع اوجد اعواض الدنيا بلغة فاتخذها الناس عقدة
وصير الدنيا مرتحلا ومحلا فصيروها موطنا ومقرا الا قليلا
انزلوها حيث نزلها الله تع وهم الذين وصفهم الله بقوله وقليل
من عبادي الشكور تاجروا بها ربهم كما قال تع يا ايها الذين
آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله ورسوله
وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم فاعواض الدنيا
من وجه عارية مستردة كما قال شعر وما المال والاهلون الا
ودائع ::: ولا بد يوما ان ترد الودائع ::: ومن وجه منحة
منح الانسان لينتفع منها بقدرها وينفع بها غيره ومن وجه وديعة
رخص في استعمالها والانتفاع بها بعد ان لا يسرف فيها
لكن الانسان لجهله ونسيانه لما عهد اليه بقوله تع ولقد عهدنا
الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما اغتر بها فظن ان جعلت
له هبة موبدة فركن اليها واعتمد عليها ولم يؤد امانة الله تع
فيها ثم لما طولب بردها تصور منه وضجر فلم يفرح عنها الا بنزع
نقضه

روحا او كسر ريحه وبعضهم وهم الاقلون حفظوا ما عهد اليهم
فتناولوها تناول العارية والمنيحة والوديعة فادوا فيها
الامانة وعلموا انها مسترجعة فلما استردت منهم لم يغضبوا
ولم يجزعوا وردوها شاكرين لما نالوا منها ومتشكرين
لاداء الامانة فيها وقد ذكر بعض الحكما في ذلك مثلا فقال
مثل الدنيا واهلها فيما اعطوا من اعراضها مثل رجل دعا قوما
الى داره فاخذ طبق ذهب عليه بخور ورياحين فكان اذا
دخل احدهم ناوله ويدفعه اليه لا ليتملكه بل ليشمه ويدفعه
الى من يجي بعده فمن كان جاهلا برسومهم ظن ان قد وهب له فضجر
اذا استرجع منه ومن كان برسومهم عارفا اخذه فشكره
ورده بانشراح صدره

الباب الرابع عشر

في تفاوت احوال الناس وبين الاعراض الدنيا طلاب الدنيا وتناولها
على اضرب الاول من تناولها على اي وجه اتفق راكنا اليها
غير متفكر في المآل واياه قصد تعالى بقوله في ذم من ذمه يحسب ان
ماله اخلده والثاني من تناولها على وجه يجب عليه ان يتناوله

وذلك اذا اقتصر على ما لا يمكن التبلغ باقل منه من الوجه الذي
يجب كما يجب ولوجوب تناول هذا القدر قيل اباحة الضرورة
فريضة وفريضتهم مباحة بمعنى انه لا يقدم على تناول المباح
حتى يضطر اليه فيتحتم تناوله عليه فيصير ما كان مباحا تناوله
فرضا عليه ويفعل من الواجبات فوق ما يجب عليه مسارعا
اليه حتى يصير حكمها حكم النوافل وروي من طلب رزقه على
سنة كمن في جهاد وقال عليه السلم لابن مسعود رضي الله عنه
ان المومن ليوجر في كل شي حتى اللقمة يضعها في في امراته
ولم يعن ان كل احد على كل حال يوجر في ذلك وانما اراد تخصيص
المومنين الذين يراعون حكم الله في مكاسبهم وانفاقهم ويتحرى
في ذلك عبادة الله والضرب الثالث من يتوسع في
تناولها يراعي فيها حكم الله لكي يكون فيه وكيلا لله ويقتصر
منها لنفسه على تناول البلغة ويجعل الباقي مصروفا الى ما
دعي اليه فهذا افضل ممن تقدم ذكره فانه يصير بذلك
من خلفا الله فمن تناول الدنيا على احد هذين الوجهين فقد ارتسم

لله عز وجل في قوله وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة و
لا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك
ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين
وبالاعتبار بمثلهم قال تع قل من حرم زينة الله التي
اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا
في الحيوة الدنيا خالصة وقال تع ولقد كتبنا في الزبور
من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون
لجعلها لهم ثم قال ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين اي من
يحري في تناول الدنيا عبادة الله فانه يبلغ بذلك مقصوده
المذكور في قوله تع وان الى ربك المنتهى وقال تع ليس عليكم
جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم والفضل هو الاحسان
فنبه بذلك ان تناول المال اذا تحري به الوجه الذي يجب
وكما يجب هو فضل واحسان يستحق به الثواب وعلى ذلك
قوله واسئلوا الله من فضله وقال في مدح قوم تناولوا
الدنيا كما يجب من حيث ما يجب رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع

عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة

الباب الخامس عشر

من تصور الوجوه الثلثة
التي تقدم ذكرها في تناول الدنيا سقطت الشبهة فيما
ورد من الايات والاخبار المتفاوتة الظاهر من ذم
الدنيا واعراضها تارة ومدحها تارة وذلك ان ما جا
من ذمها فاعتبار بمن رضيها حظا لنفسه وجعلها قاصرة
مراده كما قال تع ورضوا بالحيوة الدنيا واطمئنوا بها وما
جاء من مدحها فاعتبار بمن تناولها وانفقها على ما يحمد وعلى
ذلك قال امير المؤمنين عليه السلم الدنيا دار نجاة لمن
فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها والناس فيها رجلان
بايع نفسه فموبقها ومشتر نفسه فمعتقها وعلى هذين
الوجهين مدح تارة عمارة الارض فقال تع واستعمركم
فيها وقال عليه السلم من غرس غرسا لم ياكل منه طاير ولا
بهيمة الا كانت له صدقة وذم مرة عمارتها فقال تع افلم
يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم

في بيان ما ورد من
الروايات المتعارضة
الدنيا ظاهرا في شان صح

كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وعمروها اكثر مما
عمروها وقال عليه السلم الدنيا قنطرة فاعبروها ولا
تعمروها **الباب السادس عشر** في احوال
الناس في مراعاة الدنيا والاخرة الناس في ذلك ثلثة
اصناف صنف هم المنهمكون في الدنيا بلا التفات منهم
الى العقبى وهم المسمون عبدة الطاغوت وشر الدواب
ونحوهما من الاسما وصنف مخالفون لهم غاية المخالفة
يراعون العقبى من غير التفات منهم الى مصالح الدنيا
وصنف متوسط وفوا الدارين حقهما وهذا الصنف
هم عند الحكما الافضلون لان بهم قوام اسباب الدنيا و
الاخرة ومنهم عامة الانبيا لان الله عز وجل بعثهم لاقامة
مصالح المعاش والمعاد ولان امورهم مبنية على الاعتدال
الذي هو اشرف الاحوال واجدر ان يكون ثلثهم (خلقهم) دا
في عموم قوله عز وجل وكنتم ازواجا ثلثة فاصحاب الميمنة
ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة

والسابقون

والسابقون السابقون اولئك المقربون فالمراعي للدنيا
والاخرة على ما يحسن وكما يحسن من السابقين وجعل قوم
السابقين هم النساك الذين رفضوا الدنيا بالكلية
محتجين بقوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
وخفي على هذا القائل ان اعظم عبادة الله تعالى ما يكون عائدا
بمصالح عباده وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه
وآله وسلم انه قال الخلق كلهم عيال الله فاحبهم اليه انفعهم
لعياله ولانه كما يقبح ان يشتغل الانسان بامر دينه ودنياه — بدنه
فيضيع احد جزئيه المركب عليه كذلك يقبح ان يضيع الجزء
الاخر الذي هو بدنه ودنياه لانه يصير مضادا لله تع
في ابطال ما اوجده واتقنه فان قيل فقد قال بعض الحكما
الناس ثلثة رجل شغله معاده عن معاشه وذلك درجة
الفائزين واخر شغله معاشه عن معاده وذلك درجة
الهالكين ورجل مشتغل بهما وذلك درجة المخاطرين
قال وقد علم ان الفائز احسن حالا من المخاطر قيل انما له

الرفيعة لا تخلو من مخاطرة ولم يقصد بهذا العاقل بذلك الى تفضيل لا ينفك
الفاني وانما خوفا ان يترشح لخلافة الله تعالى من هو قاصر عنها
ويقوي ذلك ما روي ان بعض اولاد الملوك ممن يقوى
في العلم والحكمة اعتزل الملك وزهد في الدنيا فكتب اليه بعض
الملوك قد اعتزلت ما نحن فيه فان علمت ان ما اخترته افضل
فعرفنا لنذر ما نحن فيه ولا تحسبني اقبل منك قولا بلا حجة
فكتب اليه اعلم انا عبيد الملك رحيم بعثنا الى حرب عدو و
عرفنا ان المقصود من ذلك قهره او السلامة منه فلما قربوا
من الزحف صاروا ثلاثة الاول متحرزا لطلب السلامة من
منه فاعتزل عنه فاكتسب ترك الملامة وان لم يكتسب المحمدة
ومتهورا اقدم على غير بصيرة فخرجه العدو وقهره فاستجلب
بذلك سخط ملكه وشجاعا اقدم على بصيرة فقاتل وابلى و
اجتهد فهو الفائز التام وانا لما وجدتني ضعيفا رضيت
بادنى المنزلتين واوفى المنزلتين فكن انت ايها الملك من
افضل الطوايف تكن اكرمهم عند الله تعالى والسلام الباب

السابع عشر في بيان حال من يجوز له الاستكثار
من اعراض الدنيا ومن لا يجوز له ذلك الاعتبار في تناول الدنيا
والاستكثار منها والاستقلال والزهد فيها والرغبة
ليس بتناول القليل والكثير من تناولها من حيث ما يجب
ووضعها كما يجب قال امير المؤمنين عليه السلام لو ان رجلا
اخذ جميع ما في الارض واراد به وجه الله يسمى زاهدا
ولو انه ترك جميع ما في الارض ولم يرد بتركه وجه الله
لم يسم زاهدا ولا كان لله في ذلك عابدا فليكن اخذك ما
تاخذ وتركك لما تتركه لله عز وجل العزيز واعلم ان الحكيم
اذا تناول اعراض الدنيا جرى مجرى رياق حاذق تناول
حية قد عرف نفعها وضرها واين سمها وشرها فيتحرى
تناولها الوجه الذي هو ينتفع بها وينفع غيره فهو
مباح له تناولها وغير الحكيم اذا تناولها فهو جاهل استحسن
الحية واستلان مسها فظن انها مستصلحة لان يتقلد
بها فجعلها سخابا في عنقه فلدغته وقتلته وما احسن ما

قال الشاعر **شعر** هي الدنيا كحية تنفث السم وان كانت
المجسة لانت فكما لا يجوز للجاهل بالرقية غير العارف
بنفع الحية ان يقتدي بالراقي في تناول الحية والتصرف
فيها كذلك لا ينبغي للجاهل ان يقتدي بالحكيم في تناول
اعراض الدنيا وكما انه قبح ان يسلك الاعمى من غير قايد
طريقا وعرا يسلكه البصير اذ هو غير آمن من ان يقع في هوة
كذلك قبح ان يسلك الجاهل مستبدا برايه في تناول اعراض
الدنيا طريقا يسلكه الحكيم العالم اذ هو غير امن ان يقع في
هاوية وايض فالدنيا غانية رعنا كما قال المتنبي **شعر**
شيم الغانيات فيها فلا ادري لذا انث اسمها الناس ام لا
فكما ان الغانية لا يجوز ان يدخل عليها ويخلو بها من الرجال
الا من كان محجوبا يؤمن عليها كذلك الدنيا لا يجوز ان يتمكن
منها الا المقطوع عنها بالعفة والزهد لئلا يغره و
ذلك كامير المؤمنين عليه السلم حيث قال يا صفراء ويا بيضاء
اصفري وابيضي وغري غيري هذا جناي وخياره فيه

ومن

ومن تصور ذلك علم ان الله تع قد اباح الدنيا كلها لاوليائه
علما منه انهم لا يتناولونها الا على ما يجب وكما يجب واذا
تناولوها وضعوها كما يجب وحيث ما يجب وعلى هذا
قال تع ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة
للمتقين وقال تع ان الارض يرثها عبادي الصالحون
الى غير ذلك من الآي الذي تقدم ذكرها

الباب الثامن عشر

ما ينال ارباب الدنيا من العقوبات
الدنيوية لله عز وجل عقوبتان في معاقبة من تناول
ما لا يجوز تناوله من الدنيا او تناوله من الوجه الذي لا يجوز
لكنه لم يوف حقه احدى العقوبتين ظاهرة للبصر
والبصيرة وذلك كعقوبة من غصب مالا او تجاهر او
سرق خفية ولكن منع حق الله من الزكوة فان عقوبات
ذلك ظاهرة امر السلطان باقامتها والثانية خفية
على البصر مدركة ببصاير اولي الالباب كعقوبة من
تناول مالا من حيث لا يجوز تناوله او منعه من حيث

لا يحوز منعه لا على وجه فيه حد امر السلطان باقامته فهذا
عقوبته ما روي اي امرء سكن قلبه حب الدنيا بلي بثلث شغل
لا يبلغ مداه وفقر لا يدرك غناه وامل لا يدرك منتهاه
وما قال عليه السلم من كانت الدنيا اكبر همه شتت الله عليه امره وجعل
فقره بين عينيه ولم يبال الله في اي واد من الدنيا هلك وعلى
ذلك قال تع انما يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا
وتزهق انفسهم وهم كافرون وقال ومن اعرض عن ذكري
فان له معيشة ضنكا ونحشره اعمى ليس يعني قلة المعيشة
وانما يعني ما يقاسي فيها من الغموم والهموم التي تكدر العيش
عليه

الباب التاسع عشر في الانفاق المحمود الممدوح والانفاق المذموم

الانفاق ضربان ممدوح ومذموم
فالممدوح ما يكسب صاحبه العدالة وهو بذل ما يوجب الشرع
الى بذله هذا يكسب من الناس شكرا ومن ولي النعمة اجرا
والمذموم ضربان افراط وهو التبذير والاسراف وتفريط
وهو التقتير وكلاهما يراعي فيه الكمية والكيفية فالتبذير من

جهة الكمية ان يعطي اكثر مما يحتمل حاله ومن حيث الكيفية
فبان يضعه في غير موضعه والاعتبار فيه بالكيفية اكثر
منه بالكمية فرب منفق درهما من الوف وهو في انفاقه
مسرف وببذله لظالم مفسد كمن اعطى فاجرة درهما او اشترى
خمرا ورب منفق الوفا لا يملك غيرها هو فيه مقتصد وبذله
متحمد كما روي في شان ابي بكر وقد قيل الحكيم متى يكون بذل

القليل اسرافا والكثير اقتصادا قال اذا كان بذل ص

القليل في باطل وبذل الكثير في حق والتقتير من جهة الكمية ان
ينفق دون ما يحتمل حاله ومن جهة الكيفية ان يمنع من حيث
يجب وينفق حيث لا يجب والتبذير عند الناس احمد لانه
جود لكنه اكثر مما يجب والتقتير بخل والجود على كل حال احمد
من البخل لان رجوع المبذر الى السخا سهل وارتقا البخيل اليه
صعب ولان المبذر قد ينفع غيره وان اضر بنفسه والمقتر
لا ينفع نفسه ولا غيره على ان التبذير في الحقيقة هو من
وجه اقبح اذ لا اسراف الا وبجنبه حق مضيع ولان التبذير
يؤدي بصاحبه الى ان يظلم غيره ولهذا قيل الشحيح اعذر من

الظالم ولانه جهل بقدر المال الذي هو سبب استبقاء النفس
والجهل راس كل شر والمبذر ظالم من وجهين لانه اخذ
من غير موضعه ووضعه في غير موضعه ولكثرة مذام
الاسراف ذمه الله تعالى باعظم مما ذم به البخل فقال ولا
تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان
الشيطان لربه كفورا وقال ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا
اي تقعد ملوما من جهة من سالك فلم تجد ما تعطيه
وحسيرا عن بلوغ مرادك وبهذا الم المتنبي شعر
فلا يحلك في المجد مالك كله ∴ فيحل مجد كان بالمال عقده
فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله ∴ ولا مال في الدنيا لمن قل مجده
وليس الاسراف متعلقا بالمال فقط بل بكل شي وضع في غير
موضعه اللائق به الا ترى ان الله تعالى وصف قوم لوط بالاسراف
لوضعهم البذر في غير المحرث فقال انكم لتاتون الرجال
شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون وقوله تعالى ان فرعون

لعال في الارض وانه لمن المسرفين **الباب العشرون**
في حقيقة السخا والجود والشح والبخل السخا هيئة للانسان
داعية الى بذل المقتنيات حصل معه البذل او لم يحصل وذلك
خلق ويقابله الشح والجود بذل المقتنى ويقابله البخل هذا
هو الاصل وان كان كل واحد منهما قد يستعمل في موضع
الاخر ويدلك على صحة هذا الفرق انهم جعلوا الفاعل
من السخا والشح على بنا الافعال الغريزية فقالوا شحيح و
سخي وقالوا جواد وباخل واما قولهم بخيل فمصروف عن
لفظ الفاعل للمبالغة كقولهم راحم ورحيم ولكون السخا
غريزية لم يوصف الباري سبحانه به وقد عظم امر الشح
وخوف منه ولهذا قال عليه السلم ثلاث مهلكات شح مطاع
وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه فخص المطاع لينبه ان
وجود الشح في النفس ليس مما يستحق به ذم اذ هو ليس من
فعله وانما يذم بالانقياد له قال عز وجل ومن يوق شح
نفسه فاولئك هم المفلحون وقال واحضرت الانفس الشح

وقال عليه السلام لا يجتمع شح وايمان في قلب عبد ابداً

الباب الحادي والعشرون في فضيلة الجود وذم

البخل الجود على السنة الورى محمود ولذلك قيل يا لجود
مدحا ان اسمه مطلقا لا يقع الا في حمد وكفى بالبخل ذما
ان اسمه مطلقا لا يقع الا في ذم وقيل لحكيم اي افعال البشر
اشبه بافعال الباري سبحانه وتعالى فقال الجود وقال
عليه السلام الجود شجرة من اشجار الجنة من اخذ بغصن من
اغصانها اداه الى الجنة والبخل شجرة من اشجار النار من
اخذها بغصن من اغصانها اداه الى النار ومن شرف
ان الله تع قرن ذكره بالايمان ووصف اهله بالفلاح
والفلاح اجمع اسم لسعادة الدارين فقال الذين يؤمنون
بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون الى قوله
اولئك هم المفلحون وحق للجود ان يقرن بالايمان فلا
شيء اخص به واشد مجانسة له منه فمن صفة المؤمن انشراح
صدره كما قال تع فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام

ومن

ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد
في السماء وهما من صفة الجواد والبخيل لان الجواد يوصف
بسعة الصدر للانفاق والبخيل بضيق الصدر للامساك
وقال عليه السلام اي داء ادوى من البخل ولان البخل ثلاثة
اضرب بخل الانسان بماله على غيره وبخله بمال غيره وبخله
على غيره وبخله على نفسه بمال غيره وهو اقبح الثلثة والبخل
بما في يده باخل بمال الله على نفسه فقد تقدم ان المال عارية
في يدي الانسان مستردة ولا احد اجهل ممن لا ينقذ نفسه
من العذاب الاليم بمال غيره سيما اذا لم يخف من ضياحه
تبعة ولا ملامة والكفاية الالهية متكفلة باعواض
المنفق فقد قال عليه السلام اللهم اجعل للمنفق خلفا
وللممسك تلفا وقال ان الله عز وجل ينزل المعونة بقدر
المؤنة وروي ان من وسع عليه

الباب الثاني والعشرون في انواع الجود والمجود به

الجود خمسة اضرب جود الاريحية وهو البذل لكل احد على

قدر استحقاقه وجود الملوك وهو بسط المال على العفاة
غنيهم وفقيرهم وجود السوقة اي الذين هم دون الملوك
وهو بذل المال للسؤال وجود الصعاليك وهو بذل
المال للندامى والشرب والمعاشرين وجود عوام الناس
وهو الاحسان الى الاقارب والمحمود من ذلك كله الجود الالهي
وهو بذل الموجود بقدر الطاقة لكل محتاج بقدر استحقاقه
من غير امتنان ولا اذية فالمعطي ما يحتاج اليه لمن لا يحتاج
اليه مسرف مضيع والمعطي غيره شيئا لرهبة او لقصد
والمعطي لرغبة في مثوبة او لمحمدة دنيوية تاجر وقول ابي
نواس شعر فتى يشتري حسن الثناء بماله ∴ ويعلم ان الدائرات
تدور ∴ ليس بغاية في الوصف بالجود التام بل وصف بتجارة
محمودة واحسن منه قول الرومي شعر وما حرا لبن لانا
له ريحان ∴ في كل منحى تجيء اجر وحمد ∴ وانما طلب الاجر ولكن
كلاهما اعتوره وقد اجاد بشار في قوله شعر ليس يعطيك
للرجا وللخوف ولكن يلذ طعم العطا الفصل

السابع في ذكر الافعال

الباب الاول

في انواع الافعال الافعال ضربان الهي وانساني فالالهي اربعة
اضرب ابداع وتكوين وتربية واحالة وجميع ذلك يسمى
خلقا من حيث كان وجود كل واحد بمقدار والخلق في الاصل
التقدير المستقيم فالاول الابداع وهو ايجاد شيء دفعة
لا عن موجود ولا بتربية ولا عن نقص الى كمال وليس ذلك الا
للباري عز وجل وان كانت العرب تستعمل الابداع فيمن يحفر
بيرا في مكان لم يحفر قبل وفيمن ينشئ شعرا او يورد كلاما
لم ينسج على منوال قبل والثاني التكوين وهو ايجاد الشيء عن عدم
بترتيب ومن نقص الى كمال والمتكلمون يستعملون التكوين
موضع الابداع ولما حققوا عن حقيقة التكوين استشنعوا
قول من قال ان السماء مبدعة ليست مكونة وقدروا انه يريد
ليست بمحدثة ولا مخلوقة وانما اراد هذا القائل بذلك
فيما ذكره اصحابه وقد دل عليه كلامه ان الله تعالى ابدعهما ابداعا
كما قال تعالى بديع السموات والارض ولم يخلقهما خلقة ناقصة

في ابتداء انشائهما ثم تكميلهما شيئا فشيئا كالحيوان والانسان
والنبات والثالث تربية الشيء وهو تغذيته وذلك استخلاف
ما تحلل من الابدان ما وجد عن كون ليبقى المدة المصروفة
له وبذلك قيل الله رب العالمين والرابع احالة الشيء وهي
التغايير اللاحقة للكائنات في كيفياتها من لون وطعم
ورائحة والفعل الانساني ثلثة اضرب نفساني فقط
وهو الافكار والعلوم وما ينسب اليها افعال القلوب
وبدني وهو الحركات التي يفعلها الانسان في بدنه كالمشي
والقيام والقعود وصناعي وهو ما يفعله الانسان
بمشاركة البدن والنفس كالحرف والصناعات **الباب**
الثاني في الفرق بين الفعل والعمل والصنع الفعل
لفظ عام يقال لما كان باجادة او غير اجادة ولما كان
بعلم او غير علم وقصدا او عن غير قصد ولما كان من الانسان
والحيوان والجمادات واما العمل فانه لا يقال الا لما كان
من الحيوان دون ما كان من الجمادات ولما كان بقصد وعلم

دون

دون ما لم يكن عن قصد وعلم وقد يقول بعض الادباء العمل مقلوب
عن العلم فان العلم فعل القلب والعمل فعل الجارحة وهو
يبرز عن فعل القلب الذي هو العلم وينقلب عنه واما الصنع
فانه يكون من الانسان دون سائر الحيوان ولا يقال الا
لما كان باجادة ولهذا يقال للحاذق المجيد والحاذقة المجيدة
صنع وصناع والصنع يكون بلا فكر لشرف فاعله والفعل
قد يكون بلا فكر لنقص فاعله والعمل لا يكون الا بفكر لتوسط
فاعله فالصنع اخص المعاني الثلثة والفعل اعمها والعمل
اوسطها فكل صنع عمل وليس كل عمل صنعا وكل عمل فعل وليس
كل فعل عملا وفي الفارسية هذه الالفاظ تنبئ عن الفرق بينها
فانه قيل للفعل كار وللعمل كردار وللصنع كنش **الباب**
الثالث في انواع الصناعات الصناعات ضربان علمي
وعملي فالعلمي ما يستغنى فيه عن الاستعانة بالجوارح من اليد
والرجل كالمعارف الالهية والحساب والعملي ما يحتاج
فيه الى الاستعانة بالجوارح وذلك ضربان [illegible]

يقتضي بانقضا حركة الصانع كالرقص والرمي والمحاكاة
والثاني يبقى له اثر وذلك ضربان ضرب له اثر معقول
لا محسوس كالطب والسياسة وضرب يبقى له اثر محسوس
كالبناء والكتابة **الباب الرابع** في الافعال الارادية
وغير الارادية الافعال التي تظهر من غير اقتدار اما تسخيري
واما غير تسخيري فالتسخيري هو الذي يظهر ممن يظهر لا
بقصد وارادة منه وقد يكون ذلك من الجماد ومن الحيوان و
ذلك نوعان نوع بتسخير الباري عز وجل كاحراق النار الحرير
وتبريد الثلج الماء وضرب بتسخير بشر كطحن الرحى ودوران
الدولاب واما غير التسخيري فضربان ضرب يكون من فاعله
مبدأ الارادة وضرب لا يكون منه مبدأ الارادة فالذي
منه مبدأ الارادة ثلاثة الاول بحسب التمييز كمن تناول
الخبزة ونال الشبع من تناوله والثاني بحسب الغضب كمن بطش
بمن يغضب عليه والثالث بحسب الشهوة كمن تناول ما اشتهاه
لشهوته والذي لا يكون منه مبدأ الارادة ضربان ضرب

التسخيري ٦

لا يكون

لا يكون منه مبدأ الارادة والانتهاء كمن رمى غرضا فاصاب
رجلا وضرب لا يكون منه مبدأ الارادة ولكن يكون منه
منتهاه كمن حصل في سفينة فخاف الغرق فكلف ان يلقي
متاعه في الماء ليتخلص والافعال من الجمادات تقع بالتسخير
فقط ومن النبات تقع بالتسخير وبالنزاع الذي تقتضيه
القوة الشهوية ومن الحيوانات تقع بهما وبالغلبة التي تقتضيها
القوة الغضبية ومن الانسان تكون بذلك وبالفكرة التي
تقتضيها القوة العقلية **الباب الخامس**
فيما يستحق به من الافعال اللوم وما لا يستحق به ذلك
الافعال ضربان ارادي وغير ارادي فالارادي ضربان
ضرب عن روية وضرب لا عن روية فالذي عن روية
ضربان احدهما الذي عن روية دقيقة في غاية الشرف و
هو ما يكون بحسب النفس الناطقة ويسمى الاختيار وهو طلب ما
هو خير له ويستحق به ابدا الحمد اذا كان على الحقيقة اختيارا
والثاني عن روية فيما ليس هو في غاية الشرف وذلك اما بحسب

القوة الغضبية وهو دفع ما يضر واما بحسب القوة
الشهوية وكل واحد منهما اذا كان بقدر ما يوجبه العقل
يستحق به الحمد واذا كان زايدا او ناقصا عما يوجبه يستحق
به الذم والارادي الذي عن غيره وبه واختيار ضربان
احدهما ما يفعله في نفسه والثاني ما يفعله بغيره وكل واحد
منهما ضربان نفع وضر فما قصد به نفع نفسه فقد يستحق
به الحمد وما قصد به نفع غيره فقد يستحق الحمد والشكر
معا وما قصد به ضر نفسه فقد يستحق به الذم وما قصد به
ضر غيره فقد يستحق به الذم والعتب عليه وغير الارادي
ثلثة اضرب الاول ان يكون قسريا وهو ما يكون مبداه
من خارج ولا يكون من ارادته معونة بوجه كمن رفعته ريح
فسقط على آنية فكسرها ولا ملامة فيه بوجه والثاني ان
يكون الجائيا كمن اكرهه سلطان على ان يفعل فعلا اما فهذا
متى كان الملجا اليه قبيحا جدا والسبب الملجي اليه خفيفا يستحق
مرتكبه ذم كمن يضرب بان يقتل انسانا ومتى كان الملجا

اليه ليس بجد قبيحا والسبب الملجي اليه عظيما لا يستحق مرتكبه
الذم كمن يوضع على خلفه السيف ويهدد بان يقتل ان لم
يتكلم بكلام قبيح وكلاهما يقال له الاكراه والثالث الخطا
وهو ما يكون مبداه من صاحبه وذلك نوعان احدهما
ما يتولد عن فعل وقع منه وله ان يفعله كمن يرمي هدفا
او صيدا فاصاب انسانا وذلك لا يستحق به الاثم ما لم يقع
من صاحبه تقصير في الاحتراز والثاني ما يتولد عن فعل
ليس له ان يفعله كمن شرب فسكر فحمله سكره على كسر اناء
وضرب انسان فانه لذلك يستحق الملامة وان لم يرد كسر
الاناء وضرب الانسان فقد ارتكب محظورا ادى به الى وقوع
ذلك منه فالضرب الاول يقال له اخطا فهو مخطي والثاني
يقال له خطي فهو خاطي ولهذا قال اهل اللغة خطي ما كان
على سبيل العمد واخطا ما كان على سبيل السهو

الباب السادس في الاسباب التي يمكن نسبة الفعل اليها

الاسباب التي يحتاج اليها الفعل في وجوده عشرة اشيا

فانه يحتاج في حصوله الى فاعل يصدر عنه فعله كالنجار
والى عنصر يعمل فيه كالخشب والى عمل كالنحت والى زمان والى
مكان يعمل فيهما والى آلة يعمل بها كالمنحت والمنجر والى غرض قريب
كايجاد النجار الباب والى غرض بعيد كتحصيل البيت به
والى مثال يعمل عليه ويحتذى به والى مرشد يرشده وكل ذلك
قد ينسب الفعل اليه فيقول اعطاني زيد اذا باشر الاعطاء
واعطاني الله لما كان هو المسبب وربما جمع بين السبب القريب
والبعيد فيقول اعطاني الله وزيد قال شعر
حباها بجدنا والاله وضرب لنا خادم صائب
فنسب الى السبب الاول وهو الله تعالى والى السبب الاخير وهو
الضرب والى المتوسط وهو الجد وقال تعالى الله يتوفى الانفس
حين موتها والتي لم تمت في منامها وقال تعالى قل يتوفاكم ملك
الموت الذي وكل بكم فاسند الفعل الى الامر به والثاني الى
المباشر له وقال الشاعر في صفة درع شعر والسنية الهالكي
وما لكساهم محرق فنسب الفعل الى عاملها وفي الثاني الى مستعملها

وقال

وقال في صفة نبال كستها ريشها مضرحية فنسب كسوتها
الى الطير الذي اتخذ منه ريشه لجعلها وقيل بذلك او كتا
وفوق نبع فنسب الفعل الى الآلة المتصلة ويقال سيف قاطع
فنسب الى الآلة المنفصلة وقيل ضرب فيصل وفاصل وطعن
خائف فنسب الى الحدث وقيل سر كاتم وعيشة راضية
فنسب الى المفعول وقال حرما آمنا فنسب الى المكان وقيل
يوم صائم وليل ساهر وقال وما ليل المطي بنائم فنسبه الى الزمان
فلما كانت افعالنا على ذلك صح في الفعل الواحد ان يثبت لاحد
الاسباب مرة وينفى عنه مرة بنظرين مختلفين على ذلك قول
الشاعر شعر اعطيت من لم تعطه ولو انقضى ... حسن اللقاء
حرمت من لم تحرم ... فاثبت له الفعل ونفاه معا بنظرين مختلفين
ويقال لهذا الخشب قطعته انا لا السكين ويقال قطعه السكين
ولم اقطعه ويقال فلان هداه الله وهداه الرسول
وهداه القرآن وهداه فهمه فينسب الى كل ذلك قال تعالى واضله
الله على علم لما كان تعالى هو السبب الاول في وجوده ووجود سببه

المضل ووجود الآلة وان لم يكن هو تع الداعي الى الضلال
واضل نفسه لما كانت هي التي تركت الاحتراز وهذا فصل
من فصول لم يعتمد في ترتيب المعاني على مقتضاها من الالفاظ
فينظر من اللفظ الى المعنى بل ينظر في نحو هذا من المعنى
الى اللفظ واعلم ان من اجل ما قدمناه قال قوم
من المحصلين لا شي من الافعال فاعله فاعل واحد على الحقيقة
الا الله تع فان فعله تع يستغني عن الزمان والمكان
وعن المادة والآلة وعن مثال يحتذيه ومن عداه من الفاعلين
لا بد له من كل ذلك ومن بعضه ولهذا لا يصح الابداع الى
غيره تع لا حقيقة ولا مجازا ويصح ان ينسب فعل غير الله
الى كل ما تقدم ذكره قال الشيخ الفاضل
تغمده الله برحمته هذا آخر ما قصدت تبيينه من هذا
المعنى واختم القول بحمد الله والثناء عليه والتضرع اليه
في ان ينفعني واخواني بما حررته وان يجعلني ممن يذكر
فتذكر وتبصر فابصر ووعظ فاتعظ وتيقظ فايقظ فاعظم

الهمة ان يامر من لا ياتمر ويزجر من لا ينزجر وان يدعي
الحكمة من اذا تلقته المحاسن لا يجتنيها واذا تلقته المساوي
لا يحتشمها يرى القذاة في عيون اخوانه فينكرها ويترك
الجذع المعترض في اجفانه ولا ينكرها ينصح غيره ويغش
نفسه شعر كمن كسا الناس من عري وعورته للناس
بادية ما ان يواريها وكالمسن يشحذ الحديد ولا يقطع
وكالصخر الصلد يمر به الماء النافع فلا ينتفع هو به وقد قال
عليه السلم ان الله يؤيد هذا الدين بقوم لا خلاق لهم نسأل
الله الا يجعلنا منهم ونرغب اليه تع ان يجعلنا برحمته
ممن ائتمر بالنبي صلى الله عليه واله وسلم حيث قال بادر
خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك
وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحيوتك
قبل موتك فما اعظم في القيمة الحسرة والندامة ان لم
يتغمدني الله برحمته التي وسعت كل شي فمهلا يا رب المجان
ويسر لي الجواز فقد حان حصادي ولم يصلح فسادي

وقع الفراغ من تسويد هذه الرسالة الشريفة الموسومة

بالذريعة الى مكارم الشريعة في يوم السادس من شهر

ربيع الاول سنة اثنى وتسعين وتسعمائة

ومحررة العبد المذنب الراجي

الى الله الغني حسن بن

علاء الدين الاصفهاني

غفر الله له

ولوالديه

تاریخ یوم الاثنی ۲۳ شهر محرم الحرام سنه ۱۲۹۶

روغن اوعا حالا